

سيرة الحسين
عليه السلام
في الحديث والتاريخ..

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٦٠٢م - ١٤٣٧هـ

المركز الإسلامي للدراسات

لبنان - بيروت - الضاحية الجنوبية - أول حي ماضي

بناية حجازي - ط 1 - تليفاكس: 00961.1.274519

البريد الإلكتروني: alhadi@alhadi.org



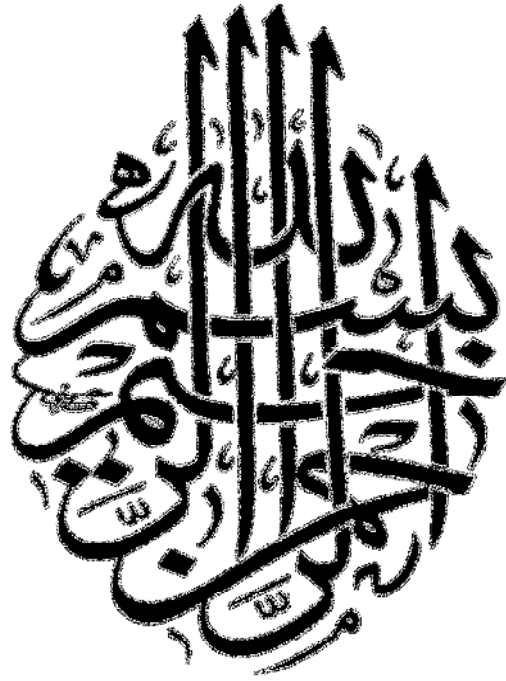
المنشورات: بيروت - بئر العبد - سنتر الانماء 3 - 00961 70995421

سيرة الحسين
عليه السلام
في الحديث والتاريخ..

السيد جعفر مرتضى العاملي

المجلد السادس عشر

المركز الإسلامي للدراسات



الفصل الرابع:

إجراءات وتوجيهات..

جولة تفقدية للإمام x :

قالوا:

وخرج «عليه السلام» في جوف الليل إلى خارج الخيام، يتفقد التلاع والعقبات. فتبعه نافع، فسأله الحسين «عليه السلام» عما أخرجه؟ فقال: يا ابن رسول الله، أفرعني خروجك إلى جهة معسكر هذا الطاعي.

فقال الحسين «عليه السلام»: إني خرجت أتفقد التلاع والروابي، مخافة أن تكون مكمناً لهجوم الخيل يوم تحملون ويحملون. ثم رجع «عليه السلام» وهو قابض على يد نافع، ويقول: هي هي - والله - وعد لا خلف فيه.

ثم قال له: ألا تسلك بين هذين الجبلين في جوف الليل، وتتجو بنفسك؟

فوقع نافع على قدميه يقبلهما ويقول: تكلتني أمي، إن سيفي بألف، وفرسي مثله، فوالله الذي من بك علي لا فارقتك حتى يكلا عن فري وجري.

ثم دخل الحسين «عليه السلام» خيمة زينب، ووقف نافع بإزاء

الخيمة ينتظره، فسمع زينب تقول له: هل استعلمت من أصحابك نياتهم؟ فإني أخشى أن يُسلموك عند الوثبة.

فقال لها: والله لقد بلوئهم، فما وجدت فيهم إلا الأشوس الأعفس، يستأنسون بالمنية دوني استيناس الطفل إلى محالب أمه. قال نافع: فلما سمعتُ هذا منه بكيتُ، وأتيتُ حبيب بن مظاهر، وحكيتُ ما سمعتُ منه ومن أخته زينب.

قال حبيب: والله لولا انتظار أمره لعاجلثهم بسيفي هذه الليلة. قلت: إني خلفته عند أخته وأظن النساء أفقن، وشاركنها في الحسرة، فهل لك أن تجمع أصحابك وتواجهوهن بكلامٍ يطيب قلوبهن. فقام حبيب ونادى: يا أصحاب الحمية، وليوث الكريهة. فطالعوا من مضاربهم كالأسود الضارية.

فقال لبني هاشم: ارجعوا إلى مقركم، لا سهرت عيونكم. ثم التفت إلى أصحابه، وحكى لهم ما شاهدته وسمعه نافع. فقالوا بأجمعهم: والله الذي من علينا بهذا الموقف، لولا انتظار أمره لعاجلناهم بسيوفنا الساعة! فطب نفساً، وقر عينا، فجزاهم خيراً وقال: هلموا معي لنواجه النسوة، ونطيب خاطرهن.

فجاء حبيب، ومعه أصحابه وصاح: يا معشر حرائر رسول الله، هذه صوارم فتيانكم، ألوا ألا يغمدوها إلا في رقاب من يريدُ السوء فيكم، وهذه أسنة غلمانكم أقسموا ألا يركزوها إلا في صدور من يفرق ناديمكم.

فخرجن النساء إليهم ببكاءٍ وعويلٍ، وقلن: أيها الطيبون، حاموا عن

بنات رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وحرائر أمير المؤمنين «عليه السلام».

فضجّ القوم بالبكاء، حتى كأنّ الأرض تميد بهم^(١).

ونقول:

تصحيح خطأ:

١ - إن هذه الرواية، وإن لم تُذكر في مصدر يمكن الاعتماد عليه، ولكننا أحببنا ذكرها، لأن صاحب كتاب الدمعة الساكية نسبها إلى المفيد «رحمه الله»، بالرغم من أننا لم نجدها في كتبه، ولا في غيرها من المصادر المعتبرة.

٢ - تكرر في هذه الرواية في مصادرها اسم هلال بن نافع. والصحيح هو: نافع بن هلال، وليس العكس، وقد تم تصحيح النص وفق ما يقتضيه هذا الأمر، فما ورد في هذه الرواية هو من اشتباهات الرواة. وقد تقدم نفس هذا الخطأ في هذا الاسم بالذات في موضع آخر من أحداث كربلاء، وقد نبهنا عليه أيضاً في مورده..

ونافع بن هلال هو من شهداء كربلاء، واسمه مذكور في زيارة الناحية، فراجع.

(١) مقتل الحسين للمقرم ص ٢١٨ - ٢١٩ ومعالي السبطيين ج ١ ص ٣٤٤ - ٣٤٦ والدمعة الساكية ج ٤ ص ٢٧٣ - ٢٧٤ بتفاوت.

أهمية هذه الجولة:

فيما يرتبط بأهمية هذا التحرك الحسيني نشير إلى ما يلي:

١ - إن يقين الإمام «عليه السلام»، ويقين من معه، بأنهم سينالون درجة الشهادة في كربلاء بعد ساعات أو أقل أو أكثر، لا يبرر الانكفاء، والاستكانة، وعدم التصدي، وبذل الجهد.. فإن ذلك لو حصل لكان من أسباب استسهال المجرمين الإقدام على جرائمهم، لأنهم يتوقعون ممن يظنون أنهم ضعفاء: أن لا تكون لديهم رغبة في المقاومة، وبذلك تصبح الجريمة نهجاً وطريقة عيش، وتكثر الضحايا، وتشيع الفواحش، وينهار النظام العام.

٢ - إن هذا اليقين إذا كان مستنداً إلى أمور غير عادية كالإخبارات الغيبية، أو الرؤيا، أو علم الشاهدية للنبي والإمام. فإن الإمام والنبي لا يتعامل مع الناس انطلاقاً من هذه الأمور، بل هو يعاملهم وفقاً لمقتضيات الأسباب الظاهرية، المتوفرة له ولهم.

٣ - إن هذا الاستسلام، قد يجر ويلات ومصائب لم تكن في نطاق اهتمامات الأعداء، فيزين لهم الشيطان العدوان على الأطفال والسبايا، إذا وجدوا أن ذلك سيكون مأمون العواقب.

ولأجل هذا بادر «عليه السلام» إلى تفقد المنطقة كما صرحت به الرواية.

٤ - ولو أنه «عليه السلام» وجد أن تلك الروابي والتلاع تصلح مكمناً لهجوم الخيل عليهم، حين انشغاله، وأصحابه بقتال الجيش

العرمرم الذي يواجههم، فقد كان عليه أن يضع من الرقباء، والموانع والعراقيل ما يفشل هجوم تلك الكمائن. وإلا لكان الهجوم من تلك الكمائن قد وقع، واختلط الحابل بالنابل، الأمر الذي من شأنه أن يلحق أضراراً هائلة بأصحابه وأهل بيته، وعوائلهم، من الأطفال والنساء..

والأهم من ذلك: أن هذه البلبلة من شأنها أن تضيع معالم الجريمة التي كان «عليه السلام» يحرص على إظهارها للأجيال بكل دقائقها وجزئياتها، وتفصيلها.

وقد تأتي هذه الحركة في لحظة خطيرة يتم بها حسم الأمر، وتضيق على الإمام الحسين فرصة الاحتجاج على الأعداء، وتجعله عاجزاً عن التحكم بمسار القتال. فلا يتمكن من نشر الجزئيات والتفاصيل على بساط الزمان الممتد من صلاة الفجر إلى ما بعد العصر.

الشعور بالمسؤولية هو الدافع:

وقد لفت نظرنا: جواب نافع بن هلال للحسين «عليه السلام»، حين سألته عن سبب خروجه في أثره حيث قال: أفزعني خروجك إلى جهة معسكر هذا الطاعي.. حيث نفهم:

أولاً: إن هذا يدل على عمق شعور نافع بالمسؤولية عن حفظ حياة إمامه.

ثانياً: إن خروجه هذا وعودته إلى الخيام لم يصادف فيه أحداً من الأعداء في ذهابه وإيابه، مع أن تلك الليلة كانت شديدة الحساسية

بالنسبة للأعداء. وكانوا قد وضعوا جماعات زعموا أنها لحراسة معسكر الحسين «عليه السلام»، وهي في الحقيقة جماعات رصد ومراقبة، من قبيل حراسة السجان سجينه. فكيف لم يفتنوا لخروج الحسين «عليه السلام» وجولته في التلاع والروابي ثم عودته؟! ألا يدل هذا على وجود ثغرات في رصدهم ومراقبتهم؟!!

ولا يمكن أن يقدم الحسين «عليه السلام» على ما أقدم عليه لو لم يكن قد كشف مواضع الخلل، واستفاد منها على النحو الأفضل والأمثل.

هي والله وعد لا خلف فيه:

وعن قوله «عليه السلام» لنافع: هي هي - والله - وعد لا خلف فيه.

نقول:

١ - الظاهر أن المشار إليه بقوله هي، هو تلك الليلة، وأنها الليلة التي يستشهد «عليه السلام» في اليوم الذي يليها.

٢ - إنه «عليه السلام» يقول هذا الكلام لنافع، وهو يعلم أنه سينقله لأصحابه، من أجل إعداده وإعدادهم إلى هذا الحدث، الذي سيكونون شركاء فيه. لأنه «عليه السلام» يريد أن لا يظن نافع ولا يظن غيره: أن هذا التحرك الذي يقوم به الحسين «عليه السلام» يشير إلى تحول في الأمور، وتبدل في النتائج، وزيادة احتمالات السلامة لهم. وإنما يقوم بما يقوم به «عليه السلام» لمصالح أخرى، وتلبية

لنداء واجب فرضه الله تعالى عليه حتى في حال يقينه بالنتائج
والنهايات.

ألا تنجو بنفسك؟!:

وبعد أن أكد «عليه السلام» لنافع بن هلال أن هذه هي آخر ليلة،
وأن الأمر واقع بعدها لا محالة عرض على نافع: أن يستغل ظلمة
الليل، ويسلك بين الجبلين، وينجو بنفسه.

ولعل سبب هذا العرض: أنه «عليه السلام» يريد أن لا يظن من
يأتي بعده، أو أن يتوهم: أنه «عليه السلام» حين أحل الناس من بيعته
حين بلغه خبر استشهاد مسلم بن عقيل، فتفرق عنه جماعة منهم.
وكذلك حين عرض على أهل بيته وأصحابه في ليلة العاشر أن يتخذوا
ذلك الليل جملاً، ويتفرقوا في البلاد، ورغبهم في ذلك وأحلهم من
بيعته، فقد كان رفضهم لما عرضه عليهم عن سابق علم، وتصميم،
ورضا بالقتل معه، بل كانوا يرون هذا القتل شرفاً لهم، وكرامة.. وقد
قالوا بأجمعهم: «والله الذي مَنَّ علينا بهذا الموقف..» وكانوا مشتاقين
إلى هذه الشهادة، حتى إنهم ليستأنسون بالموت دونه استئناس الطفل
إلى محالب أمه، كما قال الإمام الحسين «عليه السلام» لأخته زينب
«عليها السلام»..

هذا هو حالهم في سرهم وفي علانيتهم، ولم يكن أحد منهم قد
رضي بالبقاء معه «عليه السلام» حياءً منه، أو حياءً من سائر
إخوانه، أو خوفاً من أن يتهم بالخوف من الموت، والجبن عن لقاء

الأعداء، أو نسبته إلى مخالفة معنى الرجولة، وتخليه عن منازل الإباء والكرامة.

فها هو «عليه السلام» يعرض على شخص واحد منهم وهو نافع النجاة بنفسه، مع أنه كان هو وإياه، في قلب فلاة من الأرض، وتحت جنح الظلام. ولم يكن معهما من البشر ثالث يراهما أو يسمع كلامهما، أو يمكن أن يراعي نافع جانبه، أو يحاذر من خطرات يمكن أن تعرض له.

فترى أن نافعاً ما استجاب إلى طلبه «عليه السلام»، ولا بادر إلى النجاة، بل وقع على قدمي الإمام، يقبلهما، ويقول: ثكلتني أمي، الخ..
بل لقد صرح نافع في هذه اللحظة بالذات: بأنه يعتبر أن وجوده إلى جانبه «عليه السلام» مئة إلهية تستوجب الشكر، وتلزمه بالوفاء.
هذا هو القائد المسؤول:

ويلاحظ: أنه «عليه السلام» قد تولى مهمة تفقد التلال والروابي بنفسه، ولم يرسل مبعوثين من قبله للقيام بها. لكي يقدم نموذجاً عن القائد المسؤول، الذي يحتاط لأي احتمال، وإن كان موهوناً.

وربما كان مثل هذا المورد مما تحتشد فيه الاحتمالات التي قد يكون منها: أن أي بعثة في هذا الليل، قد يصيبها نوع من الوهم، يدفعها للاقتصار على ما لا يسمن ولا يغني من جوع، وترجع إليه بما لا يفيد يقيناً ولا ظناً، وتبقى الهواجس لديه أو لدى بعض أصحابه قائمة. أما إذا تولى هو نفسه استبراء المنطقة فإنه سيحصل على اليقين،

وسيعيش أصحابه أيضاً حالة السكينة والطمأنينة معه.

الجبلاّن في كربلاء:

وقد يدور بخلد البعض أن يسأل عن حقيقة وجود جبال في تلك المنطقة. فإذا لم يكن ثمة جبال تصبح الرواية موضع ريب..

ويجاب:

بأن الجبل كما يطلق على أوتاد الأرض، كذلك هو يطلق ويراد به ما يقابل الساحل، فيشمل الجبال المتواضعة.. وفي تلك المناطق روابي وتلال، ومنها التل المعروف بتل الزينبية.

فلا يمكن رد الرواية مع وجود هذه الروابي وسواها.

ولو لم يصح إطلاق الجبل عليها على نحو الحقيقة، فإنه يصبح إطلاقه مجازاً على رابيتين بينهما منخفض أمراً مقبولاً، يشعر السالك فيه بالأمن، ويرجو السلامة، لستره بالحاجز الطبيعي، وهو الجبلان أو الربوتان، ولخفائه عن الأنظار بظلام الليل.

لقد بلوتهم:

وقد وصف «عليه السلام» في جوابه لأخته زينب «عليها السلام» عن أصحابه «رحمهم الله» بقوله: والله، لقد بلوتهم فما وجدت فيهم إلا الأشوس الأقعس، يستأنسون بالمنية دوني استئناس الطفل إلى محالب أمه.

فقد تضمنت هذه الكلمات ما يلي:

- ١ - إنه «عليه السلام» قد اختبر أصحابه، فنجحوا في الاختبار.
 - ٢ - إنه قد اختبرهم فرداً فرداً، كما دل عليه قوله: فما وجدت فيهم إلا الأشوس الخ.. فإنه إنما تحدث عنهم بما هم أفراد، ولم يتحدث عن المجموع بما هو مجموع.
 - ٣ - إنه قد رضيهم له أصحاباً بناء على ذلك الاختبار.
 - ٤ - إن اختباره لهم قد تجاوز أمر الوقوف على حقيقة نياتهم، ليضيف إلى ذلك ثلاثة أمور هي:
- الأول:** أن كل فرد فرد منهم منحصر أمره وحاله في أنه «أشوس». أي جريء على القتال الشديد، فلا مجال للاستثناء في أحواله، بحيث يمكن أن يخرج عن صفة «الأشوسية» في لحظة ما، أو في حالة من حالاته. وهذه الأشوسية ترجع إلى قوة الجنان، والجرأة القلبية..
- الثاني:** إن كل فرد منهم متمحض في الأقسية، وهي متأصلة فيه، وملازمة له في جميع أحواله أيضاً، فلا يصح سلبها عنه في أي حال..
- والأقسس:** هو الرجل المنيع وذو العز الثابت. وهي صفة تطلق عليه بالاستناد إلى موقعه في الناس، ونظرتهم إليه..
- الثالث:** إن كل فرد منهم له تعلق خاص بالإمام الحسين «عليه السلام»، ومحبة لا تجارى، وقد بلغ حبهم له حداً: أنهم يستأنسون بالمنية دونه، استئناس الطفل إلى محالب أمه..
- ٥ - فترى أنه «عليه السلام» قد اختبر أصحابه في نواياهم.

واختبرهم في صفاتهم القلبية الكامنة في عمق ذواتهم.
واختبرهم في موقعهم الاجتماعي، الكاشف عن طريقته ونهجهم
في الحياة.

واختبرهم أيضاً في مشاعرهم، وفي حالاتهم العاطفية..

حفر الخندق ليلة عاشوراء:

١ - قال ابن أعثم والخوارزمي:

فَلَمَّا أَيْسَ الْحُسَيْنُ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» مِنَ الْقَوْمِ، وَعَلِمَ أَنَّهُمْ قَاتِلُوهُ،
أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: قَوْمُوا فَاحْفَرُوا لَنَا حَفِيرَةً حَوْلَ
عَسْكَرِنَا هَذَا شِبَةَ الْخَنْدَقِ، وَأَجِّجُوا فِيهَا نَاراً، حَتَّى يَكُونَ قِتَالُ هَؤُلَاءِ
الْقَوْمِ مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ؛ فَإِنَّهُمْ لَوْ قَاتَلُونَا وَشَغَلْنَا بِحَرْبِهِمْ لَضَاعَتِ الْحُرْمُ.
قال: فَوَتَّبَعَ الْقَوْمُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، وَتَعَاوَنُوا وَاحْتَفَرُوا خَنْدَقًا، ثُمَّ
جَمَعُوا الشَّوْكَ وَالْحَطَبَ، وَأَلْقَوْهُ فِي الْخَنْدَقِ، وَأَجَّجُوا فِيهَا النَّارَ^(١).

(١) الفتوح لابن أعثم ج ٥ ص ٩٦ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ٢٤٨ و
٢٤٩ وراجع: الأمالي للصدوق ص ١٣٣ و ١٣٤ و (ط مؤسسة البعثة)
ص ٢٢١ وراجع: مطالب السؤول ص ٧٦ وكشف الغمة ج ٢ ص ٢٦٢
وموسوعة الإمام الحسين ج ٤ ص ٨٥ عنهم. وراجع: الثاقب في المناقب
ص ٣٤٠ ومدينة المعاجز ج ٣ ص ٤٧٣ وبحار الأنوار ج ٤ ص ٣١٦ و
٣١٧ ج ٤ ص ٤٥٣ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ١٦٦ والدمعة الساكنة
ج ٤ ص ٢٧٥ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٨ ص ١٩٣
وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣ ص ٦٨٦ والأخبار الطوال ص ٢٥٦

وأقبل رجل من معسكر عمر بن سعد، يقال له: مالك بن حوزة [جريرة] على فرس له حتى وقف عند الخندق، وجعل ينادي: أبشر يا حسين! فقد تلفحك النار في الدنيا قبل الآخرة.

فقال له الحسين «عليه السلام»: كَذِبْتَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ! إِنِّي قَادِمٌ عَلَى رَبِّ رَحِيمٍ، وَشَفِيعٌ مُطَاعٌ، وَذَلِكَ جَدِّي رَسُولُ اللَّهِ «صلى الله عليه وآله». ثم قال الحسين: مَنْ هَذَا الرَّجُلُ؟

فقالوا: هذا مالك بن حوزة.

فقال الحسين «عليه السلام»: اللَّهُمَّ! حُزَّةٌ إِلَى النَّارِ، وَأَذِقُهُ حَرَّهَا فِي الدُّنْيَا قَبْلَ مَصِيرِهِ إِلَى الْآخِرَةِ!

قال: فلم يكن بأسرع أن شَبَّتْ به الفرس، فألقته في النار، فاحترق.

قال: فخرَّ الحسين «عليه السلام» لله ساجداً مطيعاً، ثم رفع رأسه وقال: يَا لَهَا مِنْ دَعْوَةٍ مَا كَانَ أَسْرَعَ إِجَابَتِهَا!

قال: ثم رفع الحسين صوته ونادى: اللَّهُمَّ! إِنَّا أَهْلُ نَبِيِّكَ، وَدُرِّيَّتُهُ

وبغية الطلب في تاريخ حلب ج ٦ ص ٢٦٢٧ و ٢٦٢٨ وأنساب الأشراف (ط) دار التعارف) ج ٣ ص ١٨٦ وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٢٠ وتجارب الأمم ج ٢ ص ٧٦ والكامل في التاريخ ج ٤ ص ٥٩ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٦٠١ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص ١١٣.

وَقَرَابَتُهُ، فَأَقْصِمُ مَنْ ظَلَمْنَا، وَغَصَبْنَا حَقَّنَا، إِنَّكَ سَمِيعٌ مُجِيبٌ^(١).

٢ - وقد صرحت رواية أبي مخنف: بأن حفر الخندق قد حصل ليلة عاشوراء، فقد قال:

وكان الحسين «عليه السلام» أتى بقَصَبٍ وَحَطَبٍ، إلى مكان من ورائهم مُنْخَفِضٍ كَأَنَّهُ سَاقِيَّةٌ، فَحَفَرُوهُ فِي سَاعَةٍ مِنَ اللَّيْلِ، فَجَعَلُوهُ كَالْخَنْدَقِ، ثُمَّ أَلْقَوْا فِيهِ ذَلِكَ الْحَطَبَ وَالْقَصَبَ، وقالوا: إِذَا عَدَوْا عَلَيْنَا فَقَاتِلُونَا أَلْقَيْنَا فِيهِ النَّارَ؛ كِي لَا تُؤْتِيَ مِن ورائنا، وَقَاتَلْنَا الْقَوْمَ مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ. فَفَعَلُوا. وكان لهم نافعاً^(٢).

٣ - تقدم في حديث إنشاده «عليه السلام» الأبيات في ليلة العاشر:

يَا دَهْرُ أَفْ لَكَ مِنْ خَلِيلٍ ————— الخ..

فأغمي على السيدة زينب «عليها السلام»، ثم أفاقَت، فأعادها إلى المكان الذي كان فيه السجاد «عليه السلام» - تقدم قوله -: فَأَمَرَهُمْ أَنْ

(١) الفتوح لابن أعمش ج ٥ ص ٩٦ و ٩٧ وعن نور العين في مشهد الحسين ص ٤٣ وراجع: مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣ ص ٢١٤ و ٢١٥ ومدينة المعاجز ج ٣ ص ٤٧٨ و ٤٧٦ وبحار الأنوار ج ٤ ص ٣٠١ و ٣٠٢ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٦١٣ و ٦١٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١١ ص ٥١٨.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٢٢ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٢٠ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص ١١٣ وراجع: الكامل في التاريخ ج ٤ ص ٥٩ و ٦٠ ونهاية الأرب ج ٢٠ ص ٤٣٨.

يُقَرَّبُوا بَعْضَ بُيُوتِهِمْ مِنْ بَعْضٍ.

وَأَنْ يُدْخِلُوا الْأَطْنَابَ بَعْضَهَا فِي بَعْضٍ.

وَأَنْ يَكُونُوا هُمْ بَيْنَ الْبُيُوتِ [في الأخبار الطوال: أمام البيوت] إِلَّا
الْوَجْهَ الَّذِي يَأْتِيهِمْ مِنْهُ عَدُوُّهُمْ^(١).

زاد الدينوري قوله: «وَأَنْ يَحْفَرُوا مِنْ وَرَاءِ الْبُيُوتِ أُخْدُوداً، وَأَنْ
يُضْرَمُوا فِيهِ حَطَباً وَقَصَباً كَثِيراً؛ لِنَلَّا يُؤْتُوا مِنْ أَدْبَارِ الْبُيُوتِ،
فَيَدْخُلُوهَا»^(٢).

وذكر هذا المعنى ابن شهر آشوب أيضاً^(٣).

٤ - زاد في نص آخر قوله «عليه السلام»: وأمر بحفر الخندق
من وراء البيوت، يوضع فيه الحطب، ويلقى عليه النار إذا قاتلهم العدو،
كيلاً تقتحمه الخيل، فيكون القتال من وجه واحد^(٤).

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٢١ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣١٩ والكامل
في التاريخ ج ٤ ص ٥٩ والأخبار الطوال ص ٢٥٦ وبغية الطلب في تاريخ
حلب ج ٦ ص ٢٦٢٧ وراجع: أنساب الأشراف (ط دار التعارف) ج ٣
ص ١٨٥ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص ١١١ ونهاية الأرب ج ٢٠
ص ٤٣٦ و ٤٣٧.

(٢) الأخبار الطوال ص ٢٥٦ وبغية الطلب في تاريخ حلب ج ٦ ص ٢٦٢٧
وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣٣ ص ٦٨٦.

(٣) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٩٩ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣ ص ٢٤٩.

(٤) راجع: عن تاريخ الأمم والملوك ج ٦ ص ٢٤٠.

ونقول:**حفر الخندق ليلاً:**

١ - إن حفر الخندق حول مخيم الإمام الحسين «عليه السلام» قد حصل في ليلة العاشر من المحرم كما دل عليه:

أولاً: ما ورد في الرواية عن الإمام زين العابدين «عليه السلام» عن إنشاد الإمام «عليه السلام» الشعر الذي أوله: يا دهر أف لك من خليل... وأغمي على السيدة زينب، فإنه «عليه السلام» خرج بعد ذلك مباشرة إلى أصحابه، وأمرهم بحفر الخندق.. وهذا إنما حصل في ليلة العاشر.

ثانياً: تقدم: أن الطبري يروي عن أبي مخنف: بأن حفر الخندق كان في ساعة من الليل.

٢ - صرحت رواية الطبري عن أبي مخنف: بأن الهدف من حفر الخندق هو:

أولاً: حفظ النساء من أن تضيع بسبب مهاجمة العدو لهم.
ثانياً: ليكون قتالهم العدو من وجه واحد، فلا يتمكن العدو من تطويق المعسكر الحسيني، وتختلط الأمور، ويفقد القائد سيطرته عليها، فيورد العدو ضربته خلال وقت يسير جداً وينتهي الأمر، وتضيع معظم معالم الجريمة.

كما أن ذلك من شأنه أن يضعف من قدرة معسكر أهل الإيمان على النكاية في عدوهم، والحاق الخسائر به، فإن مهاجمة العدو لهم

من كل اتجاه، سوف يشتمهم، وسيتمكن عدوهم الذي يعد بعشرات الألوف، من أن يفرد لكل فرد منهم مئات من مقاتليه، ليتولوا حصاره، ومهاجمته، وقتله بأسرع ما يمكن.

٣ - إن الموضع الذي اختاره الحسين «عليه السلام» للنزول كان إلى جنب منخفض، كأنه ساقية. وأمر أصحابه، فحفروا في ذلك المنخفض بالذات ليصبح شبه الخندق.

٤ - إن ذلك المنخفض كان إلى جنب قصباء، أي منبت قصب كثير، فكأن الله تعالى قد أنعم عليهم ويسرّ لهم الأمور بوجود هذا القصب، الذي حشوا به ذلك الخندق، بالإضافة إلى حطب كثير جمعه من تلك المنطقة..

٥ - يلاحظ: أن جماعات العدو التي كانت تتواجد حول بيوت الحسين «عليه السلام» في تلك الليلة لم تعرف بأن أصحاب الحسين «عليه السلام» يحفرون خندقاً خلف بيوتهم، ولعل سبب ذلك: أنهم كانوا يترددون في المواضع التي يمكنهم الوصول إليها، ولا يتوغلون بين القصب، ربما خوفاً من الكمائن.. أو لأن ظلمة الليل تجعلهم غير قادرين على الدخول إليها، بل إن الخيل لن تستطيع اختراقها بسهولة، بل هي سترتبك في حركتها، إذا صار القصب يضرب وجوها ويحف بمواضع من جسدها من كل جهة.

فكيف إذا كان ذلك القصب في أرض رخوة، وفيها نزيز المياه الذي يغذي ذلك القصب وغيره من نباتات تحتاج إليه؟!!

خلاصة جامعة، أو تكاد:

إذاً هناك موانع عديدة استند إليها التخطيط الحسيني.. فهو قد اختار:

ألف: النزول إلى جانب منخفض هو شبه ساقية.

ب: في محيط هذا المنخفض يوجد حقل قصب، وحطب، وشوك، وغير ذلك.

ج: يبدو: أن الأرض في هذه المنطقة رخوة، وفيها نزيز ماء.

د: إنه «عليه السلام» قد تصرف في ذلك المنخفض حتى جعله شبه الخندق، وذلك ليلة العاشر ولم يشعر بذلك الأعداء، فاتخذ من الظلمة ساتراً لأصحابه، لينجزوا هذا العمل..

هـ: إن حفر الخندق كان بسرعة قياسية، هي ساعة من الليل.

و: إنه «عليه السلام» حشا ذلك الخندق، بالقصب والحطب، ليضرم فيه النار، حين تبدأ الحرب، لكي لا تقتحمه الخيل.

ز: أمر الأصحاب بتقريب البيوت بعضها إلى بعض.

ح: أمر بجعل أطناب الخيام متشابكة ومتداخلة.

ط: أمر أصحابه بأن يكونوا بين البيوت، أو أمامها.

ي: أبقى «عليه السلام» وجهاً واحداً يكون لقاء العدو فيه إذا هاجمهم.

ك: إنه «عليه السلام» أمر بجعل الشوك في الخندق أيضاً، لأنه

يمنع من تحرك الرجالة بحرية، ويبطئ حركتهم.

اللهم حزه (جره) إلى النار:

١ - يبقى أن نشير إلى الكرامة التي أظهرها الله تعالى للإمام الحسين «عليه السلام»، باستجابة دعائه على الذي تجرأ على، واعتبره من أهل النار، مكذباً بذلك ومناقضاً كلمات وأقوال رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حقه «عليه السلام»، وأنه سيد شباب أهل الجنة.. فتجلى كفر هذا الرجل للعيان، وأصبح مستحقاً لهذا العقاب الأليم، ليكون عبرة لغيره.

٢ - هل الحديث الذي ذكره صاحب عيون المعجزات عن عبد الله بن جويرة هو نفسه الحديث عن مالك بن حوزة، أو هو حديث آخر؟!

ونجيب:

بأنه لا يمكن الجزم بأنهما حديث واحد، فإن الاختلاف الشديد في المضامين، وحتى في الاسم لا يشجع على اعتبارهما قصة واحدة..

على أن من المعلوم: أن هذا النوع من سوء الأدب، قد تكرر مرة ثالثة من قبل الشمر، الذي تجرأ بكلماته الشنيعة على مقام الإمام الحسين نفسه، حين فوجئ بالخندق والنار المشتعلة فيه.. وسيأتي إن شاء الله ذكر ذلك عن قريب، حين الكلام عما جرى يوم عاشوراء.

٣ - إننا لا نبعد إذا قلنا: إن ثمة غضباً كان قد هيمن على هؤلاء الطغاة حين واجهوا هذا الأمر، وأدركوا أن خططهم التي وضعوها قد

فشلت، حيث كان كل همهم هو أن يحسموا أمر القتال في أسرع وقت ممكن، ربما لأنهم كانوا يخشون من حدوث مفاجآت لا حيلة لهم في دفعها..

فقد اعتادوا على رؤية العجائب والغرائب من البيت الهاشمي. ففي حرب بدر كان علي «عليه السلام» هو الفاتح فيها، وكذلك في أحد، وفي حنين مثلاً، بالرغم من فرار المسلمين عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حتى لم يبق معه سوى علي «عليه السلام»، فإنه «عليه السلام» هو الذي جاء بالنصر وحده على المئات والألوف من جيش الأعداء، وإن كان يدعي البعض بقاء بضعة أفراد آخرين مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» - ولكن التحقيق أثبت أن أحداً ممن بقي - لو صح أنه قد بقي أحد - لم يكن له أثر قتالي يذكر، بل كانوا يلودون بالنبي «صلى الله عليه وآله»، ويحتمون به، وربما حاول بعضهم منع السيوف من أن تصل إليه «صلى الله عليه وآله»..

وقصة قريظة، وذات السلاسل، والخندق. والأهم من ذلك ما جرى في خيبر حيث قلع «عليه السلام» باب الحصن، وألقاه بعيداً بعد أن تترس به تشهد على هذه العجائب.. فلعل جيش يزيد كان يتخوف من مفاجآت من هذا القبيل، فكان يريد حسم المعركة في أقصر زمان ممكن.. فلما رأوا الموانع التي هيأها لهم الإمام الحسين «عليه السلام» ثارت ثائرتهم، وصاروا يرشقون الحسين «عليه السلام» وأصحابه بسهام حقدهم وأذاهم.

جواب الحسين لابن حوزة:

إن ما قاله ابن حوزة للإمام الحسين «عليه السلام» لا يعدو كونه كلمات مؤذية أراد أن تكون مستوحاة من الواقع الذي رآه. لكن جواب الحسين «عليه السلام» كان وفق المنطق السليم، الذي لا يحمل معه غير الحق، والهدى، والصدق.

فحين قال «عليه السلام»: كذبت، كان صادقاً فيما يقول. فإن الحسين هو سيد شباب أهل الجنة بنص رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فكيف تلفحه النار؟!

وحين قال له: يا عدو الله كان صادقاً أيضاً في ذلك، فإنه جاء ليقتل إمامه المنصوص على إمامته من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، معادة منه للحق الذي جاء من عند الله، وكيداً وبغضاً لأهل الحق، ولطالبى الإصلاح في الأمة، ويريد بذلك تكريس حكومة المبطلين، والضالين، والأشرار على الأخيار..

وحين تحدث عن العذاب الأخروي، الذي لا يكون إلا بإذن الله، فقد أجابه الحسين «عليه السلام»: بأن الله تعالى رحيم بمربوبيه، ولا يعذب بالنار من لا ذنب له.. فما بالك بأحبابه وأوليائه؟!

وعلى قاعدة المجازاة مع الطرف الآخر في منطقته يقول «عليه السلام»:

لو فرض أن ما عليه الحسين «عليه السلام» من طهر وطاعة لله، إن كان لا يكفي لدخوله الجنة والنجاة من النار، وكان بحاجة للشفيع،

فإنه معه شفيعاً مطاعاً، وهو رسول الله «صلى الله عليه وآله».. فهو «عليه السلام» ناج على كل حال. إما لاستحقاقه النجاة بنفسه، أو لوجود أعظم الشفعاء له، وهو رسول الله «صلى الله عليه وآله». هذا عدا أنه يقدم على رحيم يدخله الجنة برحمته وعفوه.

فإن تكلم هؤلاء الأشرار بمنطق العصبية، فإن رسول الله «صلى الله عليه وآله» جد الحسين «عليه السلام»، وليس جداً لأحد منهم..

وإن تكلموا بمنطق الاستحقاق، فإن الحسين «عليه السلام» ليس فقط لا يستحق عذاباً، وإنما هو على رأس أهل الطاعة والانقياد لله تعالى، والتضحية في سبيله سبحانه.

أنا من خير إلى خير:

وقد أضاف في رواية عيون المعجزات قوله: وأنا من خير إلى خير.. والهدف من هذا البيان هو: أن يعرف الأعداء أن الموت قتلاً لا يفت في عضده «عليه السلام»، لأنه لا يرى فيه خسارة له، بل هو ينتقل من خير إلى خير، فإن كانوا يريدون تهديده بالموت، فذلك لا يفيدهم شيئاً..

وهذه الحقيقة لا بد أن تخفف من وهج ما يعدونه نصراً لهم على الحسين، وتحرمهم من الفرح بجريمتهم، ومن التشفي بها.

يا لها من دعوة!!:

١ - إن السؤال عن اسم شخص لا يعني أن السائل لا يعرف

اسمه، ولا سيما إذا كان المسؤول عنه معروفاً عند الكثيرين. وعلى هذا، فقد يكون السؤال تقريرياً، وقد يكون توطئة وتمهيداً لأمر آخر له ارتباط بالاسم. كما لو أراد السائل أن يستحضر الاسم لجعله موضوعاً لحكم يصدره عليه، أو مورداً لدعاء يخصه به، لاستحقاقه له.

والظاهر: أنه «عليه السلام» قد نحى هذا المنحى هنا لكي يوجد لدى سامعيه نحواً من الربط الذهني، والمناسبة بين الاسم، وبين دعائه عليه، فحين قيل له: مالك بن حوزة، أو عبد الله بن جويرة قال: اللهم حزه (أو جره) إلى النار.

٢ - إنه «عليه السلام» حسب رواية عيون المعجزات قد رفع يديه نحو السماء حتى رأى الناس بياض إبطيه.. وذلك لتكون حركته هذه دالة دلالة حسية، لا يمكن الريب فيها على أنه «عليه السلام» يدعو على ذلك الرجل.

٣ - إن ابن جويرة بدل أن يكف عن بغيه، ويتراجع.. قد تمادى في غيه، وحمل على الإمام «عليه السلام».. وهذا غاية الحمق والخذلان، فقد كان عليه أن يعتبر بمن كانوا يتعرضون لدعاء الأئمة والأولياء والأنبياء، فكان العذاب ينزل عليهم مباشرة.

٤ - ثم جاءت استجابة الدعاء المباشرة، لتكون عبرة لذلك الجيش الباغي كله، وحجة عليه، وجعله أمام تناقض وجداني فيما يقدم عليه. ولتكون كرامة إلهية للإمام الحسين «عليه السلام»، ولتزيد في بصيرة

أهل بيته، وأصحابه، وسائر من معه..

ولتدرك الأجيال المتوالية بعدهم الفوارق العميقة بين أهل الحق، وأهل الباطل، وبين أولياء الله، وأولياء الشيطان..

٥ - وقد جاء سجود الإمام الحسين «عليه السلام» شكراً لله، وطاعة وخضوعاً له، أمام ذلك الجيش كله ليكون التعبير العملي عن التلذذ بمحبة الله سبحانه، وعن الشكر لمواهبه، والامتنان لألطافه الظاهرة والباطنة، ولترسيخ هذا الحدث في أذهانهم.

٦ - أما قوله «عليه السلام»: «يا لها من دعوة ما كان أسرع إجابتها» فهو من أجل أن لا يتلهى الناس بما يجري على ذلك الرجل المجرم من مكاره يستحقها. ويعود بهم إلى المسار الطبيعي للأمور، إذ إن ما يجب التركيز عليه، والتأمل فيه، وأخذ العبرة منه، والتفاعل مع مقتضياته هو:

ألف: هذه الاستجابة السريعة لدعاء الإمام الحسين «عليه السلام» على من آذاه..

ب: أن يفكروا بمصيرهم هم أنفسهم، حين يقدمون على ما هو أعظم من الأذى اللساني لهذا الإمام الذي له هذا المقام عند الله تعالى. حيث كانوا بصدد قتله، وسبي عياله، والتتكيل، والإجرام في حقه، مما لا يخفى على ذي عينين.

٧ - ثم إن الإمام الحسين «عليه السلام» رفع صوته ونادى..

«اللهم إنا أهل نبيك، وذريته، وقرابته، فاقصم من ظلمنا، وغصبنا

حقنا، إنك سميع مجيب».

فهذا دعاء صريح منه «عليه السلام» على من ظلمهم، يورده «عليه السلام» على مسامع كل من حضر بعد استجابة دعائه «عليه السلام» على من آذوه، ولكن لم يؤثر هذا وذاك في ذلك الجيش الذي يعد بعشرات الألوف، ولا حتى في بعض أفرادهم، لأن الله طبع على قلوبهم، حين اختاروا طاعة الشيطان..

خواتيم حاسمة لليلة العاشرة:

ونصل هنا إلى نهايات ما جرى ليلة العاشر، فنجد ما يلي:

روى الصدوق، عن عبد الله بن منصور، عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، عن أبيه، عن جده زين العابدين «عليهم السلام»: إن الحسين «عليه السلام» أمر بحفيرة، فحفرت حول عسكره شبه الخندق.

وأمر فحشيت حطباً.

وأرسل علياً ابنه «عليه السلام» في ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً ليستقوا الماء، وهم على وجل شديد.

وأنشأ الحسين «عليه السلام» يقول:

يَا دَهْرُ أَفْ لَكَ مِنْ خَلِيلٍ	كَمْ لَكَ فِي الْإِشْرَاقِ وَالْأَصِيلِ
مِنْ طَالِبٍ وَصَاحِبٍ قَتِيلٍ	وَالدَّهْرُ لَا يَقْنَعُ بِالْبَدِيلِ
وَإِنَّمَا الْأَمْرُ إِلَى الْجَلِيلِ	وَكُلُّ حَيٍّ سَالِكِ السَّبِيلِ

ثم قال لأصحابه: قوموا فاشربوا من الماء يكن آخر زادكم.
وتوضؤوا.

واغتسلوا.

واغسلوا ثيابكم لتكون أكفانكم.

ثم صلى بهم الفجر.

وعبأهم تعبئة الحرب.

وأمر بحفירתه التي حول عسكره فأضرمت بالنار، ليقاتل القوم من
وجه واحد^(١).

ونقول:

دلنا هذا النص على أمور مهمة، وحل لنا مشكلات، نحتاج إلى
حلها، لكي تتضح الصورة، ويسفر الصبح لذي عينين، فلاحظ ما يلي:

الإستسقاء ليلة العاشر:

تقدم: أن العباس «رضوان الله تعالى عليه» كان في ليلة سابقة قد
هاجم الذين وضعهم عمر بن سعد على المشرعة، وكان معه
«رضوان الله تعالى عليه» جماعة فيهم نافع بن هلال، فجاؤوا

(١) الأُمالي للصدوق ص ١٣٣ و ١٣٤ و (ط مؤسسة البعثة) ٢٢٠ و ٢٢١
وبحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣١٦ و ٣١٧ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧
ص ١٦٥ و ١٦٦ ومدينة المعاجز ج ٣ ص ٤٧٣ وعن الدمعة الساكية ج ٤
ص ٢٧٥.

بالماء..

وهذا النص المروي عن الإمام السجاد «عليه السلام» يصرح:
بأن الإمام «عليه السلام» قد أرسل ولده علياً الأكبر، في ثلاثين فارساً،
وعشرين راجلاً ليأتوا بالماء. وذلك قبيل الفجر من ليلة العاشر.

ولعل إرسال العشرين من الرجال مع الفرسان، ليتولى الفرسان
حماية الرجال الذين يتولون ملء القرب، لقدرتهم على التحرك في كل
اتجاه، ولأن الفرسان هم الأقدر على صد عدوان الذين وضعهم ابن
سعد على المشرعة، ويمكنهم مشاغلهم في لحظة ملئهم للقرب.

لا بد من الحصول على الماء:

وكان الحصول على هذا الماء ضرورياً، لأنهم كانوا بأمس
الحاجة إليه، لينتهي أصحاب للمواجهة الحاسمة، وللاستشهاد، الذي
أراد «عليه السلام» أن يكون مستوفياً لأعلى المواصفات الشرعية،
وأفضل الحالات الإيمانية والنفسية، مع مزيد من الشعور، بالطهر،
والصفاء، ومع إقبال مفعم بالرضا، والشوق للقاء الله سبحانه.. حيث
يلاحظ:

١ - أنه «عليه السلام» بهذه الحركة القوية يكون قد وضع
أصحابه في أشد اللحظات خطورة في امتحان عملي حاسم وبالغ
التأثير، يظهر قدرتهم، وتتجلى فيه جرأتهم على المواجهة لعدوهم
الباغي عليهم، والظالم لهم..

٢ - يلاحظ أيضاً: أنه «عليه السلام» يعيد ربما للمرة الثالثة، أو

أكثر إنشاد الأبيات التي تذكّر بحال الدهر، وبالسنن الجارية في الناس. وأن الإنسان المؤمن يسلم أمره إلى الله تعالى، فيقوم بما يجب عليه، واضعاً الأمور في مواضعها، ويتعامل معها، ويرصد مسارها بوعي، وتدبر وتأمل، مستفيداً من مقارنة الأمور بعضها ببعض، ويضع كل شيء في موضعه الطبيعي، ويتلقاه على ما هو عليه، ومن دون تضخيم، أو انتقاص.

ويستفيد من مقارنته المشار إليها الفكرة والعبرة، ولا يتعامل مع الأمور بالانفعال، أو بالهوى، أو ما إلى ذلك..

٣ - إنه «عليه السلام» قد أمر أصحابه:

أولاً: بالشرب من الماء.

ثانياً: بالوضوء.

ثالثاً: بالغسل.

رابعاً: بغسل ثيابهم، لتكون أكفانهم.

خامساً: إن الحسين «عليه السلام» تحنط هو وجميع أصحابه..

سادساً: إنه «عليه السلام» حين اطلّى بالنورة، وكذلك أصحابه قد استفاد من المسك الكثير.. وهذا أمر له آثاره، الإيجابية على الجسد وعلى الروح، كما أن له تأثيراته النفسية على كل من يقترب من هؤلاء الصفة ويشم رائحتهم، وهم أحياء، ولا سيما بعد أن تتناهبهم السيوف، ويتسربلوا بدمائهم، فإن لروائح المسك في هذه الساعات تأثيرها العميق في حين أن من يقترب من أعدائهم وهم أحياء، أو

يقترّب من جثث قتلاهم لا يجد إلا روائح جيف، ونتناً يثير الغثيان.
سابعاً: سيأتي أنه «عليه السلام» قد استفاد من الماء ليس فقط في
 الوضوء والغسل، وغير ذلك، وإنما في عملية الاطلاع بالنورة أيضاً،
 التي هي زيادة في التطهير، وإزالة للشعر الذي لا حاجة له، ولا
 يحتاج البدن للاحتفاظ به.

وإن كان يمكن أن يكون الغسل والاطلاء قد حصلوا في وقت
 واحد لأنه «عليه السلام» أراد تطهير أبدانهم، وأرواحهم بهذا الماء
 الذي حصلوا عليه بجهد جهيد - وعلى وجل شديد - كما صرحت به
 الرواية..

فظهر: أن هذا التطهير العملي، والإعداد الروحي هو الوظيفة
 العملية الأهم والمستعجلة لهذا الماء، ولم يكن يريده لمجرد إزالة
 العطش أو أي حاجة أخرى..

ومن الواضح:

أولاً: إن الوضوء هو إزالة للحدث، الذي هو حالة معنوية، لها
 ارتباط بالنفس والروح..

ثانياً: إن الغسل المقدم على الموت قتلاً أو استشهاداً واستعداداً
 له، واعتباره بديلاً عن غسل الميت له أثره العميق في ترويض النفس
 على المواجهة العملية لهذا الاستشهاد، والتقرب منه خطوة خطوة،
 وإزالة حالة الخوف والوجل منه.

ولاسيما إذا انضم إلى ذلك التحنط أيضاً، وهو لا يكون إلا

للميت..

ثالثاً: إن توليهم غسل ثيابهم بأيديهم بنية أنها البديل عن أكفانهم، بل لتكون هي الكفن لهم، واهتمامهم بأن تكون نظيفة وطاهرة حين نيلهم درجة الشهادة هو خطوة أخرى على طريق التصفية والترقية، التي يحصلون عليها بجهدهم هذا..

رابعاً: ونلفت النظر أخيراً: بأن أمر الحسين «عليه السلام» أصحابه بشرب الماء، وأنه سيكون آخر زادهم. يشير إلى نفاد الماء من الخيام منذ تلك اللحظة، أي منذ آخر ليلة العاشر..

ومن الواضح: أن من يبذل جهداً في جو حار كبلاد العراق سرعان ما يجد نفسه بحاجة إلى الماء، ويواجه العطش الذي سيشدد عليه ساعة بعد ساعة.

الإطلاع بالنورة:

١ - قال البلاذري: أَمَرَ الْحُسَيْنُ «عليه السلام» بِفُسْطَاطٍ قَضْرَبَ، فَأُطْلِيَ فِيهِ بِالنُّورَةِ، ثُمَّ أَتِيَ بِجَفَنَةٍ أَوْ صَحْفَةٍ، فَمِثَّ فِيهَا مِسْكٌ، وَتَطَيَّبَ مِنْهُ، وَدَخَلَ بُرَيْرُ بْنُ خُضَيْرٍ الْهَمْدَانِيُّ فَأُطْلِيَ بَعْدَهُ، وَمَسَّ مِنْ ذَلِكَ الْمِسْكِ، وَتَحَنَّنَ الْحُسَيْنُ «عليه السلام» وَجَمِيعُ أَصْحَابِهِ^(١).

٢ - عن غلام لعبد الرحمن بن عبد ربّه الأنصاري: كُنْتُ مَعَ مَوْلَايَ، فَلَمَّا حَضَرَ النَّاسُ وَأَقْبَلُوا إِلَى الْحُسَيْنِ «عليه السلام»، أَمَرَ

(١) أنساب الأشراف ج ٣ ص ٣٩٥ و (ط دار التعارف) ج ٣ ص ١٨٧.

الحُسَيْنُ «عليه السلام» بِفُسْطَاطٍ قُضِرَبَ، ثُمَّ أَمَرَ بِمِسْكٍ فَمِثَّ فِي جَفْنَةٍ عَظِيمَةٍ أَوْ صَحْفَةٍ، قَالَ: ثُمَّ دَخَلَ الْحُسَيْنُ «عليه السلام» ذَلِكَ الْفُسْطَاطَ، فَتَطَلَّى بِالنُّورَةِ.

قَالَ: وَمَوْلَايَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ وَبُرَيْرُ بْنُ حُضَيْرٍ الْهَمْدَانِيُّ عَلَى بَابِ الْفُسْطَاطِ تَحْتَكَ مَنَاجِبُهُمَا، فَازْدَحَمَا أَيُّهُمَا يَطْلِي عَلَى أَثَرِهِ، فَجَعَلَ بُرَيْرٌ يُهَازِلُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: دَعْنَا، فَوَاللَّهِ، مَا هَذِهِ بِسَاعَةٍ بَاطِلٍ.

فَقَالَ لَهُ بُرَيْرٌ: وَاللَّهِ، لَقَدْ عَلِمَ قَوْمِي أَنِّي مَا أَحْبَبْتُ الْبَاطِلَ شَائِبًا وَلَا كَهْلًا، وَلَكِنْ - وَاللَّهِ - إِنِّي لَمُسْتَبْشِرٌ بِمَا نَحْنُ لَاقُونَ، وَاللَّهِ، إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْحُورِ الْعَيْنِ إِلَّا أَنْ يَمِيلَ هَؤُلَاءِ عَلَيْنَا بِأَسْيَافِهِمْ، وَلَوْ دِدْتُ أَنَّهُمْ قَدْ مَالُوا عَلَيْنَا بِأَسْيَافِهِمْ.

قَالَ: فَلَمَّا فَرَعَ الْحُسَيْنُ «عليه السلام» دَخَلْنَا قَاطِلِينَا. ثُمَّ إِنَّ الْحُسَيْنَ «عليه السلام» رَكِبَ دَابَّتَهُ، وَدَعَا بِمُصْحَفٍ، فَوَضَعَهُ أَمَامَهُ. قَالَ: فَاقْتَتَلَ أَصْحَابُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ قِتَالًا شَدِيدًا، فَلَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ قَدْ صُرَعُوا أَقْلْتُ وَتَرَكْتُهُمْ^(١).

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٢٣ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٢١ وموسوعة الإمام الحسين ج ٤ ص ٩١ عنه، وعن الكامل في التاريخ ج ٤ ص ٦٠ والبداية والنهاية ج ٨ ص ١٧٨ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٨ ص ١٩٣ وفيه: يزيد بن حصين. وكلاهما نحوه. وراجع: الملهوف ص ١٥٤ ومثير الأحزان ص ٥٤ و (ط المكتبة الحيدرية) ص ٣٩ وأنساب

وعند ابن طاووس: «وَأَمَرَ بِجَفَنَةٍ فِيهَا مِسْكٌ كَثِيرٌ، وَجُعِلَ فِيهَا نُورَةٌ، ثُمَّ دَخَلَ لِيَطَّلِيَ. فَرُوي أَنَّ بَرِيرَ بْنَ حُصَيْنٍ الْهَمْدَانِيَّ الْخ...»^(١).
ثم ذكر قصة الممازحة السابقة.

وفي رجال الكشي للشيخ الطوسي: وَلَقَدْ مَزَحَ حَبِيبُ بْنُ مُظَاهِرِ الْأَسَدِيِّ، فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ بْنُ خُضَيْرٍ الْهَمْدَانِيُّ (-) وَكَانَ يُقَالُ لَهُ: سَيِّدُ الْقُرَاءِ (-): يَا أَخِي، لَيْسَ هَذِهِ بِسَاعَةٍ ضِحْكٍ!

قال: فَأَيُّ مَوْضِعٍ أَحَقُّ مِنْ هَذَا بِالسُّرُورِ؟ وَاللَّهِ، مَا هُوَ إِلَّا أَنْ تَمِيلَ عَلَيْنَا هَذِهِ الطَّغَامُ بِسُيُوفِهِمْ، فَتُعَانِقَ الْحُورَ الْعَيْنَ^(٢).

ونقول:

تذكير:

أولاً: إن برير بن حضير هو سيد القراء في الكوفة، ولا حاجة إلى التذكير بالتصحيح الذي نشهده في كلمتي برير ويزيد، وفي كلمتي

الأشراف ج ٣ ص ٣٩٥ و ٣٩٦ مع بعض الاختلاف. وأعيان الشيعة ج ٣ ص ٥٦١ وج ١ ص ٦٠١ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص ١١٥ وإبصار العين ص ١٢١ ولواعج الأشجان ص ١٢٢.
(١) الملهوف ص ١٥٤ و (نشر أنوار الهدى) ص ٥٧ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٢٤٥.
(٢) إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ج ١ ص ٢٩٣ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ٩٣ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٣٣٤ وقاموس الرجال ج ١١ ص ٩٨.

حصين وحضير.

ثانياً: لعل حبيب بن مظاهر مازح برير أولاً. ثم مازح برير عبد الرحمان بن عبد ربه.

ثالثاً: قد يقال: إن ظاهر عبارة الرواية المروية عن غلام عبد الرحمان بن عبد ربه: أن الإطلاء بالنورة قد حصل في اليوم العاشر، بعد حضور الناس وإقبالهم إلى الحسين «عليه السلام»، إذا كان المراد بالناس هو جيش الأعداء.

غير أننا نستبعد كثيراً أن يأتيه الأعداء لمهاجمته، فيتشاغل بعد مجيئهم بضرب الفسطاط، ثم الإطلاء بالنورة، إذ لو أن الأعداء هاجموا في هذه اللحظات لوقع اللوم عليه، واتهم بالتقصير، بل إن هذه التهمة تلحقه، لو لم يهاجمه الأعداء. ولذا فنحن نرجح أن يكون قد فعل ذلك قبيل الفجر، وقبل مجيء عسكر الأعداء للهجوم عليه وعلى أصحابه.

الإطلاء بالنورة يحتاج إلى الماء:

قالوا: لا يمكن الإطلاء بالنورة من دون ماء.. والمفروض أن الماء قد منع عن الحسين وأصحابه منذ اليوم السابع من المحرم.

وأجابوا:

أولاً: بأن من الممكن التصرف بالنورة بحيث تزيل الشعر من دون أن تحرق موضعها.. فمثلاً: إن خلط الملح بالزاج يولد رطوبة بحيث يصير كالخمير، مع أنهما يابسان في الأصل، كما أن مزج الروح بالنشادر والسليمان يصبّر الأرض ذائبة مائعة، من دون

حاجة إلى ماء..

كما أن مزج بعض الأجسام ببعضها يولد ناراً..

فلعل مزج المسك بالنورة يجعل النورة تزيل الشعر من دون أن تحرق موضعها. (أو لعله أضاف للنورة، أو للمسك شيئاً يؤدي إلى هذه النتيجة).

ثانياً: أجابوا أيضاً: بأن من الممكن أن يكون لدى الحسين وأصحابه مياه آبار تصلح للغسل، والوضوء، وغير ذلك، ولا تصلح للشرب^(١).

ثالثاً: قلنا تحت عنوان: «خواتيم حاسمة لليلة العاشر»: إن الرواية عن الشيخ الصدوق، عن الإمام السجاد «عليه السلام» تقول: إنه «عليه السلام» قال لأصحابه قبيل الفجر من ليلة العاشر: قوموا فاشربوا من الماء يكن آخر زادكم.. وهذا يدل على وجود الماء بمقدار ما يشربون، ويتوضؤون، و.. و..

رابعاً: إن نفس تلك الرواية عن الإمام السجاد تقول: إنه «عليه السلام» أرسل ولده علياً في ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً ليستقوا الماء، وهم على وجل شديد..

ولا نرى أن المقصود بالوجل هنا هو الخوف من الموت، لمجرد كونه موتاً أو قتلاً، بل المراد به الحذر الشديد من انكشاف أمرهم.

(١) راجع: كتاب الإمام الحسين وأصحابه ج ١ ص ٢٦٠.

خامساً: قد يقال: ليس في هذه الرواية: أن جميع أصحاب الإمام الحسين «عليه السلام» قد أطلوا ليحتاج إلى ماء كثير..

ونجيب:

بأن العبارة في آخر الرواية تدل على أن الجميع قد أطل.. ولذا قال ذلك الغلام: «فَلَمَّا فَرَعَ الْحُسَيْنُ «عليه السلام» دَخَلْنَا فَاطِلِينَا».

إلا أن يكون مراده: اطلينا نحن الثلاثة الغلام الذي يروي الحديث، وسيده عبد الرحمان بن عبد ربه، وبرير.

وفي جميع الأحوال نقول:

إن الرواية عن الإمام السجاد أيضاً قد ذكرت: أنه «عليه السلام» أمر أصحابه، بالوضوء، والغسل، وغسل ثيابهم. وهذا يشير إلى أن الماء كان متوفراً بحيث يكفيهم جميعاً.

القسم الخامس:

أحداث عاشوراء...

الباب الأول:

من أحداث يوم عاشوراء..

الفصل الأول:

في المواجهة..

دعاء الحسين صبيحة يوم عاشوراء:

عن علي بن الحسين زين العابدين «عليه السلام» قال: لَمَّا صَبَحَتِ
الْخَيْلُ الْحُسَيْنَ «عليه السلام»، [وعند ابن الأثير: فَاقْتَتَلَ أَصْحَابُهُ بَيْنَ
يَدَيْهِ بَدَل: لَمَّا صَبَحَتِ الْخَيْلُ الْحُسَيْنَ «عليه السلام»] رَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ:
اللَّهُمَّ أَنْتَ تَقْتِي فِي كُلِّ كَرْبٍ، وَرَجَائِي فِي كُلِّ شِدَّةٍ، وَأَنْتَ لِي فِي كُلِّ
أَمْرٍ نَزَلَ بِي ثِقَةٌ وَعُدَّةٌ.

كَمْ مِنْ هَمٍّ يَضْعُفُ مِنْهُ الْفُؤَادُ، وَتَقَلُّ فِيهِ الْحِيلَةُ، وَيَخْذُلُ فِيهِ
الصَّدِيقُ، وَيَشْمَتُ فِيهِ الْعَدُوُّ، أَنْزَلَهُ بِكَ، وَشَكَّوْهُ إِلَيْكَ، رَغَبَ مِنِّي إِلَيْكَ
عَمَّنْ سِوَاكَ، فَفَرَّجْتَهُ وَكَشَفْتَهُ، وَأَنْتَ وَلِيُّ كُلِّ نِعْمَةٍ، وَصَاحِبُ كُلِّ
حَسَنَةٍ، وَمُنْتَهَى كُلِّ رَغْبَةٍ^(١). [في تاريخ مدينة دمشق: كُلُّ غَايَةٍ].

(١) الإرشاد ج ٢ ص ٩٦ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ٤ وتاريخ الأمم والملوك ج ٥
ص ٤٢٣ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٢١ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٤ ص ٢١٧
وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر ص ٣١٣ ونهاية الأرب ج ٢٠ ص ٤٣٩
والوفاي بالوفيات ج ١٢ ص ٢٦٥ والطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من
الصحابة) ج ١ ص ٤٦٨ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص ٧١
والكامل في التاريخ ج ٤ ص ٦٠ وراجع: سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣٠١
ونظم درر السمطين ص ٢١٦ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص ١١٥ وإبصار

ونقول:

نظرتان ونهجان:

١ - هناك فريق من الناس - وهم الأكثر - يعتمدون في مواجهة الشدائد والأهوال على قدراتهم الذاتية وما يمكن أن يقدموه من جهد، وما أعدوه لها من عتاد، وسلاح، ومال ورجال، وما إلى ذلك.. وهنا يبرز عامل المقارنة بين ذلك كله، وبين ما يملكه الطرف الآخر للتحدي، وتتبلور لديهم احتمالات الربح والخسارة، على هذا الأساس، حيث يكون الحجم المادي المتوفر للقدرات والإمكانات هو الذي يفرض نفسه عليهم، ويكون منطلقهم لبناء تصوراتهم وتقييماتهم، وكثرة الاحتمالات لديهم. وتبعاً لهذا وذاك، تتبلور لديهم الانفعالات والمشاعر، وتنطلق في مخيلتهم الأوهام، وتعرض لهم الخواطر..

وهناك فريق آخر من الناس، وهم ثلة من الأولين وقليل من الآخرين، ينظرون إلى الأمور بصورة مختلفة، فهم يضعون كل شؤون الحياة وحالاتها، وتقلباتها، وشدائدها وانفراجاتها، ضمن رؤيتهم للسياق الكوني في مساره العام، الذي يجب أن يكون خاضعاً للتدبير الإلهي، فيجعل هؤلاء كل حركتهم ومواقفهم، بل كل وجودهم في دائرة رضا سبحانه، وفيما ينسجم مع السنن التي وضعها الله تعالى، وباتجاه الأهداف التي رسمها. فكان كل همهم هو الوصول إلى

العين ص ٣٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١١ ص ٦١٣ وج ١٢
ص ٢٩٣ وج ١٩ ص ٤١٥ وج ٢٧ ص ٢٠٩.

هذه الأهداف في نطاق أوامره وزواجه، ودلالاته، وما يحقق رضاه، فهم على هدى من ربهم، وأولئك هم المفحطون..

٢ - ظهر بما أشرنا إليه أن مسار الفريق الأول، قد اختزل كل ما هياه الله تعالى له، ومكنه منه، في شخصه هو كفرد، واختصره وصغره، ووضعته في قمم أهوائه الذاتية الصغيرة، والمحدودة، والتافهة. فكانت أهواؤه، ومصالحه الشخصية هي المحور والمنطلق، وهي الهدف الأقصى، الذي يريد من أجله أن يلج الجبل في سم الخياط^(١).

أما هذا الفريق الثاني، فقد نظر إلى ما سخره الله له في هذا الوجود نظرة رحيبة، تضع كل شيء في مواضعه، وفق السنن الإلهية، والهدايات الربانية. من دون أن تهمل الجهد الفردي للأشخاص، كما سنرى، بل هي تتبنى هذا الجهد، وتحرص عليه، وتعطيه دوره، وتعترف بقيمته، وحيويته.

وعلى هذا الأساس، ولأجل تأكيد هذه الحقيقة: جاء هذا الدعاء الحسيني في هذه اللحظات بالذات..

مرتكزات النهج الإيماني:

وقد تضمن هذا الدعاء، إشارات إلى مرتكزات نهج أهل الإيمان في نطاق الجهد الإنساني في الدائرة الفردية، والعناصر التي يجب أن

(١) سم الخياط: هو خرم الإبرة.

تتوفر له ليكون عملاً مؤثراً ومنتجاً، ومرضياً له تعالى. فنجد أنه «عليه السلام» قد أشار إلى الأمور التالية:

١ - الثقة المطلقة بالله، ولاسيما في الشدائد والأهوال، واليقين بقدرته على كشف كل كرب، وهذا التعميم غير قابل للتجزئة، ولا يسمح بتخير الحالات، ولا أن تقصر عن مداها المطلوب في أية حالة منها. فقد قال «عليه السلام»: أنت ثقتي في كل كرب.

٢ - حصر الرجاء بالله تعالى، والأمل بتدخله بصورة مباشرة وفعلية، مع امتداد هذا الرجاء وشموله لكل شدة تواجه الإنسان دون استثناء.

مع الإدراك العميق بأن هذا التدخل لا يمكن أن يكون إلا في نطاق التكامل الانساني، وفي الدائرة التي تضمن فيها السعادة للإنسان المؤمن في الدنيا والآخرة.. ولذلك قال «عليه السلام»: ورجائي في كل شدة.

٣ - شعور الإنسان المؤمن: بأن الله سبحانه هو العدة التي يعتمد عليها، فليست عدته هي قدراته الذاتية، وما لديه من قوة في الجسد، وغزارة في العلم، وكثرة في الأموال، والرجال، وحصافة في الرأي، ونشاط في العقل، وما له من نفوذ، أو جاه، أو قدرة على المكر، أو الغدر، وما إلى ذلك مما يتوسل به بعض الناس أو أكثرهم إلى مقاصدهم. ولذلك قال «عليه السلام»: «وَأَنْتَ لِي فِي كُلِّ أَمْرٍ نَزَلَ بِي ثِقَةٌ وَعُدَّةٌ».

ثم ذكر «عليه السلام» شواهد مستلة من الواقع العملي، تدلل على هذه الحقيقة وتؤكد لها في عمق الوجدان، فقال: «كَمْ مِنْ هَمٍّ يَضْعُفُ مِنْهُ الْفُؤَادُ، وَتَقَلُّ فِيهِ الْحِيلَةُ، وَيَخْذُلُ فِيهِ الصَّدِيقُ، وَيَشْمَتُ فِيهِ الْعَدُوُّ، أَنْزَلَتْهُ بِكَ وَشَكَّوْهُ إِلَيْكَ رَغْبَةً مِنِّْي إِلَيْكَ عَمَّنْ سِوَاكَ، فَفَرَّجَتْهُ وَكَشَفَتْهُ».

فترى أنه «عليه السلام»، قد أشار في كلماته هذه إلى أمور ثلاثة، هي:

١ - الضعف الذاتي الكامن في وجود الإنسان، حيث إنه ليس فقط لا يجد لديه ما يقاوم به ذلك الهم، بل يكون هذا الهم من موجبات زيادة الضعف، ويؤكد الشعور بالفشل، وبالهزيمة النفسية أمامه فقال «عليه السلام»: «كَمْ مِنْ هَمٍّ يَضْعُفُ مِنْهُ الْفُؤَادُ».

٢ - فقدان الوسائل، وغموض الحلول التي تعين على التخلص من ذلك الهم، أو التغلب عليه. حتى ما يأتي منها من خارج، بل هو لا يكاد يهتدي إلى تلك الوسائل، حتى لو كان يملك شيئاً منها، ولذا قال «عليه السلام»: «وَتَقَلُّ فِيهِ الْحِيلَةُ».

٣ - حتى إذا أراد أن يستفيد من قدرات الغير لدفع ذلك الهم، فإنه لا يجد لدى الغير من يبذل له هذه المعونة. بل يجد منهم الصدود، والنأي بأنفسهم عن ذلك.. ولا يقتصر هذا الأمر على عامة الناس، بل هو ينسحب على أخص الناس به، وأقربهم منه، وإليه، وهم أصدقائه، الذين يرى فيهم مصدر أنس، ويشعر معهم بالرضا والسلام والسلامة.

ولذا قال «عليه السلام»: ويخذل فيه الصديق.

ولكنه حين صرف نفسه عن كل ذلك، ولجأ إلى الله سبحانه، وجعل أمر كشف هذا الهم إليه تعالى، فإن الله قد فرجه، وكشفه عنه..

ثم ألمح «عليه السلام» إلى خصوصية كانت هي السبيل، والمحور والسبب لهذه الاستجابة، وذلك حين قال: رغبة مني إليك عن سواك. فإن هذه الكلمة تعبير عن قطع الأمل، وفقدان الميل إلى التعامل مع كل من عدا الله تعالى، بل والعزوف والرغبة عنه، وتبديله بميل وانقطاع إليه سبحانه، ورغبة فيما عنده. وهذا إنما يتحقق لدى الخُص من المؤمنين.

ثم ذكر ما يصلح تعليلاً لهذا التحول، وهي الأمور الثلاثة التالية:

١ - إنه تعالى ولي كل نعمة، فإذا كانت جميع النعم تنتهي إليه، فلا معنى لطلب النعم من فاقدها. والنعم هي تعين على حل الشدائد، ودفع الكربات.

٢ - إنه تعالى صاحب كل حسنة، ومعنى انحصار مصدر الحسنات به تعالى أن يكون ما يأتي من غيره ليست له هذه الصفة، أعني صفة الحسن.. إن لم يكن مما يؤذي ويسيء! وهل يدفع الهم بما يسيء ويؤذي؟!!

٣ - إنه تعالى منتهى كل رغبة، أو غاية. فما معنى الاستعانة بما ومن لا يوصل إلى شيء، ولا يحقق رغبة، ولا ينتهي إلى غاية؟!!

تعبئة المعسكرين:

قال الخوارزمي: لما أصبح الحسين «عليه السلام» يوم الجمعة - عاشر محرم - وفي رواية يوم السبت - عبأ أصحابه^(١).

عن أبي مخنف، عن عبد الله بن عاصم، عن الضحّاك بن عبد الله المشرقي: عبأ الحسين «عليه السلام» أصحابه، وصلى بهم صلاة الغداة، وكان معه اثنان وثلاثون فارساً وأربعون رجلاً [وفي تذكرة الخواص: وقال قوم: كانوا سبعين فارساً ومئة رجل]. وقيل: كان معه ثلاثون فارساً، [وعند الخوارزمي: وفي رواية: اثنان وثمانون رجلاً]، فجعل زهير بن القين في ميمنة أصحابه، وحبيب بن مظاهر في ميسرة أصحابه، وأعطى رائته العباس بن علي أخاه «عليه السلام»...

[زاد الخوارزمي قوله: وثبت مع أهل بيته في القلب]. [وعند ابن نما وغيره: وعبأ [الإمام الحسين «عليه السلام»] أصحابه للقتال، وكانوا خمسة وأربعين فارساً ومئة رجل] (وهي رواية عن الباقر «عليه السلام»).

قال أبو مخنف: حدّثني فضيل بن خديج الكندي، عن محمد بن بشر، عن عمرو الحضرمي، قال: لما خرج عمر بن سعد بالناس، كان على ربع أهل المدينة يومئذ: عبد الله بن زهير بن سليم الأزدي، وعلى ربع

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٤ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ٤.

مَذْحِجٌ وَأَسَدٌ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي سَبْرَةَ الْجُعْفِيُّ، وَعَلَى رُبْعِ رَبِيعَةَ
وَكِنْدَةَ: قَيْسُ بْنُ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ، وَعَلَى رُبْعِ تَمِيمٍ وَهَمْدَانَ: الْحُرُّ بْنُ
يَزِيدَ الرِّيَّاحِيِّ.

فَشَهِدَ هَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ مَقْتَلَ الْحُسَيْنِ، إِلَّا الْحُرَّ بْنَ يَزِيدٍ؛ فَإِنَّهُ عَدَلَ إِلَى
الْحُسَيْنِ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» وَقَتَلَ مَعَهُ.

وَجَعَلَ عُمَرُ عَلَى مَيْمَنَتِهِ: عَمْرُو بْنُ الْحَجَّاجِ الزُّبَيْدِيِّ، وَعَلَى
مَيْسَرَتِهِ: شِمْرَ بْنَ ذِي الْجَوْشَنِ بْنِ شَرْحَبِيلَ بْنِ الْأَعْوَرِ بْنِ عُمَرَ بْنِ
مُعَاوِيَةَ - وَهُوَ الضُّبَّابُ بْنُ كِلَابٍ - [وعند الخوارزمي: وَتَبَّتْ هُوَ فِي
الْقَلْبِ، وَكَانَ جُنْدُهُ اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ أَلْفًا، يَزِيدُ أَوْ يَنْقُصُ] وَعَلَى الْخَيْلِ:
عَزْرَةَ بْنَ قَيْسِ الْأَحْمَسِيِّ [في الإرشاد وغيره: عُرْوَةُ بْنُ قَيْسٍ]، وَعَلَى
الرِّجَالِ: شَبَّثَ بْنَ رَبِيعٍ الرِّيَّاحِيِّ، وَأَعْطَى الرَّايَةَ دُوَيْدَا [في الإرشاد
وغيره: دُرَيْدًا، أَوْ زَيْدًا] مَوْلَاهُ^(١).

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٢٢ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٢٠ وراجع:
الإرشاد ج ٢ ص ٩٥ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٤ وموسوعة
الإمام الحسين عنهم، وعن الكامل في التاريخ ج ٤ ص ٥٩ وراجع: أنساب
الأشراف ج ٣ ص ٣٩٥ و (ط دار التعارف) ج ٣ ص ١٨٧ ومثير الأحزان
ص ٥٣ و ٥٤ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٣٣٨ وراجع:
بحار الأنوار ج ٤ ص ٤ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٢٤٨
والأخبار الطوال ص ٢٥٦ وبغية الطلب في تاريخ حلب ج ٦ ص ٢٦٢٨
ومناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ١٠٠ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣ ص ٢٤٩

زاد المجلسي قوله: وقال محمد بن أبي طالب: وكانوا نيفاً على اثنين وعشرين ألفاً. وفي رواية عن الصادق «عليه السلام» ثلاثين ألفاً^(١).

ونقول:

١ - تقدم في الجزء السابق ذكر الأقوال في أعداد جيش ابن سعد، وقد رجحنا: أن الذين ازدلفوا إليه «عليه السلام» وقاتلوه بصورة مباشرة كانوا ثلاثين ألفاً أو أكثر.. هذا عدا الجيوش التي كانت حول الكوفة. والتي كانت تمسك بمفاصل الطرق، وتهيمن على الحركة في المنطقة كلها، فإنهم كانوا ألوفاً أيضاً.

كما أننا قد ذكرنا الأقوال في عدد أصحاب الحسين «عليه السلام»، فلا حاجة إلى الإعادة.

٢ - قال خالد محمد خالد: ومن عجب أنهم - كما يحدثنا التاريخ - خرجوا لجريمتهم تلك بعد أن صلى بهم قائدهم صلاة الصبح: صحيح أنهم صلوا وقرأوا في آخر صلاتهم: اللهم صل على محمد وآل محمد؟! محمد!

إذن، ما بالهم ينفتلون من صلاتهم ليحصدوا بسيوفهم الأئمة من

والملهوف ص ١٥٨ وعن تذكرة الخواص ص ٢٥١ وراجع: إعلام الوری ج ١ ص ٤٥٧ وروضة الواعظین ص ٢٠٣ و (منشورات الشريف الرضي) ص ١٨٤ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص ١١٣.

(١) بحار الأنوار ج ٤٥ ص ٤ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٢٤٨.

آل محمد؟! (١).

الشمر.. ونار الخندق:

١ - قال أبو مخنف: عن عبد الله بن عاصم، عن الضحّاك بن عبد الله المَشْرَقِيّ قال - وهو يتحدث عما جرى في غداة عاشوراء -: وجعلوا البُيوتَ في ظُهورهم، وأمرَ بحطبٍ وقَصَبٍ كانَ من وراء البُيوتِ يُحرقُ بالنّار؛ مخافة أن يأتوهم من ورائهم (٢).

٢ - قال أبو مخنف: فَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَاصِمٍ قَالَ: حَدَّثَنِي الضَّحَّاكُ الْمَشْرَقِيُّ قَالَ: لَمَّا أَقْبَلُوا نَحُونَا، فَنَظَرُوا إِلَى النَّارِ تَضَطَّرُّ فِي الْحَطَبِ وَالْقَصَبِ، الَّذِي كُنَّا أَلْهَبْنَا فِيهِ النَّارَ مِنْ وَرَائِنَا لِنَلَّا يَأْتُونَا مِنْ خَلْفِنَا، إِذْ أَقْبَلَ إِلَيْنَا مِنْهُمْ رَجُلٌ يَرْكُضُ عَلَى فَرَسٍ كَامِلٍ الْأَدَاةِ، فَلَمْ يُكَلِّمْنَا حَتَّى مَرَّ عَلَى أَبِيائِنَا، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيائِنَا، فَإِذَا هُوَ لَا يَرَى إِلَّا حَطَبًا تَلْتَهَبُ النَّارُ فِيهِ، فَرَجَعَ رَاجِعًا، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا حُسَيْنُ، اسْتَعْجَلْتَ النَّارَ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ!

فَقَالَ الْحُسَيْنُ «عَلَيْهِ السَّلَام»: مَنْ هَذَا؟ كَأَنَّهُ شِمْرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ.

فَقَالُوا: نَعَمْ، أَصْلَحَكَ اللَّهُ، هُوَ هُوَ.

(١) أبناء الرسول في كربلاء ص ١٢٠.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٢٢ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٢٠ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص ١١٣ وراجع: الكامل في التاريخ ج ٤ ص ٥٩.

فَقَالَ: يَا ابْنَ رَاعِيَةِ الْمِعْزَى! أَنْتَ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا.

فَقَالَ لَهُ مُسْلِمُ بْنُ عَوَسَجَةَ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، جُعِلَتْ فِدَاكَ، أَلَا أَرْمِيهِ بِسَهْمٍ؟ فَإِنَّهُ قَدْ أَمَكَّنَنِي، وَلَيْسَ يَسْقُطُ مِنِّي سَهْمٌ، فَالْفَاسِقُ مِنْ أَعْظَمِ الْجَبَّارِينَ.

فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ «عليه السلام»: لَا تَرْمِهِ؛ فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَبْدَأَهُمْ^(١).
أَبْدَأَهُمْ^(١).

ونقول:

قد تحدثنا عن أكثر الفقرات المذكورة آنفاً: باستثناء قصة الشمر،
فنحن نشير هنا إلى بعض ما يرتبط بها، فلاحظ ما يلي:

الشمر تحت وقع المفاجأة:

١ - لقد أظهر هذا النص: أن الشمر فوجئ بالخدق، والحطب والنار، بل إن هذا الأمر قد فاجأ عموم جيش الطغاة أيضاً.

٢ - ويظهر النص المتقدم أيضاً: أن الشمر حين جاء على فرسه، يركض، وهو كامل العدة وقد مر على أبيات الحسين وأصحابه كان يريد استطلاع المكان ليجعل منه منطلق هجوم آخر من الجهة الأخرى، من شأنه أن يسقط مقاومة أنصار الحسين، ويضيع جهدهم، ويشل حركتهم، ويوزع اهتماماتهم، ويفرقهم أيدي سبا.

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٢٣ و ٤٢٤ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٢١ و ٣٢٢ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص ١١٦.

فلما رأى النار والحطب أسقط في يده، ومنى بالخبيبة والحسرة.

٣ - إن مما زاد في حسرة الشمر، وفي خيبته: أنه رأى حطباً كثيراً لا يتوقع خمود ناره في وقت قريب.

ويدل على هذه الكثرة قول النص المذكور آنفاً: «فنظر إلى أبياتنا، فإذا هو لا يرى إلا حطباً تلتهب النار فيه».

ولا ندري إن كان ذلك الحطب قد رصف بطريقة فنية، مع فواصل معينة، من شأنها أن تطيل اشتعال النار، أو تبطئ خمودها..

كأنه شمر بن ذي الجوشن:

وقد رأينا: أن شمر بن ذي الجوشن الذي استفزّه هذا المشهد، قد فعل نفس ما فعله غيره، مثل: مالك بن حوزة، وعبد الله بن جويرة (أو جريرة). وخاطب الإمام الحسين «عليه السلام» بنفس ذلك الخطاب الوقح، الذي خاطباه به، والذي لا مبرر له إلا الجحود والتكذيب لرسول الله «صلى الله عليه وآله» فيما قاله في حق الإمام الحسين «عليه السلام»، من أنه سيد شباب أهل الجنة، بل هو تكذيب للآيات القرآنية التي صرحت بتطهير الحسين «عليه السلام»، من حيث إنه أحد أصحاب الكساء، فضلاً عن أمر الله تعالى بمودة أهل البيت، وهو منهم، وما ورد في سورة هل أتى في حقهم، وغير ذلك.

فأراد «عليه السلام» أن يقول له قولاً له مغزاه ودلالاته، وأن يعرف الناس بشخص من يقصده «عليه السلام» به، فسأل الناس: من

هذا؟! ثم صرح لهم هو نفسه باسمه، ولكن على سبيل التساؤل، والتظني كأنه شمر بن ذي الجوشن، فصدقوا كلامه وقالوا: «هو، هو».

وهذه طريقة رائعة في جلب الانتباه، وتحديد المعني بالكلام الذي يراد إيلاغه.

يا ابن راعية المعزى!!:

ثم كانت الكلمة التي وجهها «عليه السلام» إلى الشمر هي قوله: «يَا ابْنَ رَاعِيَةِ الْمَعْزَى! أَنْتَ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا».

وقد تضمنت هذه الكلمة أمرين:

أحدهما: قوله: «يَا ابْنَ رَاعِيَةِ الْمَعْزَى».

ونحن نعلم: أن الإمام «عليه السلام» لم يكن بصدد شتم شمر بن ذي الجوشن، لأن الإمام «عليه السلام» لا يمكن أن يكون سباباً، وإنما هو يريد التوطئة لمقارنة واقعية تكشف الحقيقة، وتنير الطريق، وذلك على أساس أن رعي المواشي ليس فيه مشكلة في حد نفسه، ولكن أن تكون المرأة هي ترعى، وأن تكون الماشية هي المعزى، السريعة الحركة والتفرق، والانتشار، ويصعب السيطرة عليها حتى على الرجال.

وأن يكون هذا الرعي يستغرق معظم الوقت، ويكون في أماكن بعيدة عن بيوت السكنى، فإن ذلك يرهق المرأة، ويستنفد قواها، ولا يعود لديها القدرة الكافية للقيام بمهامها تجاه أبنائها الذين يفترض فيها

أن ترعاهم، وتهتم بشؤونهم، وتدبر أمورهم من موقع المحبة، وتربيهم وفق ما يريد الله سبحانه، وبما ينسجم مع أحكام شرعه، وأخلاق أنبيائه وأوليائه.

ومن أين لراعية المعزى هذه المعارف بالدين، والقيم، والالتزام بالأخلاق، والتمييز بين الأخلاق الرحمانية الحميدة، وبين الأخلاق الشيطانية الخبيثة؟!

وهل يقاس ابن امرأة لا تعرف اليسير من ذلك كله بابن فاطمة الزهراء «عليها السلام»، سيدة نساء العالمين، وبنت أفضل الأنبياء، وأعز المرسلين؟!

الثاني: قوله «عليه السلام» للشمر: «أنتَ أولى بها صليّاً» قد اتخذ هو الآخر مسار تنشيط الفكر، وتحكيم العقل، من خلال التحليل العقلاني للأمور، فإن ابن راعية المعزى لا يملك من الدين، والأخلاق، والقيم، والمعارف، والطهر، والالتزام، والسلوك الرضي والمتوازن ما يملكه من نشأ في بيت النبوة، ومهبط الوحي، ومعدن الرسالة، ومصدر المعارف، وبيئة الطهر في الوجدان والضمير، وصفاء الروح، وسلامة القلب.

أكره أن أبدأهم بقتال:

وقد رأينا: أن مسلم بن عوسجة، وهو الرجل المتمرس في القتال، والذي لا يخيب له سهم، لم يحتمل جرأة الشمر على الإمام، فاستأذن

الحسين «عليه السلام» بأن يرميه بسهم، فلم يأذن له.

وما أروع هذا الرجل الأبى والوفى، وهو يجسّد الالتزام التام بالتوجيهات، ويمارس ضبط النفس، والانضباط ضمن دائرة الطاعة، والتطبيق الحرفي الدقيق لمرادات إمامه، والرعاية لمقاصده.

مع أنه حين طلب من الحسين «عليه السلام» أن يأذن له برمي الشمر، قد ضمّن كلامه استدلالاً على مشروعية فعله هذا، حيث قال: «فَالْفَاسِقُ مِنْ أَكْثَرِ الْجَبَّارِينَ».

ولكن جواب الإمام قد جاء جازماً، وحاسماً، وحازماً: «لا تَرْمِهِ؛ فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَبْدَأَهُمْ» فما كان من مسلم بن عوسجة إلا الطاعة والإنقياد، دون أي اعتراض أو جدال..

لماذا يكره X بدأهم بالقتال؟!:

وإذا كان هؤلاء جابرة، بل إن بعضهم من أعظم الجبارين. وكانوا يكذبون على الله ورسوله فيما ورد من آيات قرآنية، وبيانات نبوية.

وكانوا خارجين على إمامهم المنصوب من قبل الله ورسوله، وقد جمعوا الجيوش التي تعد بعشرات الألوف من أجل قتله، وقتل أصحابه وذريته، وسبي نسائه، وإذا كانوا قد باشروا عدوانهم عليه بالجعة به، وبمنع الماء عنه، وبادروا إلى الهجوم عليه في اليوم التاسع. وقد اصطفت جيوشهم استعداداً للبطش به. فلماذا يكره الإمام

الحسين «عليه السلام» أن يبدأهم ولو برمي سهم واحد على رجل قد أعلن في كلامه ما يدل على كفره، واستحقاقه للقتل؟!!

ونجيب:

أولاً: لا ريب في وجوب الدفاع عن النفس، إذا تعرض الإنسان لهجوم من عدو باغ وظالم، وإذا جاء العدو بجيوشه، وأعد وتهياً لبدء القتال، ولم يبدأ العدو عدوانه بعد، فيكون للأمر منحى آخر، ونحن نبين ذلك في المورد الذي نحن بصدده على النحو التالي:

إن الذين جعجعوا بالإمام «عليه السلام» وأصحابه كانوا أقل القليل من ذلك الجيش المحتشد في كربلاء.. وهم الألف فارس الذين جاؤوا مع الحر الرياحي.. في حين أن الذين ازدلفوا إلى الإمام «عليه السلام»، يريدون قتله كانوا ثلاثين ألفاً، فضلاً عن الألوف الكثيرة الأخرى التي قد تصل إلى العشرات التي كانت تأخذ بمفارق الطرق، ومداخل مدينة الكوفة، وترصد الحركة، وتهيمن على المنطقة كلها..

ومن المعلوم: أن الجبارين في ذلك الجيش الهائل، أو أعظم الجبابرة منهم كانوا أفراداً قد يعدون بالعشرات أو المئات.. والباقون مرتزقة واتباع، يفعلون ما يطلبه منهم أسيادهم وقادتهم..

ومن جهة أخرى، فإن من المعلوم: أن الإمام «عليه السلام» لا بد أن يراعي أحوال الناس، وأن يكون ناصحاً لهم، رفيقاً بهم، معلماً ومرشداً لهم.. ولا يكون قاسياً عليهم، ولا جافياً..

وهذا يحتم عليه: أن يقيم الحجة على جميع ذلك الجيش الذي جاء

لحربه، ويعرفهم فرداً فرداً بعواقب أفعالهم، وسيئات أعمالهم، ويخرجهم من ظلمات الجهالة والضلالة، ويدعوهم إلى التوبة والكون في مواقع رضا الله تعالى.. وعليه أن يفعل ذلك، رجاء أن يهتدي ولو فرداً منهم.

ومن المعلوم: أن الحرب ما دامت لم تقع، فإن فرصة التوبة والإنابة، حتى لفرد من ذلك الجيش تبقى قائمة.. وليس للحسين «عليه السلام» أن يفرط ولو بشخص واحد..

وحتى لو لم يستجب أحد، فإن نفس أن يضعهم وجهاً لوجه أمام الحقيقة، ولا تبقى لديه أية شبهة أو إبهام، أمر ضروري، ومطلوب.

هذا مع غض النظر عن حق الأجيال اللاحقة أن تعرف الحقيقة، حتى لا تصبح عرضة للتضليل، بادّعاء أن الذنب في هذه الجريمة يقع على القادة، دون الأتباع، الذين يكون جهلهم عذراً لهم، أو من موجبات التخفيف من قبح ما صدر منهم..

ثانياً: إننا نزيد في توضيح ما ذكرناه، على النحو التالي:

إن دعاة الباطل، ليست لديهم حجة يعتمدون عليها، أو يركنون إليها، أو يمكنهم عرضها والمباهاة بها، لأن دعوة الباطل دعوة خراب ودمار، وتقويض للأسس الصحيحة، والراسخة للحياة السعيدة والرغيدة لجميع البشر، في الدنيا والآخرة.

وقد أظهرت نتائج حركة أهل الباطل: أن باطلهم يسهل عليهم السطو على جهد الآخرين، ليكون طعمة لأهوائهم، ووقوداً لشهواتهم،

ومرتعاً للتنفيس عن غرائزهم. فإن بقي لدى الآخرين أية قدرات، فإن هؤلاء الطغاة إذا عجزوا عن مصادرتهم فإنهم يعملون على تدميره، أو شل حركته..

فعدوانية أهل الباطل هي عنوان وجودهم، وبها قوامه، وهي عقده ونظامه، وشرائعه وأحكامه..

أما أهل الحق، فهم يقولون: لا تستقيم حياة الناس من دون نظام يهيمن عليها، ولا بد أن تخضع كل الأمور فيها للمبادئ والقيم، والمنطق والحكمة، والعقل، وللتدبير السليم:

لأن للمبادئ والقيم ثباتاً، ووضوحاً، ورسوخاً في وجدان الناس، يمنح السكينة والطمأنينة للجميع، ويهيئ الإنسان للتخطيط الواعي، للاستفادة المشروعة من القدرات التي هياها الله تعالى له في نفسه، وفي محيطه الذي يعيش فيه، وضمن نطاق السياسات الإلهية الهادية.

وأما إذا استبعدت القيم والمبادئ، والحكمة والعقل، ومنعت من فرض هيمنتها على حركة الحياة، فإن الإنسان سوف يضيع في متاهات مخيفة، ويسقط في مهاوي سحيقة، لا خلاص له منها.

كما أنه يفقد بذلك القدرة على رصد حركة الواقع، أو التحكم في مسار الأمور، ويصبح كأنه يعيش في ظلمات بعضها فوق بعض.

وتهيمن العشوائية على كثير من مجالات الحركة في الحياة، ويأكل القوي الضعيف، وتتبخر المنجزات في حمى صراعات هدامة. وتعود لأهل الباطل السطوة، القائمة على فلسفة القتل والعدوان،

وخلق نبضات الحياة، واقتلاع شجرة الخير والسعادة، والصلاح من واقع المجتمع الإنساني، ليحل محلها الخراب والدمار، والشقاء والبوار..

وفي هذه الحالة تمس الحاجة إلى عمل إصلاحي، يعيد الأمور إلى نصابها، ويكون به خلاص الأمة، وإعادتها إلى برّ الأمان، والسلام والسعادة، حيث الخير العميم، في كنف رب كريم رحيم، لتصبح الحياة هنية، ورضية، وتتحول في الآخرة إلى دائمة وأبدية، ضاربة جذورها في أعماق هذا الوجود الرحيب، لتكون الأصالة للبقاء لا للفناء، وللسعادة لا للشقاء، ولتنطلق مسيرة الحياة بعين الله، وبرعايته وهدايه. لتنتهي إلى رحاب رضوانه، حيث الكرامة الإلهية التي لا تحول ولا تزول.

من أجل ذلك نقول:

إن أهم سبيل يؤدي إلى هذه النتيجة هو اعتماد البيّنة والدليل، والركون إلى الحجة القاطعة للعدر، وتكون هي المرجع والمآل في كل إقدام وإحجام، سواء في الحرب أو في السلام. (لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ) (١).

وهذا هو السبب الأقوى لبعثة الأنبياء، وهو فحوى أطروحتهم، وغاية جهد العلماء، ودعاة الخير والأصفياء..

وهو السلاح الأمضى الذي يؤدي إلى بوار الباطل، وينبغي أن يشهر في وجه المبطلين، والطغاة والجباريين..

(١) الآية ٤٢ من سورة الأنفال.

وعلى هذا الأساس نلاحظ: أن الأنبياء والأوصياء، والمصلحين هم دعاة بقاء لا فناء. حتى إنهم حين يتعرضون للبغي والعدوان لا يبدأون عدوهم بقتال، وهذا ما جرى في صفين فإنه «عليه السلام» قال: «لا تقاتلوا القوم حتى يبدؤوكم» وهذا ما أوصى «عليه السلام» به جيشه يوم الجمل أيضاً^(١).

وهذه كانت وصية الإمام الحسين «عليه السلام» أيضاً، فقد قال «عليه السلام» لزهير بن القين في قضية الحر الرياحي: «ما كنت لأبدأهم بالقتال»^(٢).

وقال أيضاً لمسلم بن عوسجة وهو ينهاه عن رمي الشمر: «لا،

(١) السنن الكبرى للبيهقي ج ٨ ص ١٨٠ وحياة الصحابة ج ٢ ص ٥٠٣ وراجع: تذكرة الخواص ص ٧٢ و ٩١ وكنز العمال ج ١١ ص ٣٣٨ والفتوح لابن أعم ج ٣ ص ٤٥ وج ٢ ص ٤٩٠ و (طدار الأضواء) ج ٣ ص ٣٢ والمنقب للخوارزمي ج ١ ص ١٨٣ وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج ٢ ص ٢٤٠ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٩ ص ١١٠ و ١١١ والإمامة والسياسة ج ١ ص ٦٧.

(٢) الإرشاد للمفيد ج ٢ ص ٨٤ وروضة الواعظين ص ١٨١ ومستدرك الوسائل ج ١١ ص ٨٠ وبحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣٨٠ والعوالم، الإمام الحسين ص ٢٣١ وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٠٩ والكامل في التاريخ ج ٤ ص ٥٢ وإعلام الوري ج ١ ص ٤٥١. وراجع: الفتوح لابن أعم ج ٥ ص ٤٣ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ٢٣٤ والأخبار الطوال ص ٢٥٢.

فإني أكره أن أبدأهم»^(١).

وقد صار هذا من سمات الشيعة على مر الأزمان، فقد قال الجاحظ عن كردويه - الأقطع الأيسر -: وكان لا يضرب أحداً إلا حطمه، وكان إذا ضرب قتل: كان كردويه مع فتكه وإقدامه يتشيع، فكان لا يبدأ أحداً بقتال حتى يُبتدأ^(٢).

ووقائع التاريخ تثبت الدموية الفتاكة والتدميرية لحكومات أهل الباطل في المجتمع البشري.. والرفق، والعدل، والاكتفاء بدفع الأذى وصد العدوان والعفو، ولملمة الواقع، وتضميد الجراح، وإعادة اللحمة هي سمات أهل الحق في حكوماتهم، وفي مجمل حركتهم في الحياة..

قصة الشمر بنحو آخر:

لكن البلاذري بعد أن ذكر ما يأتي مما جرى لمحمد بن الأشعث قد ذكر قصة الشمر بنحو آخر، فقال:

ثم جاء رجل آخر فقال: أين الحسين؟!

فقال: ها أنا ذا.

قال: أبشر بالنار تردها الساعة.

(١) الإرشاد ج ٢ ص ٩٦ ومستدرك الوسائل ج ١١ ص ٨٠ وبحار الأنوار ج ٤٥

ص ٥ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٢٤٩.

(٢) البرصان والعرجان والعميان والحولان ص ٣٣٣ و (ط دار الجيل) ص ٥٢٥.

قال: بل أبشر برَب رحيم وشفيع مطاع، فمن أنت؟
قال: شمر بن ذي الجوشن.

فَقَالَ الحسين: اللهُ أكبر، قَالَ رسول الله «صلى الله عليه وآله»:
إني رأيت كلباً أبقع يلغ في دماء أهل بيتي^(١).

فهل كرر الشمر تحرشه بالإمام، فسمع في كل مرة منه «عليه السلام» جواباً يناسب حال الشمر، ويزيد في خزيه، وكشف حقيقته؟! أم هي قصة واحدة ذكر كل راو شرطاً من الجواب؟!
قد يكون الاحتمال الأول أقرب إلى الاعتبار، فإن سياق الكلام في الروايتين مختلف بصورة ظاهرة.

قصة ابن حوزة بنحو آخر أيضاً:

وقد ذكرنا في الجزء السابق قصة مالك بن حوزة وما جرى له برواية ابن أعثم، ولكن البلاذري ذكر قصة مغايرة لها، ونسبها إلى رجل اسمه عبد الله بن حوزة، فقد قال:

إن رجلاً من بني تميم يقال له: عبد الله بن حوزة، وجاء حتى وقف بحيال الحسين «عليه السلام»، فقال: أبشر يا حسين بالنار.

فَقَالَ: كلا، إني أقدم على رب رحيم، وشفيع مطاع.

ثُمَّ قَالَ: من هذا؟

قَالُوا: ابن حوزة.

(١) أنساب الأشراف ج ٣ ص ٤٠١ و (طدار التعارف) ج ٣ ص ١٩٣.

قَالَ: حازه الله إلى النار.

فاضطربت به فرسه في جدول، فعلقته رجله بالركاب، ووقع رأسه في الأرض، ونَقَرَ في الفرس، فجعل يمر برأسه على كل حجر وأصل شجرة حتى مات.

ويقال: بقيت رجله اليسرى في الركاب، فشد عليه مسلم بن عوسجة الأسدي، فضرب رجله اليمنى فطارت، ونفر به فرسه يضرب به كل شيء حتى مات^(١).

ونقول:

لاحظ ما يلي:

١ - قال البلاذري: إن اسم ابن حوزة هو عبد الله بن حوزة.

وسماه الخوارزمي: مالك بن جريرة.

وسماه ابن أعثم: مالك بن حوزة.

وعند الصدوق: ابن أبي جويرة^(٢).

(١) أنساب الأشراف ج ٣ ص ٣٩٩ و (ط دار التعارف) ج ٣ ص ١٩١ والإرشاد للمفيد ج ٢ ص ١٠٢ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٢٥٧ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٦٠٤ وإعلام الوري ج ١ ص ٤٦٢.

(٢) أنساب الأشراف ج ٣ ص ٣٩٩ و (ط دار التعارف) ج ٣ ص ١٩١ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ٢٤٨ و (تحقيق الشيخ محمد السماوي - نشر أنوار الهدى) ج ١ ص ٣٥٢ والفتوح لابن أعثم ج ٥ ص ٩٦ والأمالى للصدوق ص ١٣٤ المجلس ٣٠ و (ط مؤسسة البعثة) ص ٢٢١.

وعند المسعودي: ابن جريرة^(١)، فهل هما - أعني: مالك وعبد الله ابنا حوزة - أخوان؟! أو هما شخص واحد اختلف الرواة في اسمه، أو شخصان غير أخوين؟!

إن الاختلاف في حقيقة ما جرى لكل منهما يؤيد تعددهما..

٢ - يلاحظ: أن أصحاب الإمام «عليه السلام» لا يقدمون على أمر - ولا سيما في أمر القتال - إلا بعد الاستئذان من الإمام «عليه السلام»، وسماع الإذن الصريح منه.

وقد عرض زهير بن القين على الإمام الحسين «عليه السلام» حين صار الحر يضيق عليهم - عرض عليه -: أن يقاتلوهم، فأبى «عليه السلام»، وقال: ما كنت لأبدأهم بقتال حتى يبدأوني.

كما أنه «عليه السلام» قد نهى مسلم بن عوسجة نفسه عن رمي الشمر لنفس هذا السبب.

فإن كان نهيه له قبل قصة ابن حوزة، فكيف بادر ابن عوسجة إلى الهجوم على ابن حوزة وقطع رجله؟! وكيف لم يعترض عليه الإمام «عليه السلام»، ولم يلمه على فعله هذا الذي أقدم عليه بغير إذنه؟! مع علمه بأنه «عليه السلام» يكره بدأهم بالقتال.

وإن كانت القصة مع الشمر قد حصلت بعد قصة ابن حوزة، فكيف يستأذن ابن عوسجة الإمام بأن يرمي الشمر؟! فإن عدم

(١) إثبات الوصية ص ١٧٧.

اعتراضه «عليه السلام» حين قطع رجل ابن حوزة يثير الريب في صحة ذلك، ولاسيما إذا كان قد قال له عن الشمر: لا ترمه، فإني أكره أن أبدأهم.

ومحمد بن الأشعث أيضاً:

وروى البلاذري: أن محمد بن الأشعث جاء فقال: أين حسين؟
قال: ها أنا ذا.

قال: أبشّر بالنار تردّها الساعة!

قال: بل أبشّر برّب رحيم، وشفيع مطاع، فمن أنت؟

قال: محمّد بن الأشعث^(١).

زاد ابن نما قوله: قال: اللهم إن كان عبدك كاذباً فخذ به إلى النار،
واجعله اليوم آية لأصحابه.

فما هو إلا أن ثنا عنان فرسه فرمى به، وثبتت رجله في الركاب،
فضربه حتى وقعت مذاكيره في الأرض، فوالله، لقد عجبنا من سرعة
إجابة دعائه «عليه السلام»^(٢).

(١) أنساب الأشراف ج ٣ ص ٤٠١ و (ط دار التعارف) ج ٣ ص ١٩٣ وراجع:
مثير الأحزان ص ٦٤ و (ط المكتبة الحيدرية) ص ٤٧ و بحار الأنوار
ج ٤٥ ص ٣١ والعوالم الإمام الحسين، ج ١٧ ص ٢٧٤.

(٢) مثير الأحزان ص ٦٤ و (ط المكتبة الحيدرية) ص ٤٧ و بحار الأنوار ج ٤٥
ص ٣١ والعوالم الإمام الحسين، ج ١٧ ص ٢٧٤ ولواعج الأشجان
ص ١٥١ وراجع: مقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ٣٥٢ و ٣٥٣.

موت محمد بن الأشعث:

ذكرت الرواية المتقدمة: أن الله تعالى استجاب دعاء الحسين «عليه السلام» في محمد بن الأشعث، فقد قتل في نفس يوم عاشوراء، لأن فرسه رمى به، وثبتت رجله في الركاب الخ..

وهذا موضع ريب، حيث يرد عليه:

أولاً: يذكر المؤرخون: أن محمد بن الأشعث قد بقي بعد عاشوراء، إلى ما بعد ثورة المختار، وانضم إلى مصعب بن الزبير، وقتل في المواجهة بين مصعب وبين المختار^(١).

ثانياً: قالوا: إن محمد بن الأشعث كان قائداً للقوات التي واجهت عبد الله بن عفيف والذين دافعوا عنه من الأزدي^(٢).

(١) راجع: الأخبار الطوال ص ٣٠٦ وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٥٧٦ و ٥٦٤ والكامل في التاريخ ج ٤ ص ٢٧٧ ونهاية الأرب ج ٢١ ص ٥١ وذوب النضار ص ١٤٩ والمعارف ص ٤٠١ وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٥٤٣ وأنساب الأشراف ج ٦ ص ٤٣٨ ومروج الذهب ج ٣ ص ٩٨ وتجارب الأمم ج ٢ ص ٢٠٥ و ٢٠٦ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج ٦ ص ٦٥ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٥ ص ٥٧ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٨ ص ٣١٧.

(٢) مثير الأحزان لابن نما ص ٩٣ و (ط المكتبة الحيدرية) ص ٧٣ والملهوف ص ٧٢ و (نشر أنوار الهدى) ص ٩٧ وبحار الأنوار ج ٤ ص ١١٩ و ١٢٠ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٣٨٧ ولواعج الأشجان ص ٢١٢

ثالثاً: قال الشيخ الصدوق «رحمه الله»: ثم أقبل آخر من عسكر عمر بن سعد يقال له: محمد بن أشعث بن قيس الكندي، فقال: يا حسين بن فاطمة، أية حرمة لك من رسول الله ليست لغيرك؟!

قال الحسين «عليه السلام» هذه الآية: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً..)(١).

ثم قال: والله، إنَّ محمدًا لمن آل إبراهيم، وإنَّ العترة الهادية لمن آل محمد، من الرجل؟

فقال: محمد بن أشعث بن قيس الكندي، فرفع الحسين «عليه السلام» رأسه إلى السماء، فقال: اللهم أر محمد بن الأشعث دُلاً في هذا اليوم، لا تُعزّه بعد هذا اليوم أبداً.

فعرض له عارض، فخرج من العسكر يتبرّز، فسلط الله عليه عقرباً فلدغهُ، فمات بادي العورة(٢).

رابعاً: نلاحظ التوافق الشديد بين ما ينقل عن محمد بن الأشعث هنا وبين ما ينقل عن شمر، حتى كأنهما رواية واحدة، باستثناء الكلام

والفتوح لابن أعثم ج ٥ ص ١٢٤ و ١٢٥.

(١) الآية ٣٣ من سورة آل عمران.

(٢) الأُمالي للصدوق ص ١٣٤ المجلس الثلاثون و (ط مؤسسة البعثة) ص ٢٢١ وروضة الواعظين (منشورات الشريف الرضي) ص ١٨٥ ومدينة المعاجز ج ٣ ص ٤٧٥ وبحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣١٧ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ١٦٦.

الأخير المنسوب للإمام «عليه السلام». فلعل هناك من اشتبه عليه الأمر، فركب شطراً من قصة الشمر مع شطر آخر من قصة عبد الله بن حوزة، فجعلهما قصة واحدة. واقتصر تصرفه في الرواية على استبدال إسمي شمر، وابن حوزة باسم ابن الأشعث لحاجة في نفسه قضاها.

ويجاب:

بأن تبرئة ابن الأشعث بهذه الطريقة فيها مجازفة وجرأة على رد النصوص بالاستحسان، والآراء الاقتراحية، فلا يصح نفي أن يكون ابن الأشعث قد ارتكب هذه الإساءة القبيحة بحق الإمام «عليه السلام»، وإن لم نتأكد من تفاصيل ما جرى.

تميم بن حصين أيضاً:

وتقول الرواية عن الإمام السجاد «عليه السلام»:

ثم برز من عسكر عمر بن سعد رجل آخر، يقال له: تميم بن الحصين الفزاري، فنادى: يا حسين! ويا أصحاب الحسين! أما ترون إلى ماء الفرات يلوح كأنه بطون الحيات [الحياتان]، والله! لا ذقت منه قطرة حتى تذوقوا الموت جرعاً.

فقال الحسين «عليه السلام»: مَنْ الرَّجُلُ؟

فقال: تميم بن حصين.

فقال الحسين «عليه السلام»: هذا وأبوه مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَلَلَّهِمَّ اقْتُلْ هَذَا عَطْشاً فِي هَذَا الْيَوْمِ.

قال: فخنقه العطش حتى سقط عن فرسه، فوطأته الخيل بسنابكها، فمات^(١).

ونقول:

١ - إن معرفة الناس الحاضرين في ذلك الموقف باسم من يدعو عليه الإمام، ليذكر في التاريخ باسمه، ويعرفه الناس بشخصه كان مطلوباً.

إذ لعل الكثيرين في كلا الجيشين لا يعرفون اسم ذلك الرجل. كما أن ذكر الاسم يعطي مصداقية قوية للحديث في نفس سامعه، ولا يبقى هناك مبرر لتوهم أن يكون الذين ماتوا بهذه المناسبة وما يشبهها كانوا شخصاً واحداً عرف اسمه هذا، وجهله ذاك.

٢ - ما هذا التلذذ المقيت بأذى وعذاب سيد شباب أهل الجنة، ومن معه من الأخيار والأبرار، ومن النساء والأطفال؟!!

٣ - إن الحسين «عليه السلام» قد أخبر عن هذا الرجل وعن أبيه بأنهما من أهل النار. وهذا - فيما يظهر - من علم الغيب الذي انتهى إليه «عليه السلام».

(١) الأُمالي للصدوق ص ١٣٤ و (ط مؤسسة البعثة) ٢٢١ و بحار الأنوار ج ٤ ص ٣١٧ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ١٦٦ وروضة الواعظين ص ٢٠٤ و (منشورات الشريف الرضي) ص ١٨٥ والثاقب في المناقب ص ٣٤٠ و ٣٤١ ومدينة المعاجز ج ٣ ص ٤٧٤.

واحتمال أن يكون «عليه السلام» مطَّلَعاً بالطرق العادية على أحوال هذا الرجل وأحوال أبيه لا شاهد له.

٤ - إن جيش ابن سعد قد عاين استجابة الله دعاء الإمام «عليه السلام» في هذا الرجل وفي ابن حوزة، وفي غيرهما، ولكن الله طبع على قلوبهم، فلم يعتبروا ولم يتراجعوا.

مسروق بن وائل يتراجع:

غير أن الطبري روى لنا قضية تفيد: أن أحد الطامعين بالدنيا، وهو مسروق بن وائل الحضرمي، قد انتفع، ولو جزئياً بما صنعه الله بعبد الله بن حوزة، بسبب دعاء الإمام الحسين «عليه السلام».

فقد روى عبد الجبار بن وائل الحضرمي: أن مسروقاً - أخاه - قال: كنت في أوائل الخيل ممّن سار إلى الحسين «عليه السلام»، فقلت: أكون في أوائلها لعلّي أصيب رأس الحسين، فأصيب به منزلة عند عبيد الله بن زياد! (ثم ذكر ما جرى لابن حوزة)

ثم قال عبد الجبار: فرجع مسروق، وترك الخيل من ورائه، فسألته عن ذلك، فقال: لقد رأيت من أهل هذا البيت شيئاً، لا أقاتلهم أبداً.

قال: ونشب القتال^(١).

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٣١ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٢٨ وقاموس الرجال ج ١٠ ص ٥٣ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص ١٢٦ وشرح إحقاق

فنرى أن مسروقاً اكتفى بتجنب قتال أهل البيت «عليهم السلام»، وقد كان الأحرى به أن يؤثر الالتحاق بالحسين «عليه السلام»، ليفوز معه بالشهادة والسعادة..

غير أن ظاهر الأمور هو: أن هذا الرجل إنما غادر الصف الأول، خوفاً على نفسه من أن يصيبه ما أصاب ابن حوزة، وربما غيره أيضاً..

فهذا الخوف قد جعله غير قادر على إصابة رأس الحسين «عليه السلام»، - على حد تعبيره - ليحصل على المقام الذي كان يتمناه عند الطواغيت والجبابرة.

الخطة العسكرية: خلاصة جامعة:

تقدم: أن الإمام «عليه السلام» كان قد اتخذ إجراءات عدة تؤدي إلى تعجيز العدو عن أن يأتيه إلا من وجه واحد.. وذلك بالاستفادة من الموانع الطبيعية، واستحداث العديد من الموانع الأخرى التي عززتها..

وكان من هذه الموانع:

- ١ - نزوله «عليه السلام» في جنب قصباء وحلفاء. فإن الأرض القصباء يصعب على الخيل الجولان فيها.
- ٢ - كان خلفهم أيضاً منخفض من الأرض كأنه ساقية، وقد أمر

«عليه السلام» أصحابه ليلة العاشر، فحفروا ذلك المنخفض حتى صار كالخندق.

٣ - ثم جعل «عليه السلام» فيه حطباً وشوكاً كثيراً.. وذلك لكي يضرهم فيه النار التي سوف تمنع العدو من الوصول إليه وإلى أصحابه من ورائهم.

وهذا ما حصل بالفعل، كما أظهرته النصوص السابقة، حتى إن الشمر حين أقبل يركض نظر فإذا هو لا يرى إلا حطباً تلتهب النار فيه، فرجع راجعاً^(١).

وقد أثار ذلك حفيظة الأعداء، وبادروا إلى الأذى اللساني، كما تقدم.

٤ - أما الجانبان الأيمن والأيسر فقد أمر الإمام «عليه السلام» بتقريب البيوت بعضها إلى بعض.

٥ - وأمر أيضاً بتشبيك أطنايها، فإن البيوت والأطناي معاً سيكونان بمثابة موانع تمنع العدو من الاقتحام، وتربك حركته، وتعيق حركة خيله.

٦ - يضاف إلى ذلك: أنه «عليه السلام» قد سَيَّر بين تلك البيوت مجموعات كانت ترصد وتكافح كل من يحاول أن يتسلل إليها،

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٢٣ و ٤٢٤ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٢١ و ٣٢٢ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص ١١٦.

فيقتلونه..

ولأجل ذلك لم يتمكن الأعداء من أن يأتوهم إلا من وجه واحد، بل سيأتي أن الأمر قد استمر على هذا النحو إلى أن انتصف النهار. فلما عجزوا عن الوصول إلى ما يريدون، أمر عمر بن سعد أصحابه بأن لا يدخلوا البيوت، ولا يقوضوها، بل عليهم أن يحرقوها بالنار، فأحرقوها.

فيبدو: أن أصحابه «عليه السلام» قد تضايقوا من هذا الإجراء، فقال لهم «عليه السلام»: دعوهم فليحرقوها، فإنهم لو قد حرقوها، لم يستطيعوا أن يجوزوا إليكم منها. وكان ذلك كذلك^(١).

فظهر بذلك كله، وبما قدمناه في مواضع أخرى: كيف أنه «عليه السلام» قد أخضع ذلك الجيش كله لإرادته، ليجري القتال حسب خطته هو «عليه السلام» في وضح النهار، حيث يرى الجميع كل كبيرة وصغيرة، وليكون لهم دورهم في نقل مظلوميته، وأهل بيته،

(١) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٣٧ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٣٣ والكامل في التاريخ ج ٤ ص ٦٩ وراجع: المنتظم من تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٣٣٩ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص ١٤١ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٨ ص ١٩٧ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٦٠٦ ونهاية الأرب ج ٢٠ ص ٤٥٠ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ٢١ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٢٦٤ ولواعج الأشجان ص ١٥٤ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ١٦.

ويصفوا للأجيال كل حركاته، وكل الإجرام الذي ارتكب في حقهم.

الفصل الثاني:

إحتجاجات الأصحاب في الميدان..

ماذا تريدون؟!:

قال مُحَمَّدُ بن أبي طالب:

وركب أصحابُ عُمَرَ بنِ سَعْدٍ، ففُتِّبَ إلى الحسينِ فَرَسُهُ، فاستَوَى عليه، وتقدَّمَ نحوَ القومِ في نفرٍ من أصحابِهِ، وبينَ يَدَيْهِ بُرَيْرُ بنُ حُضَيْرٍ، فقالَ لَهُ الحسينُ «عليه السلام»: كَلِّمِ القومَ.

فقدَّمَ بُرَيْرٌ فقالَ: يا قومِ اتَّقُوا اللهَ؛ فَإِنَّ ثَقَلَ مُحَمَّدٌ «صلى الله عليه وآله» قَدْ أَصْبَحَ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، هُوَ لَاءُ دُرَيْتِهِ، وَعِترَتُهُ، وَبَنَاتُهُ وَحَرَمُهُ، فَهَاتُوا ما عِنْدَكُمْ، وما الَّذي تُريدونَ أَنْ تَصْنَعُوهُ بِهِمْ؟!

فقالوا: نُريدُ أَنْ نُمكنَ مِنْهُمْ الأميرَ ابنَ زيادٍ، فَيَرى رَأْيَهُ فِيهِمْ.

فقالَ بُرَيْرٌ: أَقْلا تَقْبَلُونَ مِنْهُمْ أَنْ يَرْجِعُوا إلى المَكانِ الَّذي جاؤوا مِنْهُ؟

وَيَلِكُمْ يا أَهْلَ الكُوفَةِ! أَنْسَيْتُمْ كُتُبَكُمْ وَعُهودَكُمْ الَّتِي أُعْطِيتُمُوهَا، وَأَشْهَدْتُمْ اللهَ عَلَيْهَا؟

يَا وَيَلِكُمْ! دَعَوْتُمْ أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ، وَزَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ دُونََهُمْ، حَتَّى إِذَا أَتَوْكُمْ أَسْلَمْتُمُوهُمْ إلى ابنِ زيادٍ، وَحَلَّائِمُوهُمْ عَن مَّاءِ الْفُرَاتِ؟! بِئْسَ ما خَلَفْتُمْ نَبِيَّكُمْ في دُرَيْتِهِ! ما لَكُمْ؟! لا سَقَاكُمْ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ! فَبِئْسَ

الْقَوْمُ أَنْتُمْ.

فَقَالَ لَهُ نَفَرٌ مِنْهُمْ: يَا هَذَا! مَا نَدْرِي مَا تَقُولُ؟!

فَقَالَ بُرَيْرٌ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي زَادَنِي فِيكُمْ بَصِيرَةً، اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ فِعَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ.

اللَّهُمَّ أَلْقِ بِأَسْهُمِ بَيْنَهُمْ، حَتَّى يَلْقَوْكَ وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ غَضَبَانُ.

فَجَعَلَ الْقَوْمُ يَرْمُونَهُ بِالسَّهَامِ، فَرَجَعَ بُرَيْرٌ إِلَى وَرَائِهِ (١).

ونقول:

لماذا برير؟!:

يلاحظ هنا: أن الإمام «عليه السلام» قد أمر برير بن خضير بأن يكلم جيش عمر بن سعد الذي كان أكثره من أهل الكوفة.. فلماذا اختار «عليه السلام» بريراً ليكون هو البادئ بالكلام معهم دون سائر أصحابه؟!:

ويمكن أن يجاب:

بأن برير بن خضير كان من قراء أهل الكوفة، بل كان شيخاً، أو سيد القراء فيها.. والقراء كانوا يعلمون الناس القرآن في المساجد، فكان الناس

(١) بحار الأنوار ج ٤ ص ٥ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٢٤٩ وأعيان الشيعة ج ٣ ص ٥٦١. وراجع: مقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ٢٥٢ و (تحقيق الشيخ محمد السماوي - نشر أنوار الهدى) ج ١ ص ٣٥٦ ومناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ١٠٠ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣ ص ٢٤٩.

يعرفونهم، ويحترمونهم لما يرون من فضل لهم عليهم.. فكيف إذا كان هذا القارئ معروفاً عند الناس بالإخلاص، والصدق، والاستقامة، كما هو حال برير؟!

ونكتفي هنا بذكر المثال التالي:

روى الطبري ما ملخصه:

أن يزيد بن معقل قال لبرير - حين أقسم برير له على أن الله قد صنع ببرير خيراً، وصنع بيزيد بن معقل شراً -: كذبت وقبل اليوم لم تكن كذاباً.

ثم ذكر له اعتقاده: بأن علياً «عليه السلام» إمام الهدى والحق، وأن معاوية ضال مضل، وغير ذلك.

ثم باهله على أن يقتل المحق منهما المبطل في ذلك، فقتل برير ابن معقل بناء على هذا.

فأراد كعب بن جابر أن يحمل على برير، فقال له عفيف بن زهير: إن هذا برير بن خضير القارئ الذي كان يقرئنا القرآن في المسجد!!

ولكنه لم يرتدع، فقتله، فلما رجع كعب، قالت له امرأته - أو أخته - النوار بنت جابر: أعنت على ابن فاطمة، وقتلت سيد القراء. لقد أتيت عظيماً من الأمر، والله، لا أكلّمك من رأسي كلمة أبداً^(١).

(١) تاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٢٩ والكامل في التاريخ ج ٤

السؤال الأول: المعتدون يعترفون:

إن الطريقة التي بدأ بها برير كلامه مع جيش ابن سعد قد مكنته من أن يستلّ منهم إقراراً: بأنهم هم المعتدون على الإمام «عليه السلام»، والساعون إلى قهره وأسرّه، لكي يمكنوا ابن زياد منه..

كما أن نفس سؤاله هذا، وجوابهم له قد أكد على أنه ليس لدى الإمام «عليه السلام» أي نوايا قتال، أو ميل إلى تصرف عنيف تجاههم.

فقد فهم من كلامه:

١ - أن ثقل آل محمد، وهم أهل بيته، وأبنائهم، وعترته، وبناته، وذريته «صلوات الله عليهم». قد أصبحوا بين أظهرهم، فهم المسؤولون عن الدفاع عنهم أمام كل من يريدهم بسوء، وحفظهم وسلامتهم، عن إلحاق الأذى بهم، فضلاً عن قتلهم وسبيهم. وبذلك يكون قد حملهم المسؤولية عن كل ما يحدث لهذه العترة.

٢ - إنه «رحمه الله» قد أوضح: أنه لا قرار لدى الحسين «عليه السلام» بأخذ أي موقف تجاههم، فإنهم هم الذين جمعوا الجيوش، وجأؤوا بعشرات الألوف من العساكر.

مما يعني: أن لديهم قراراً من نوع ما تجاه العترة والذرية، فهم

ص ٦٧ وأنساب الأشراف (ط دار التعارف) ج ٣ ص ١٩١ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص ١٢٩ وإبصار العين ص ١٢٤.

مطالبون بالإفصاح عن نواياهم.

٣ - وكان جوابهم بمثابة الإقرار بكلا هذين الأمرين، حيث قالوا: بأنهم يريدون أن يمكنوا منهم عبيد الله بن زياد، ليرى فيهم رأيه..

فهذا الجواب قد تضمن:

أولاً: إعترافهم بأنهم جاؤوا بنية عدوانية تتمثل بفرض قرارهم على إمام مطهر معصوم، وأخذة أسيراً إلى ظالم جبار حاقد.

وتضمن ثانياً: أنهم لن يكونوا حافظين لسلامة ولا لكرامة عترة النبي «صلى الله عليه وآله»، وبناته وذريته، وحرمة من كيد ذلك الجبار المتغلب..

مع أن الله تعالى يقول: (مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ)^(١). ويقول: (اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ)^(٢)، فبأي حق، وأية حجة تفعلون ذلك، وما الذي جعل لكم هذا السبيل والسلطة، على هذه الثلة الطاهرة؟! والحال، أن فيهم من له الفضل والتميز والتفضيل على سائر البشر؟! البشّر؟!!

السؤال الثاني: الغدر، والتناقض:

ثم جاء السؤال الثاني لهم من برير ليقول: أفلا تقبلون منهم أن يرجعوا إلى المكان الذي جاؤوا منه؟! ويلكم يا أهل الكوفة، أنسيتم كتبكم

(١) الآية ٩١ من سورة التوبة.

(٢) الآية ٥٩ من سورة يونس.

وعهودكم؟! الخ..

وقد تضمن هذا السؤال أيضاً:

أولاً: إن رفضهم لما عرضه عليهم برير يظهر إصرارهم على العدوان..

ثانياً: إن عملهم هذا يظهر: أنهم غادرون، ومصرفون على الماضي في غدرهم إلى النهاية، فإنهم - كما ذكر برير في كلامه لهم - هم الذين كتبوا إلى الإمام الحسين «عليه السلام» ليغيثهم، ودعوه إلى المجيء إليهم لينظر فيما يصلح أمرهم، متعهدين له بالتأييد والمعونة والطاعة.. فما معنى أن يصروا على اعتقاله، وتسليمه إلى عدوه الجبار العاتي، ليرى فيه رأيه؟!!

ثالثاً: إنه «رحمه الله» قد وضعهم أمام هذا التناقض الذي لا يرضاه الرجال لأنفسهم. فرضاهم به، وإصرارهم عليه يدل على اختلال خطير في سماتهم وصفاتهم الإنسانية والأخلاقية..

والدليل على هذا السقوط الأخلاقي المريع: هو قسوتهم البالغة، التي تدلل على فقدانهم للمشاعر الإنسانية..

ما ندري ما تقول!:

وحين بين لهم برير بإسهاب مدى الغي والسقوط الذي كانوا فيه، لم يجدوا جواباً له، إلا قولهم:

«يَا هَذَا! ما ندري ما تقول».

وسياتي: أن الشمر قال للإمام الحسين «عليه السلام»: «هُوَ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ إِنْ كَانَ يَدْرِي مَا يَقُولُ»!.

وقد حكى الله تعالى ذلك عن قوم شعيب، حين دعاهم شعيب «عليه السلام» إلى التوبة والاستغفار، فقال: (قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْ أَنَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزِينَ)^(١).

والآيات الدالة على أن أهل الضلال: (لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ)^(٢). وأن الله قد (خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً)^(٣). وقال تعالى: (وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا)^(٤).

وهذه الآيات كثيرة..

ولعل خبث نوايا أهل الضلال، وسوء أعمالهم، وظلمات نفوسهم يؤدي بهم إلى أن يفقدوا لذة الطاعة، ويتحول حب الخير إلى كراهة له

(١) الآية ٩١ من سورة هود.

(٢) الآية ١٧٩ من سورة الأعراف.

(٣) الآية ٧ من سورة البقرة.

(٤) الآية ٤٦ من سورة الإسراء، والآية ٢٥ من سورة الأنعام. وراجع: الآية ٥٧ من سورة الكهف. والآيات في ذلك كثيرة.

ونفور من كل ما هو خير وصالح، وفلاح ونجاح، وتصير حتى الكلمات المعبرة عنه ممجوجة في أسماعهم، وكل ما يدعو إليه، ويدل عليه مبعوض لهم، وترفضه أسماعهم، ولا تراه أعينهم.

موقف آخر لبرير:

وذكرت الرواية التي رواها الصدوق «رحمه الله» بسنده عن عبد الله بن منصور، عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، عن أبيه، عن جده [زين العابدين] «عليهم السلام» - في ذكر أحداث يوم عاشوراء - موقفاً آخر لبرير، فقد قال «عليه السلام»: «بَلَغَ الْعَطَشُ مِنْ الْحُسَيْنِ «عليه السلام» وَأَصْحَابِهِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ شِيعَتِهِ يُقَالُ لَهُ: بُرَيْرُ بْنُ خُضَيْرٍ الْهَمْدَانِيُّ^(١) - قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَاوِي الْحَدِيثِ: هُوَ خَالَ أَبِي إِسْحَاقَ الْهَمْدَانِيِّ - فَقَالَ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، أَتَأْذُنُ لِي فَأُخْرِجَ إِلَيْهِمْ، فَأُكَلِّمَهُمْ؟

فَأَذِنَ لَهُ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ النَّاسِ! إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، وداعياً إلى الله بإذنه، وسراجاً منيراً، وهذا ماءُ الفُراتِ تَقَعُ فِيهِ خَنَازِيرُ السَّوَادِ وَكِلَابُهَا، وَقَدْ حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِهِ!

(١) في بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣١٨ وروضة الواعظين ص ٢٠٤ و (منشورات الشريف الرضي) ص ١٨٥ والعوالم، الإمام الحسين ص ١٦٧: يزيد بن حصين الهمداني.

فَقَالُوا: يَا بُرَيْرُ، قَدْ أَكْثَرْتَ الْكَلَامَ فَاكْثُفْ، فَوَاللَّهِ، لَيَعْطِشُ الْحُسَيْنُ
كَمَا عَطِشَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ. (يعني: عثمان بن عفان).
فَقَالَ الْحُسَيْنُ «عليه السلام»: أَقْعُدْ يَا بُرَيْرُ^(١).

ونقول:

نلاحظ:

أولاً: هذا الانضباط الشديد الظاهر في الأصحاب في موارد
عديدة، ومنها هذا المورد، ضمن دائرة أوامر ورغبات إمامهم، فإن
بريراً لم يبادر إلى مخاطبة جيش الظالمين إلا بعد أن استأذن من
الإمام «عليه السلام».

ثانياً: أن هذه المبادرة قد جاءت استجابة لعاطفة جياشة حركت
بريراً الذي كان يعاني هو الآخر.. وكذلك سائر الأصحاب من العطش
كما كان يعاني منه الإمام الحسين «عليه السلام» أيضاً.

ثالثاً: عرفنا: أن الحسين «عليه السلام» كان هو وأخوه الإمام
الحسن «عليه السلام»، قد أوصلا الماء إلى عثمان. فكيف يريد هؤلاء
أن يجازوا الحسين بحرمانه من الماء، لأن عثمان كان قد عطش حين

(١) الأمالي للصدوق ص ٢٢٢ وبحار الأنوار ج ٤ ص ٣١٨ وروضة الواعظين
ص ٢٠٤ و (منشورات الشريف الرضي) ص ١٨٥ والعوالم، الإمام الحسين
ص ١٦٧ من دون نسبته إلى الإمام، وموسوعة الإمام الحسين ج ٤ ص ١٠٥ و
١٠٦ عنهم.

حاصره طلحة والزبير، وأبناؤهما، وسائر من كان معهما؟! وهل هذا إلا منطق أعوج، وساقط، لا مبرر له إلا عمى قلوبهم، الذي بلغ إلى حد قلب الحقائق؟!!

ولأجل هذا قال الإمام «عليه السلام» لبرير: ارجع يا برير، فإن جوابهم أظهر: أنه لا فائدة من الكلام مع هؤلاء.

زهير ينصح ويحتج:

عن كثير بن عبد الله الشعبي: لما زحفنا قبل الحسين، خرج إلينا زهير بن القين على فرس له ذنوب. شاك في السلاح، فقال:

يا أهل الكوفة، نذار لكم من عذاب الله نذار! إن حقاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم، ونحن حتى الآن إخوة، وعلى دين واحد وملة واحدة، ما لم يقع بيننا وبينكم السيف، وأنتم للنصيحة منا أهل، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة، وكنا أمة وأنتم أمة.

إن الله قد ابتلانا وإياكم بدريّة نبيّه محمد «صلى الله عليه وآله»، لينظر ما نحن وأنتم عاملون.

إنّا ندعوكم إلى نصرهم، وخذلان الطاغية عبید الله بن زياد؛ فإنكم لا تدركون منهما^(١) إلّا بسوء عمر سلطانيهما كلّهما، ليسملان أعينكم، ويقطعان أيديكم وأرجلكم، ويمتلان بكم، ويرفعانكم على

(١) لعل الضمير هنا وما يأتي بعده يرجع إلى يزيد وابن زياد معاً، ولذلك استعمل ضمير التثنية.

جُذوع النَّخل، وَيُقْتَلَانِ أَمَاثِلُكُمْ وَفُرَّاءُكُمْ، أَمَاثَلُ حُجْرِ بْنِ عَدِيٍّ وَأَصْحَابِهِ، وَهَانِيُّ بْنُ عُرْوَةَ وَأَشْبَاهِهِ.

قَالَ: فَسَبَّوْهُ، وَأَثَنُوا عَلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ، وَدَعَوْا لَهُ، وَقَالُوا: وَاللَّهِ، لَا نَبْرَحُ حَتَّى نَقْتُلَ صَاحِبَكَ وَمَنْ مَعَهُ، أَوْ نَبْعَثَ بِهِ وَأَصْحَابَهُ إِلَى الْأَمِيرِ عُبَيْدِ اللَّهِ سَلِمًا.

فَقَالَ لَهُمْ: عِبَادَ اللَّهِ! إِنَّ وَلَدَ فَاطِمَةَ «رَضَوَانُ اللَّهِ عَلَيْهَا» أَحَقُّ بِالْوُدِّ وَالنَّصْرِ مِنْ ابْنِ سُمَيَّةَ، فَإِنْ لَمْ تَنْصُرُوهُمْ فَأَعِيدُكُمْ بِاللَّهِ أَنْ تَقْتُلُوهُمْ، فَخَلُّوا بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ ابْنِ عَمِّهِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، فَلَعَمْرِي إِنَّ يَزِيدَ لَيَرْضَى مِنْ طَاعَتِكُمْ بِدُونِ قَتْلِ الْحُسَيْنِ «عَلَيْهِ السَّلَام».

قَالَ: فَرَمَاهُ شِمْرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ بِسَهْمٍ، وَقَالَ: أَسْكُتْ، أَسْكُتَ اللَّهُ نَأْمَتَكَ^(١)، أُبْرَمَتْنَا^(٢) بِكَثْرَةِ كَلَامِكَ!

فَقَالَ لَهُ زُهَيْرٌ: يَا ابْنَ الْبَوَالِ عَلَى عَقَبِيهِ، مَا إِيَّاكَ أَخَاطِبُ، إِنَّمَا أَنْتَ بِهَيْمَةٍ، وَاللَّهِ مَا أَظُنُّكَ تُحْكِمُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ آيَتَيْنِ! فَأُبَشِّرُ بِالْخَزْيِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالْعَذَابِ الْأَلِيمِ.

فَقَالَ لَهُ شِمْرٌ: إِنَّ اللَّهَ قَاتِلُكَ وَصَاحِبُكَ عَنْ سَاعَةٍ.

قَالَ: أَفَبِالْمَوْتِ تُخَوِّفُنِي؟ فَوَاللَّهِ، لِلْمَوْتِ مَعَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْخُلْدِ

(١) النَّأْمَةُ: الصوت. راجع: الصحاح للجوهري ج ٥ ص ٢٠٣٨ «نَأْم».

(٢) بَرَمَ بِهِ - بالكسر - يبرمُ بَرَمًا - بالتحريك - : إذا سئمه ومله. راجع: النهاية في غريب الحديث ج ١ ص ١٢١ «بَرَم».

مَعَكُمْ.

قال: ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ رَافِعاً صَوْتَهُ، فَقَالَ:

عِبَادَ اللَّهِ! لَا يَغُرَّتْكُمْ مِنْ دِينِكُمْ هَذَا الْجِلْفُ^(١) الْجَافِي^(٢) وَأَشْبَاهُهُ! فَوَاللَّهِ، لَا تَنَالُ شَفَاعَةَ مُحَمَّدٍ «صلى الله عليه وآله» قَوْمًا هَرَّاقُوا^(٣) دِمَاءَ ذُرِّيَّتِهِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ، وَقَتَّلُوا مَنْ نَصَرَهُمْ وَدَبَّ عَنْ حَرِيمِهِمْ.

قال: فَنَادَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ «عليه السلام» يَقُولُ لَكَ: أَقْبِلْ، فَلَعَمْرِي لَئِنْ كَانَ مُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ نَصَحَ لِقَوْمِهِ، وَأَبْلَغَ فِي الدُّعَاءِ، لَقَدْ نَصَحْتَ لِهَؤُلَاءِ وَأَبْلَغْتَ لَوْ نَفَعَ النَّصْحُ وَالْإِبْلَغُ^(٤).

٢ - خَرَجَ زُهَيْرُ بْنُ الْقَيْنِ عَلَى فَرَسٍ لَهُ، فَنَادَى: يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ! نَذَارَ لَكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ نَذَارًا! عِبَادَ اللَّهِ، وَلَدُ فَاطِمَةَ «عليها السلام»

(١) الجِلْفُ: الأحمق. راجع: النهاية في غريب الحديث ج ١ ص ٢٨٧ «جلف».

(٢) الجَافِي: الغليظ الخِلْقَةُ والطبع. راجع: لسان العرب ج ١٤ ص ١٤٨ «جفا».

(٣) هَرَّاقُ الماء يَهْرِيقُهُ: صَبَّه، وَأَصْلُهُ: أَرَاقُهُ يَرِيقُهُ. راجع: القاموس المحيط ج ٣ ص ٢٩٠ مادة «هراق».

(٤) موسوعة الإمام الحسين ج ٤ ص ١٠٣ - ١٠٥ عن: تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٢٦ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٢٣ والكامل في التاريخ ج ٤ ص ٦٣ والبداية والنهاية ج ٨ ص ١٨٠ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٨ ص ١٩٤ كلاهما نحوه. وراجع: أنساب الأشراف ج ٣ ص ٣٩٧ ونهاية الأرب ج ٢٠ ص ٤٤٢ وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٤٤ وأعيان الشيعة ج ٧ ص ٧٢ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص ١٢٠ وإبصار العين ص ١٦٥ وجمهرة خطب العرب ج ٢ ص ٥٤.

أَحَقُّ بِالْوُدِّ وَالنَّصْرِ مِنْ وَلَدِ سُمَيَّةَ، فَإِنْ لَمْ تَنْصُرُوهُمْ فَلَا تُقَاتِلُوهُمْ.
 أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّهُ مَا أَصْبَحَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ ابْنُ بِنْتِ نَبِيِّ إِلَّا
 الْحُسَيْنُ «عليه السلام»، فَلَا يُعِينُ أَحَدٌ عَلَى قَتْلِهِ وَلَوْ بِكَلِمَةٍ إِلَّا
 نَعَصَهُ (١) اللَّهُ الدُّنْيَا، وَعَذَّبَهُ أَشَدَّ عَذَابِ الْآخِرَةِ (٢).

ونقول:

يستفاد من هذا النص أمور، نذكر منها:

- ١ - أن الذي ذكر أن يزيد بن معاوية يرضى من أهل العراق بطاعتهم بدون قتل الحسين «عليه السلام» هو زهير بن القين. وليس الحسين «عليه السلام».
- ٢ - إن زهيراً لم يطلب منهم أن يدعوا الحسين «عليه السلام» يذهب إلى يزيد - ابن عمه على حد تعبيره - ليضع يده في يده، بل تحدث عن أن ما يريده يزيد منهم هو طاعتهم له.. فإن تيقن من حصولها، صرف النظر عما عداها.
- ٣ - إن ما يدّعيه بعض محبي الفريق الأموي، من أن الحسين قد عرض على جيش بني أمية أن يذهب إلى يزيد ليضع يده في يده، هو من مخترعات خصوم أهل البيت «عليهم السلام».. ولعل من أهدافهم

(١) نَعَصَ اللَّهُ عَلَيْهِ عَيْشَهُ: أي كدره. راجع: الصحاح ج ٣ ص ١٠٥٩ مادة «نغص».

(٢) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٤٤.

من إشاعة هذه الأباطيل إلقاء التبعة في هذه الجريمة النكراء على عاتق ابن زياد، وأعوانه، كالشمر وعمر بن سعد، وغيرها..

٤ - إن هذه النصوص تظهر: أن قتل الحسين «عليه السلام» - إن لم يستأسر لهم - كان قراراً متخذاً، فإذا أسروه، فإن ابن زياد لن يبقي عليه أيضاً.. فإن هذا هو مضمون الأمر الصريح الذي أصدره إليه يزيد.

وحينئذٍ، فإن أسر عبيد الله بن زياد للحسين «عليه السلام»، يجعله قادراً على ارتكاب جريمته وفق خطته هو، من دون أن يعطي أي شاهد عليها، ويضيع بذلك دمه، إن لم نقل: إنه سوف يحاول أن يرمي بالتهمة على مجهول، ثم يتولى هو تشييع جنازته «عليه السلام»، وربما قبض على بعض الناس، وقتلهم بعنوان الإقتصاص منهم.

وبذلك يصبح هؤلاء القتل المجرمون أبطالاً أوفياء لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، محبين لأهل بيته، آخذين بثأرهم.

٥ - غير أن مواقف الحسين وأصحابه في كربلاء، ومنها هذا الموقف من زهير بن القين، كانت تدفع أعداءهم للتصريح بما في قلوبهم، والجهر بما عقدوا العزم عليه..

فلم يعد هذا الأمر مجرد استنتاج من قرائن الأحوال، التي قد يمكن التلاعب بها، أو التشكيك بصوابيتها، أو اعتبارها مجرد ظنون وحدسيات.

٦ - إن تصريح زهير «رحمه الله» في هذا الخطاب بأنهم ما زالوا

يعتبرونهم على ملة الإسلام، وأنهم يرونهم إخوة لهم، تجب عليهم نصيحتهم يظهر التفاوت بين منطق أهل الحق، ومنطق الظالمين المبطلين. فهذا يلتزم بالعمل وفق ما يأمر به الله، وهذا يخضع لأهوائه، وينقاد لشهواته ونزواته.

٧ - إذا وقع السيف بين هذين الفريقين، فمن الواضح: أن مبيري عترة الأنبياء، وقتلة الأوصياء والأخيار والصلحاء، والخارجين على أمام زمانهم، لن يكونوا مع أولئك المظلومين بمنزلة واحدة، بل سيساق القتلة والمجرمون إلى النار، ويكون الأئمة الأطهار، والصالحون الأخيار في أعلى عليين في جنات النعيم.

الفصل الثالث:

إحتجاجات ومناشدات الحسين × ..

مناشدات الحسين x في اليوم العاشر:

١ - عن عبد الله بن منصور، عن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين، عن أبيه، عن جدّه [زين العابدين] «عليهم السلام» - في ذكر وقائع يوم عاشوراء - قال:

وَتَبَّ الْحُسَيْنُ «عليه السلام» مُتَوَكِّئًا عَلَى سَيْفِهِ، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ، فَقَالَ: أُنَشِّدُكُمُ اللَّهَ، هَلْ تَعْرِفُونِي؟

قالوا: نَعَمْ، أَنْتَ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ، وَسِبْطُهُ.

قال: أُنَشِّدُكُمُ اللَّهَ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ جَدِّي رَسُولُ اللَّهِ «صلى الله عليه وآله»؟

قالوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

قال: أُنَشِّدُكُمُ اللَّهَ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ أُمِّي فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ «صلى الله عليه وآله»؟

قالوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

قال: أُنَشِّدُكُمُ اللَّهَ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ أَبِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ «عليه السلام»؟

قالوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

قال: أَنْشُدْكُمْ اللَّهَ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ جَدَّتِي خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ أَوَّلُ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِسْلَامًا؟

قالوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

قال: أَنْشُدْكُمْ اللَّهَ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ سَيِّدَ الشُّهَدَاءِ حَمَزَةُ عُمِّ أَبِي؟

قالوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

قال: فَأَنْشُدْكُمْ اللَّهَ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ جَعْفَرَ الطَّيَّارَ فِي الْجَنَّةِ عَمِّي؟

قالوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

قال: فَأَنْشُدْكُمْ اللَّهَ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ هَذَا سَيْفُ رَسُولِ اللَّهِ وَأَنَا مُتَقَلِّدُهُ؟

قالوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

قال: فَأَنْشُدْكُمْ اللَّهَ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ هَذِهِ عِمَامَةُ رَسُولِ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» أَنَا لَا يَسُهَا؟

قالوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

قال: فَأَنْشُدْكُمْ اللَّهَ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ عَلِيًّا كَانَ أَوَّلَهُمْ إِسْلَامًا، وَأَعْلَمَهُمْ عِلْمًا، وَأَعْظَمَهُمْ حِلْمًا، وَأَنَّهُ وَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ؟

قالوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

قال: فَبِمَ تَسْتَحِلُّونَ دَمِي، وَأَبِي الدَّائِدُ عَنِ الْحَوْضِ غَدًا، يَنْوُدُ عَنْهُ رَجَالًا كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الصَّادِي عَنِ الْمَاءِ، وَلِوَاءِ الْحَمْدِ فِي يَدَيِ جَدِّي

يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟

قالوا: قَدْ عَلِمْنَا ذَلِكَ كُلَّهُ، وَنَحْنُ غَيْرُ تَارِكِيكَ حَتَّى تَذُوقَ الْمَوْتَ عَطْشًا.

فَأَخَذَ الْحُسَيْنُ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» بِطَرْفِ لِحْيَتِهِ، وَهُوَ يَوْمِئِذٍ ابْنُ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً، ثُمَّ قَالَ: إِشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ حِينَ قَالُوا: غَزِيرُ ابْنِ اللَّهِ، وَاشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى النَّصَارَى حِينَ قَالُوا: الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، وَاشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى الْمَجُوسِ حِينَ عَبَدُوا النَّارَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَاشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ قَتَلُوا نَبِيَّهُمْ، وَاشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى هَذِهِ الْعِصَابَةِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ قَتْلَ ابْنِ نَبِيِّهِمْ^(١).

٢ - لَمَّا أَصْبَحُوا قَالَ الْحُسَيْنُ «عَلَيْهِ السَّلَامُ»: اللَّهُمَّ أَنْتَ تَقْتِي فِي كُلِّ كَرْبٍ، وَرَجَائِي فِي كُلِّ شِدَّةٍ، وَأَنْتَ فِيمَا نَزَلَ بِي ثِقَةٌ، وَأَنْتَ وَلِيُّ كُلِّ نِعْمَةٍ، وَصَاحِبُ كُلِّ حَسَنَةٍ.

وَقَالَ لِعُمَرَ وَجُنْدِهِ: لَا تَعْجَلُوا، وَاللَّهِ، مَا أَتِيئُكُمْ حَتَّى أَتْنِي كُنُوبُ أَمَا تَلْكُم بِأَنَّ السُّنَّةَ قَدْ أُمِيتَتْ، وَالنَّفَاقَ قَدْ نَجَمَ، وَالْحُدُودَ قَدْ عَطَلْتُ، فَأَقْدَمَ

(١) الأُمَالِي لِلصَّدُوقِ ص ٢٢٢ وموسوعة الإمام الحسين ج ٤ ص ١٠٦ - ١٠٨ عنه، وعن الملهوف ص ١٤٥ - ١٥٨ و (نشر أنوار الهدى) ص ٥٢ وروضة الواعظين ص ٢٠٥ و (منشورات الشريف الرضي) ص ١٨٥ من دون إسناد إلى أحد من أهل البيت، وكلاهما نحوه، وبحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣١٨ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ١٦٧ ولواعج الأشجان ص ١١١ والمجالس الفاخرة ص ٢٤٠.

لَعَلَّ اللَّهَ يَصْلِحُ بِكَ الْأُمَّةَ، فَأَتَيْتُ، فَإِذْ كَرَهُنَّ ذَلِكَ، فَأَنَا رَاجِعٌ، فَارْجِعُوا
إِلَى أَنْفُسِكُمْ، هَلْ يَصْلِحُ لَكُمْ قَتْلِي، أَوْ يَحِلُّ دَمِي؟

أَلَسْتُ ابْنَ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ وَابْنَ ابْنِ عَمَّةٍ؟ أَوَلَيْسَ حَمْزَةُ وَالْعَبَّاسُ وَجَعْفَرُ
عُمُومَتِي؟ أَلَمْ يَبْلُغْكُمْ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» فِيَّ وَفِي
أَخِي: «هَذَانِ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»؟

فَقَالَ شِمْرٌ: هُوَ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ إِنْ كَانَ يَدْرِي مَا يَقُولُ!

فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ كَانَ أَمْرُكَ إِلَيَّ لَأَجَبْتُ.

وَقَالَ الْحُسَيْنُ «عليه السلام»: يَا عُمَرُ! لِيَكُونَنَّ لِمَا تَرَى يَوْمَ
يَسُوءُكَ.

اللَّهُمَّ إِنَّ أَهْلَ الْعِرَاقِ غَرَّوْنِي، وَخَدَعُونِي، وَصَنَعُوا بِأَخِي مَا
صَنَعُوا، اللَّهُمَّ شَتَّتْ عَلَيْهِمْ أَمْرَهُمْ، وَأَحْصَيْهِمْ عَدَدًا^(١).

ونقول:

طريقة المناشدة:

إن أسلوب مناشدة الطرف الآخر، هو في حقيقته أسلوب
استدراجي، يعتمد على حالة الإبهام والغموض في الهدف من الأسئلة
التي تطرح، ثم يفاجئ الطرف الآخر بالنتيجة التي لم يكن يتوقعها،

(١) سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣٠١ والطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من
الصحابة) ج ١ ص ٤٦٨ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد
ص ٧٢ وراجع: تذكرة الخواص ص ٢٢٧.

وهي طريقة تثير لدى الطرف المشارك فيها حالة من الترقب، والفضول لمعرفة الغايات والنهايات، والنتائج التي سوف يخلص إليها من خلال تمهيد مقدمات تفرض نفسها على الطرف الآخر، ويلزمه بها استناداً إلى إقراره أو إنكاره..

وإنما يلجأ إليها أهل الحق، باعتبار أنهم يعتمدون على مسلمات و يقينيات لا مجال لإنكارها ممن يلتزم أمام الله تعالى بالإقرار بما هو حق وصدق، فيكون وجدانه الديني شاهداً عليه، ويعضده تحرجه من الكذب الواضح والفاضح، لو أراد أن ينكر المسلمات التي لا يجهلها أحد.

وقد تضمنت المناشدة الأولى ثلاث مراحل، نذكرها على النحو التالي:

المرحلة الأولى: مرحلة تعريف الإمام بنفسه:

ونستطيع أن نبين بعض ما يرتبط بهذه المرحلة كما يلي:

حشد الدلائل:

يلاحظ: أنه «عليه السلام» قد طرح في البداية عليهم سؤالاً عن نفسه، فأجابوه بما كان يمكنه الاكتفاء به عن طرح بعض الأسئلة بعده لو كان المطلوب هو مجرد الإقرار بقرباه من رسول الله «صلى الله عليه وآله».. فقد أقرّوا بمعرفتهم به، وبأنه ابن رسول الله وسبطه..

ولكنه «عليه السلام» قد عقب ذلك بالسؤال عن معرفتهم بأن رسول الله «صلى الله عليه وآله» جده، فأجابوه بالإيجاب، مع أن

كونه سبط رسول الله معناه أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» جده..

ثم سأله عن معرفتهم بأن أمه هي فاطمة بنت محمد.. فأقروا له بذلك، مع أن السؤال والجواب الأول قد تضمن: أنه ابن الرسول، وأنه سبطه، والسبط هو ابن البنت..

وهكذا يقال: بالنسبة للسؤال عن جدته خديجة، وعن الحمزة عم أبيه، وعن عمه جعفر الطيار، وعن أبيه..

ولعل الغرض من ذلك كله: هو التأثير النفسي عليهم، من خلال تراكم وتزاحم الدلالات أمام أعينهم، وهي تحمل لهم المزيد من الخصوصيات المعبرة عن كمال الاندماج إلى حد الذوبان في بيئة الطهر، والإيمان والخلوص، والصدق، والتقوى.. كما أنها بيئة تضحية وجهاد، وعلم ورشاد، ومروءة وإباء، وشجاعة وسداد..

إن هؤلاء هم أعلام الإسلام ورموزه، وأقماره، وشموسه، الذين لا يمكن لأحد أن ينكر فضلهم، أو موقعهم وأثرهم في هذا الدين، وإعلاء شأنه، ونشر أعلامه..

وتبقى المسؤولية عليهم في المقارنة بينه «عليه السلام» وبين أولئك الناس، الذين هم نتاج بيئة الأهواء والعصبيات، ومحيط الغوايات والضلالات، ويعيشون في حمأة الشهوات، ويعتمدون سبيل الظلم والعدوان، والإبتزاز والإذلال للحق وأهله.

فكيف يستسيغون قتل وإبادة عترة الرسول، وأبنائه، وذريته،

وسبي حرمه، ومن هم على خطه ونهجه في طاعة أولئك العتاة
والجبارين، الذين لا يدينون دين الحق، وهم في الآخرة من
الخاسرين؟!!

ملاحظات في التعبير المختارة:

والناظر في كلماته «عليه السلام»، التي اختارها للتعريف
بنفسه، وبأمه، وأبيه يجد أموراً لافتة:

١ - فهو في بداية كلامه اكتفى بنسبة نفسه إلى جده، وذكره
بعنوان رسول الله «صلى الله عليه وآله» وذلك بعد إقرارهم بأنه
«عليه السلام» ابن هذا الرسول.

ولكنه حين أراد أن يتحدث عن أمه «عليها السلام» ذكرها وذكر
أباها باسميهما، فقال: أمي فاطمة بنت محمد «صلى الله عليه وآله».
فلو أنه «عليه السلام» قال: أمي فاطمة. فلربما ظن أعرابي
جاهل، بأن المراد فاطمة أخرى، كما أنه لم يذكر «عليه السلام» لها
وصفاً ولا سمة، ككونها سيدة نساء العالمين مثلاً..

٢ - وهكذا فعل بالنسبة لانتسابه لأبيه في أول الأمر، ربما لأنه
يعلم مدى بغض كثير من ذلك الجيش لأبيه، فلم يرد أن يحركهم، ويثير
حفظيتهم في البداية لكي لا يلجأوا إلى الشغب والتشويش عليه، ومنعه
بذلك من إتمام كلامه، وبلوغ مقاصده..

٣ - ولكنه «عليه السلام» قد وصف عم أبيه حمزة، وجعفرأ،
وجدته خديجة بأوصاف جليلة، شاعت وذاعت، وعرفت عنهم،

ويعترف الناس كلهم لهم بها.

٤ - إنه «عليه السلام» قد تخير من أوصاف وسمات هؤلاء ما لا يجد مناوئوه حرجاً في سماعه، والإقرار به..

فقد وصف حمزة مثلاً: بأنه سيد الشهداء، وهو وصف أنيس، ورضي، يتناغم مع العاطفة، ولم يصفه بأنه أسد الله وأسد رسوله مثلاً، لأن هذا الوصف الأخير قد يثير حفيظة الكثيرين من بني أمية وغيرهم، لأن حمزة إنما حارب أهل الشرك، وقد كان أسلافهم قادة المشركين ورموزهم، وشارك في قتل فراعنتهم، وقد قال عثمان بن عفان لعلي «عليه السلام»: ما ذنبني إذا لم تحبك قريش وقد قتلت منهم سبعين رجلاً كأن وجوههم سيوف (أو شنوف) الذهب^(١).

وقد صرح يزيد بكفره، حين وضع رأس الحسين «عليه السلام» بين يديه، وصار ينكت ثنايا الإمام الحسين «عليه السلام»، بمخصرته، ويقول:

ليت أشيخي ببدر شهدوا جزع الخرج من وقع الأسل
إلى أن قال:

(١) معرفة الصحابة لأبي نعيم الورق ٢٢ (مخطوط في مكتبة طوب قپوسراي) رقم ٤٩٧/١ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٩ ص ٢٢ والتحفة العسجدية ص ١٣١ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ٢٠٢ وبحار الأنوار ج ٣١ ص ٤٦١ وحياة الإمام الحسين «عليه السلام» للقرشي ج ١ ص ٢٣٥ ومناقب أهل البيت «عليه السلام» للشيرواني ص ٣٧٥.

لست من خندف إن لم انتقم من بني أحمد ما كان فعل

كما أنه «عليه السلام» قد وصف عمه جعفر بن أبي طالب بأنه «الطيار في الجنة» وهو - كوصف حمزة بسيد الشهداء - في مقبوليته وفي طراوته، وكونه من دواعي تحرك العاطفة، وفيه معنى التضحية، ومن دلائل الشجاعة ومن موجبات الإكبار والإجلال، وما إلى ذلك..

كما أنه قد وصف خديجة: بأنها أول نساء هذه الأمة إسلاماً، ولم يذكر شيئاً عن أنها كانت في كمالها، كمریم بنت عمران وآسية بنت مزاحم، وفاطمة بنت محمد. ولم يذكر مقاماتها وتضحياتها. لكي لا يفهم ذلك على أنه تعريض ببعض نساء النبي «صلى الله عليه وآله»، وما كان يعانيه النبي منهن، حتى إنه «صلى الله عليه وآله» أراد أن يطلقهن لكي يتخلص من أذاهن. وقد نزلت سورة الطلاق في حقهن.

لأن توهم أعدائه أنه «عليه السلام» يريد الإلماح إلى ذلك سوف يوجب اعتراضهم، وهيجانهم، وعدم تمكينه من بلوغ مقاصده.

المرحلة الثانية: للتدليل والإثبات:

وذلك من خلال عرضه «عليه السلام»..

سيف وعمامة الرسول ﷺ في ذلك الجمع:

١ - فإن المقطع الثاني من المناشدة قد جاء، ليكون استثماراً للمناشدات التي وردت في المقطع الأول، بل هي شاهد لها، ودليل

عليها، فقد سألهم عن عمامة الرسول وسيفه اللذين كانا في حوزته، لأن تقلده لسيف رسول الله، ولبسه لعمامته شاهد على وراثته، واستحوذه على هذا الإرث بصورة عملية وفعلية.

هذا.. فضلاً عن أنه «عليه السلام» وارث العلم، والمقام والموقع أيضاً، إذا أردنا أن نعتبر لبسه «عليه السلام» لهذه العمامة الخاصة، وتقلده خصوص هذا السيف، في هذا المقام بالذات، تكريساً للمعنى الإيحائي الذي أراد «عليه السلام» أن يفرضه على مناوئيه في ذلك الموقف الذي هو موقف التحدي والتصدي..

٢ - إن مناشدته لهم في أمر السيف والعمامة، وإقرارهم بأنهما لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأنه «عليه السلام» يلبس تلك ويتقلد هذا يدل على أن عمامة وسيف رسول الله كانا معروفين لدى عامة الناس، لأنهم كانوا قد رأوا هذا السيف وتلك العمامة مع أمير المؤمنين «عليه السلام» حين كان في الكوفة، وكان علي «عليه السلام» يتقلد السيف ويلبس العمامة باستمرار، ولا سيما في حروبه مع أعدائه، وقد يقال: إن معرفة العمامة والسيف إنما يكون ممكناً وميسوراً إذا كانت في العمامة والسيف علامة فارقة، يعرفها الناس إذا رأوها، وهي علامة لا مجال لتزويرها أو التلاعب فيها. وإن لم نجد فيما بين أيدينا ما يدلنا على هذه العلامة..

٣ - إن هذه المناشدة وما تضمنته من إقرارات متتالية، تدل أيضاً على أن ذلك الجيش الباغي أو أكثره، أو كبار وأعيانه، كانوا على

دراية تامة بحقيقة ما يقدمون عليه، وأنهم ما كانوا جهلاء ولا أغبياء، وإنما كانوا جاحدين، متعمدين للباطل عن معرفة ويقين.

المرحلة الثالثة: البغض.. لماذا؟!:

ثم انتقل «عليه السلام» إلى مرحلة ثالثة، يمكن أن نعتبرها مرحلة تقويض الأسس والمنطلقات للبغض الشديد، الذي كان يحمله أولئك الأعداء لعلي «عليه السلام»، وذلك وفق البيان التالي:

١ - قد يزين هؤلاء القوم لأنفسهم أن بغضهم لعلي «عليه السلام» يبرر لهم قتل ذريته، وأهل بيته، وسبي نسائه. ولعل ما يستدلون به على هذا المنطق هو ما أشرنا إليه عن قريب وهو قول عثمان لعلي «عليه السلام»: إن سبب عدم حب قريش له هو قتله رجالاتهم على الشرك، بالإضافة إلى الشعر الذي قاله يزيد «لعنه الله» حين جيء بالسبايا وبرأس الحسين إليه، فصار ينكت ثناياه «عليه السلام» بمخصرته.

٢ - إن إقرارهم بالأمور الأربعة التالية قد جاء ليجعل أوهامهم هذه كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف:

فقد أقروا في المناشدة المتقدمة بأن علياً «عليه السلام»:

ألف: أول الناس إسلاماً..

ب: إنه «عليه السلام» أعلم الناس علماً.

ج: إنه أعظم الناس حلماً.

د: إنه ولي كل مؤمن ومؤمنة.

٣ - نلفت نظر القارئ الكريم: أن كلمة «علماء» الواردة في فقرة «ب» يراد بها إفادة معنى الشمول لجميع أنواع العلوم وأقسامها، ومن دون اختصاص بشيء دون شيء.

٤ - يلاحظ: أن هذه الأمور الأربعة، كانت معرفتها ميسورة للناس بأنفسهم من خلال المعاينة، أو التجربة، أو المعاملة، وما يروونه من سلوك، وما يظهر لهم من معارف من خلال الاحتكاك به «عليه السلام»، وسماع كلامه، ومقارنة ما يظهره من غزارة وتبحر وتبصر في العلوم المختلفة بما لدى غيره من قصور علمي ظاهر في مختلف المجالات.

٥ - إن العلم الصحيح والغزير والشامل هو من أعظم الركائز التي يقوم عليها بناء الحياة، ولا يستقيم بدونها.. وهو العنصر الأهم والأقوى الذي يحتاج إليه مقام الإمامة.

٦ - فإذا انضم هذا العلم إلى الملكات الأخلاقية الراقية، والكمال والتوازن بين هذه الملكات، وفق ما يريده سبحانه، فإن ذلك يجعل النفوس مستعدة لتقبل جعل الله تعالى له «عليه السلام» ولياً لكل مؤمن ومؤمنة. فإن إدراك الناس لهذا التميز في العلم، وفي السلوك، فهو أعلم البشر، وهو أعظم الناس حليماً وسجاجة خلق، وسلامة تعامل - إن إدراك هذا الأمر، من شأنه أن يهيئ النفوس والعقول لتقبل ولايته «عليه السلام»، ويجعله على الصعيد النظري أمراً لا محيص عنه، ولا مجال للجدال في صوابيته، وضرورته.

أما في المجال العملي، فإنه إذا طغت الأهواء على بعض الناس، وساروا في طريق الغي، والجحود، فإنهم لا يعذرون في ذلك، كما أن من يجاريهم، وينقاد لهم، ويرضى بما يسخط الله منهم لا يكون معذوراً أيضاً لقيام الحجة عليه، ووضوح الأمر لديه.

المرحلة الرابعة: السؤال المحرج:

وهنا جاء السؤال التقريري الذي لن يجد الظالمون له جواباً، وهو قوله «عليه السلام»: فبِمَ تستحلون دمي، وأبي الدائد عن الحوض الخ..؟!!

فإنه إذا كانت هذه هي مواصفات أبيه علي «عليه السلام»، وهذا هو الموقع الذي وضعه الله فيه، حيث جعله ولياً لكل مؤمن ومؤمنة، فإما أن يقرَّ قتلته ذريته - بغضاً منهم - له «عليه السلام» على أنفسهم: بأنهم ليسوا من أهل الإيمان، ليكون علي «عليه السلام» وليهم، وإما أن يتراجعوا عن إقرارهم هذا المستند إلى هذا البغض الذي يحركهم.. وهم يرفضون الخضوع لكلا الخيارين، وبذلك يكونون قد رضوا بأن يذادوا في الآخرة عن حوض الكوثر، لأنه ليس لعلي أن يسقي مبعضيه من ذلك الحوض.. وبالتالي، فإنه ليس لهم طريق للوصول إلى ظلال لواء الحمد الذي هو في يد رسول الله «صلى الله عليه وآله» لكي يكونوا في ظل هذا اللواء.

وهذا يدل على بوار التخيلات التي تراهن على الفصل بين علي والنبي «صلوات الله عليهما وعلى آلهما» لا في الدنيا، ولا في يوم

القيامة. فإن من المستحيل أن يصل إلى النبي أحد لم يشرب من يد علي من حوض الكوثر..

وهنا جاءه جواب من لا يملك جواباً ولا خطاباً بالإصرار الوقح على الضلال. والجحود للحق، واللامبالاة بالنجاة في الآخرة. واستبدلوا الجنة بالنار، والسعادة بالشقاء، فبئس للظالمين بدلاً..

فاشتد غضب الله عليهم حين أرادوا قتل ابن نبيهم، وكان حالهم حال الأمم الضالة التي جعلت لله ولداً كاليهود والنصارى، وحال الأمة التي عبدت غير الله كالمجوس، وحال الأمة التي قتلت نبيها..

أقدم لعل الله يصلح بك الأمة:

إن ما نقله الإمام الحسين «عليه السلام» - وفق ما جاء في النص الثاني المتقدم - من أن أهل العراق كتبوا إليه يدعونه للقُدوم عليهم، ليس فيه أية إشارة إلى أنهم قد دعوه لقتال الحكام، والقيام على السلطان، وأنه قد قبل دعوتهم، وقدم عليهم على هذا الأساس. لكي يقال: إن ذلك هو السبب في استحلال بني أمية سفك دمه.

ونجيب:

أولاً: إن هذا ليس فقط لا يتضمن أية إدانة له «عليه السلام». بل فيه ما يدل على براءته من هذه التهمة أيضاً، فإن الذين كاتبوه قد ذكروا له ما دل على أن الناس قد أصيبوا في دينهم، فقد أميتت السنة، ونجم النفاق، وعطلت الحدود.

وهذا أمر خطير يحتاج إلى اجترار الحلول له. فقد يكون الحل

هو المبادرة إلى نشاط ثقافي، وتربوي واسع، يعيد الأمور إلى نصابها.

وقد تكون الإصلاحات الاجتماعية، والعناية بالناحية المعيشية للناس جزءاً من هذا الحل..

وقد يكون الحل هو تفعيل النشاط المتعلق بمسؤولية الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، أو تصويب وإصلاح الأساليب المعتمدة في ذلك، وقد يكون الحل غير ذلك..

وقد صرح النص المتقدم: بأن الدعوة التي تلقاها الإمام الحسين «عليه السلام» من أهل الكوفة لم تكن لأجل القتال، ومواجهة النظام، وإنما هي دعوة للإصلاح، حيث قالوا له: فأقدم لعل الله يصلح بك الأمة.

ثانياً: إن بني أمية هم الذين أخافوا الإمام الحسين «عليه السلام»، وأزعجوه، وأرادوا قتله، حتى خرج من المدينة، ثم زاد تصميمهم، وإصرارهم على قتله حين أصبح في مكة، حتى خاف أن تنتهك به حرمة الحرم..

ولم يزل «عليه السلام» يصرح بأن بني أمية لن يقر لهم قرار، ولن يهنأ لهم عيش حتى يصلوا إلى غايتهم هذه. فلم يكن استحلالهم لدمه «عليه السلام» بسبب قبوله دعوة أهل العراق، وقدومه عليهم كما يزعمون.

ثالثاً: إنه «عليه السلام» قد عرض عليهم أن يدعوه يرجع من

حيث أتى، أو إلى مأمنه من الأرض، إذا كانوا قد كرهوا قدومه، بعد دعوتهم إياه.

واللافت: أن الذين دعوه للقدوم ليسوا أشخاصاً مغمورين، ولا شأن لهم، بل هم الأمائل والكبار، والنخبة، والطبقة ذات المكانة والنفوذ الاجتماعي فإن كان ثمة من سبب يوجب كراحتهم لمجيئه، فإنه لم يأت من قبله «عليه السلام»، ولم تكن له يد فيه، بل كان أمائلهم هم السبب. فما معنى أن يجلب عليه نفس هؤلاء بخيلهم ورجلهم؟! ولماذا تداعوا لقتله وسفك دمه، ودماء ذريته، وأصحابه، وسبي حرمه؟!

رابعاً: هناك بيئة أخرى، تدل على أنه لم يرتكب أي شيء يوجب منهم هذا الموقف العنيف، وهي أنه بنص رسول الله «صلى الله عليه وآله» سيد شباب أهل الجنة. فإن سيد شباب أهل الجنة لا يمكن إلا أن يكون معصوماً عن الخطأ. مبرءاً من الزلل. فكيف وبماذا يستحل هؤلاء قتله؟!

هل خدع الإمام X؟!:

وذكر النص الثاني المتقدم: أن الإمام الحسين «عليه السلام» قال: اللهم إن أهل العراق غروني، وخدعوني، وصنعوا بأخي ما صنعوا.

فيرد هنا سؤال يقول:

هل يمكن أن يخدع ويغر الإمام «عليه السلام»؟! وألا يعد هذا نقصاً، أو عيباً في سياسته، وفي إحاطته بالأمور؟!

ونجيب: بأن الإمام «عليه السلام»، وإن كان - بحكم إمامته - يعلم بمآل الأمور، وبدقائقها، وتقلباتها، ويعرف طبائع الناس، وأحوالهم، وكان يخبر الناس أحياناً ببعض من ذلك، ولكنه بحكم موقعه من هذا الدين، وإمامته للأمة، وكونه الراعي والمرشد، والهادي والحافظ لها، إنما يتعامل مع الناس وفق ما علمه عنهم بالوسائل الظاهرية المتوفرة له كما هي متوفرة لغيره، لا من خلال علم خاص حصل عليه بطريقة غير عادية لا سبيل للناس إليها، ولا قدرة لهم عليها، لكونها من الغيب الإلهي المحجوب عنهم، وإنما يختص الله تعالى الأنبياء وأوصيائهم بهذه العلوم الخاصة لمصالح وشؤون أخرى، تحتاج إلى تلك العلوم.

والخلاصة: إن الإمام «عليه السلام» يتعامل مع الناس وفق ظواهر أحوالهم، أو ما يظهرونه له، ويصرحون به، مما يكون إدراكه ميسوراً للإمام ولغيره من الناس، ولا يتعامل معهم بالعلم الخاص الذي اختصه الله به، وأطلع عليه.

إذن، فحتى لو كان الإمام «عليه السلام» يعلم بأن أهل العراق يغدرون ويخدعون، لكنهم إذا ادعوا أنهم قد تابوا وأقلعوا عن هذه العادة، وادّعوا أنهم سوف يكونون أوفياء وأتقياء، فليس له أن يكذبهم، ولا أن يطردهم، ويمنع عنهم معونته، ويحجب عنهم نصيحته، وعلمه، وهدايه.

ولو أنه فعل ذلك لكانت لهم الحجة عليه أمام الله، وأمام الناس، وكان لهم أن يقولوا له: إنك تتهمنا بأمر لم يصدر منا، فلماذا لم

تختبرنا.

دعاء الإمام على أهل العراق:

ويقول النص المتقدم: إن الإمام «عليه السلام» دعا على أهل العراق، فقال: اللهم شئت عليهم أمرهم، واحصهم عدداً. **والحقيقة هي:** أنه «عليه السلام» لم يدع على جميع أهل العراق، في زمانه، ولا بعد زمانه، وإنما دعا على الذين غدروا به منهم، ولم يدع على غيرهم ممن لم يشاركوهم في جريمتهم، ولا سيما إذا كانوا معذورين في عدم نصره إمامهم. ويمكن أن يعتبر قوله «عليه السلام»: واحصهم عدداً. شاهداً أو مساعداً على فهم هذا المعنى.

المناشدة في نصين آخرين:

١ - عن الضحّاك المشرقيّ: كَانَ مَعَ الْحُسَيْنِ «عليه السلام» فَرَسٌ لَهُ يُدْعَى لَاحِقًا، حَمَلَ عَلَيْهِ ابْنُهُ عَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ «عليه السلام»، قَالَ: فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ الْقَوْمُ عَادَ بِرَاحِلَتِهِ فَرَكَبَهَا، ثُمَّ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ دُعَاءً يُسْمَعُ جُلَّ النَّاسِ:

أَيُّهَا النَّاسُ! إِسْمَعُوا قَوْلِي، وَلَا تُعْجِلُونِي حَتَّى أَعْظِمَكُمْ بِمَا لِحَقَّ [في الإرشاد: يحق] لَكُمْ عَلَيَّ، وَحَتَّى أَعْتَذَرَ إِلَيْكُمْ مِنْ مَقْدَمِي عَلَيْكُمْ، فَإِنْ قَبِلْتُمْ عُذْرِي، وَصَدَّقْتُمْ قَوْلِي، وَأَعْطَيْتُمُونِي النَّصْفَ، كُنْتُمْ بِذَلِكَ أَسْعَدَ، وَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ عَلَيَّ سَبِيلٌ، وَإِنْ لَمْ تَقْبَلُوا مِنِّي الْعُذْرَ، وَلَمْ تُعْطُوا النَّصْفَ

مِنْ أَنْفُسِكُمْ (فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ) (١)، (إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ) (٢).

قال: فَلَمَّا سَمِعَ أَخَوَاتُهُ كَلَامَهُ هَذَا صَحَنَ وَبَكِينَ، وَبَكَى بِنَاتِهِ، فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُنَّ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِنَّ أَخَاهُ الْعَبَّاسَ بْنَ عَلِيٍّ وَعَلِيًّا «عَلَيْهِمَا السَّلَامُ» ابْنَهُ، وَقَالَ لَهُمَا: أَسْكِنَاهُنَّ، فَلَعَمْرِي لِيَكْثُرَنَّ بُكَاءُهُنَّ.. (إِلَى أَنْ قَالَ:)

فَلَمَّا سَكَنَ حَمْدَ اللَّهِ وَأَتْنَى عَلَيْهِ، وَذَكَرَ اللَّهُ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، وَصَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» وَعَلَى مَلَائِكَتِهِ وَأَنْبِيَائِهِ، فَذَكَرَ مِنْ ذَلِكَ مَا اللَّهُ أَعْلَمُ، وَمَا لَا يُحْصَى ذِكْرُهُ.

قال: فَوَاللَّهِ، مَا سَمِعْتُ مُتَكَلِّمًا قَطُّ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أُبْلَغَ فِي مَنْطِقٍ مِنْهُ. ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَانْسُبُونِي فَنَنْظُرُوا مَنْ أَنَا، ثُمَّ ارْجِعُوا إِلَى أَنْفُسِكُمْ وَعَاتِبُوها، فَنَنْظُرُوا هَلْ يَحِلُّ لَكُمْ قَتْلِي، وَانْتِهَاكُ حُرْمَتِي؟ أَلَسْتُ ابْنَ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ»، وَابْنَ وَصِيِّهِ وَابْنَ عَمِّهِ، وَأَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ، وَالْمُصَدِّقَ لِرَسُولِهِ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ؟ أَوَلَيْسَ حَمْزَةُ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ عَمَّ أَبِي؟

أَوَلَيْسَ جَعْفَرُ الشَّهِيدِ الطَّيَّارُ ذُو الْجَنَاحَيْنِ عَمِّي؟

(١) الآية ٧١ من سورة يونس.

(٢) الآية ١٩٦ من سورة الأعراف.

أَوَلَمْ يَبْلُغْكُمْ قَوْلُ مُسْتَفِيزٍ فِيكُمْ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ «صلى الله عليه وآله» قَالَ لِي وَلِأَخِي: «هَذَانِ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»؟

فَإِنْ صَدَقْتُمُونِي بِمَا أَقُولُ، وَهُوَ الْحَقُّ، فَوَاللَّهِ، مَا تَعَمَّدْتُ كَذِبًا مُذْ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ يَمْفُتُ عَلَيْهِ أَهْلُهُ، وَيَضُرُّ بِهِ مَنْ اخْتَلَقَهُ.

وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي فَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ إِنْ سَأَلْتُمُوهُ عَنْ ذَلِكَ أَخْبَرَكُمْ، سَلُوا جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيَّ، أَوْ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ، أَوْ سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ السَّاعِدِيَّ، أَوْ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ، أَوْ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، يُخْبِرُوكُمْ أَنَّهُمْ سَمِعُوا هَذِهِ الْمَقَالَةَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ «صلى الله عليه وآله» لِي وَلِأَخِي. أَفَمَا فِي هَذَا حَاجِرٌ لَكُمْ عَنْ سَفَكِ دَمِي؟

فَقَالَ لَهُ شِمْرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ: هُوَ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ إِنْ كَانَ يَدْرِي مَا يَقُولُ! [فِي الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ: إِنْ كُنْتَ أَدْرِي مَا يَقُولُ].

فَقَالَ لَهُ حَبِيبُ بْنُ مُظَاهِرٍ: وَاللَّهِ، إِنِّي لَأُرَاكَ تَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى سَبْعِينَ حَرْفًا، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّكَ صَادِقٌ مَا تَدْرِي مَا يَقُولُ، قَدْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِكَ.

ثُمَّ قَالَ لَهُمُ الْحُسَيْنُ «عليه السلام»: فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ أَفْتَشْكُونَنِي أَمْ لَا؟ مَا أَنِّي [فِي الْكَامِلِ فِي التَّارِيخِ: أَفْتَشْكُونُ فِي أَنِّي] ابْنُ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ! فَوَاللَّهِ، مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ابْنُ بِنْتِ نَبِيٍّ غَيْرِي مِنْكُمْ وَلَا مِنْ غَيْرِكُمْ، أَنَا ابْنُ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ خَاصَّةً.

أَخْبِرُونِي، أَتَطْلُبُونِي بِقَتْلِ مَنْكُمْ قَتْلَهُ، أَوْ مَالٍ لَكُمْ اسْتَهْلَكْتُهُ، أَوْ بِقِصَاصٍ مِنْ جِرَاحَةٍ؟

قَالَ: فَأَخَذُوا لَا يُكَلِّمُونَهُ.

قال: فنادى: يا شَبَثَ بْنَ رُبَيْعٍ، ويا حَجَّارَ بْنَ أَبَجَرَ، ويا قَيْسَ بْنَ الْأَشْعَثِ، ويا يَزِيدَ بْنَ الْحَارِثِ، أَلَمْ تَكُنُّوا إِلَيَّ: أَنْ قَدْ أُيْنَعَتِ الثَّمَارُ، وَأَخْضَرَ الْجَنَابُ، وَطَمَّتِ الْجِمَامُ، وَإِنَّمَا تَقْدَمُ عَلَى جُنْدٍ لَكَ مُجَدِّدٌ، فَأَقْبِلْ؟

قالوا له: لَمْ نَفْعَلْ.

فقال: سُبْحَانَ اللَّهِ! بَلَى وَاللَّهِ، لَقَدْ فَعَلْتُمْ.

ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ! إِذْ كَرِهْتُمُونِي فَدَعُونِي أَنْصَرَفَ عَنْكُمْ إِلَى مَأْمَنِي مِنَ الْأَرْضِ.

قال: فَقَالَ لَهُ قَيْسُ بْنُ الْأَشْعَثِ: أَوْ لَا تَنْزِلُ عَلَى حُكْمِ بَنِي عَمِّكَ؟ فَإِنَّهُمْ لَنْ يُرُوكَ إِلَّا مَا تُحِبُّ، وَلَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مَكْرُوهٌ.

فَقَالَ الْحُسَيْنُ «عَلَيْهِ السَّلَامُ»: أَنْتَ أَخُو أَخِيكَ، أَتُرِيدُ أَنْ يَطْلُبَكَ بَنُو هَاشِمٍ بِأَكْثَرِ دَمِ مُسْلِمٍ بَنِ عَقِيلٍ؟ لَا وَاللَّهِ، لَا أُعْطِيهِمْ [أَعْطَيْكُمْ] بِيَدِي إِعْطَاءَ الدَّلِيلِ، وَلَا أَقْرُ [لَكُمْ] إِقْرَارَ الْعَبِيدِ.

[ثُمَّ نَادَى].

عِبَادَ اللَّهِ! إِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ، أَعُوذُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ.

قال: ثُمَّ إِنَّهُ أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ، وَأَمَرَ عُقْبَةَ بْنَ سِمْعَانَ، فَعَقَلَهَا، وَأَقْبَلُوا يَزْحَفُونَ نَحْوَهُ^(١).

(١) موسوعة الإمام الحسين ج ٤ ص ١٠٨ - ١١٠ عن بعض المصادر التالية:

لفت نظر:

ألف: الجمام: الأمكنة التي يجتمع ماؤها.

ب: قوله «عليه السلام» أنت أخو أخيك: إشارة إلى محمد بن الأشعث ودوره في قتل مسلم بن عقيل «رحمه الله».

كما أن ما عرضه ابن الأشعث على الحسين «عليه السلام»، وادّعاءه أن بني عمه - يعني: بني أمية - لن يروه إلا ما يحب هو نفس ما كان قد عرضه أخوه على مسلم بن عقيل، فقد قال له: «إنك لا تكذب، ولا تخدع، ولا تغر. إن القوم بنو عمك، وليسوا بقاتليك ولا ضاربك»^(١).

تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٢٤ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٢١ والكامل في التاريخ ج ٤ ص ٦٢ والبداية والنهاية ج ٨ ص ١٧٨ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٨ ص ١٩٣ والإرشاد ج ٢ ص ٩٧ وإعلام الوری ج ١ ص ٤٥٨ وفيهما: «لا أفر فرار» بدل «أقر إقرار» وكلها نحوه، وبحار الأنوار ج ٤ ص ٦ و ٧ وراجع الأسطر الأربعة الأخيرة في ج ٤ ص ١٩١ و ١٩٢. وراجع: أنساب الأشراف ج ٣ ص ٣٩٦ و (ط دار التعارف) ج ٣ ص ١٨٨ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٣٣٩ وتذكرة الخواص ص ٢٥١. وراجع: مقتل الحسين لأبي مخنف ص ١١٦ ونهاية الأرب ج ٢٠ ص ٤٣٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣٣ ص ٦٠٣ و ج ١١ ص ٦١٥ و ٦٢١ و ج ٢٧ ص ١٤٢ وجمهرة خطب العرب ج ٢ ص ٥٢.

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٣٧٤ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٢٨٠ ومقاتل الطالبیین ص ٦٩ والكامل في التاريخ ج ٤ ص ٣٣ ومقتل الحسين لأبي

٢ - قَالَ هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ: لَمَّا رَأَاهُمُ الْحُسَيْنُ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» مُصْرِينَ عَلَى قَتْلِهِ، أَخَذَ الْمُصْحَفَ وَنَشَرَهُ وَجَعَلَهُ عَلَى رَأْسِهِ، وَنَادَى: بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ وَجَدِّي مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ.

يَا قَوْمَ، بِمَ تَسْتَحِلُّونَ دَمِي؟ أَلَسْتُ ابْنَ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ؟ أَلَمْ يَبْلُغْكُمْ قَوْلُ جَدِّي فِيَّ وَفِي أَخِي: «هَذَانِ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»؟ إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي فَاسْأَلُوا جَابِرًا، وَزَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ، وَأَبَا سَعِيدَ الْخُدْرِيَّ.

أَلَيْسَ جَعْفَرُ الطَّيَّارِ عَمِّي؟

فَنَادَاهُ شِمْرٌ: السَّاعَةَ تَرُدُّ الْهَافِيَةَ.

فَقَالَ الْحُسَيْنُ «عَلَيْهِ السَّلَامُ»: اللَّهُ أَكْبَرُ! أَخْبَرَنِي جَدِّي رَسُولُ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ»، فَقَالَ: رَأَيْتُ كَأَنَّ كَلْبًا وَلَغَ فِي دِمَاءِ أَهْلِ بَيْتِي، وَمَا أَخَالُكَ إِلَّا إِيَّاهُ.

فَقَالَ شِمْرٌ: أَنَا أَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ إِنْ كُنْتُ أَدْرِي مَا تَقُولُ^(١).

٣ - تَقَدَّمَ الْحُسَيْنُ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» حَتَّى وَقَفَ قُبَالَةَ الْقَوْمِ، وَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى صُفُوفِهِمْ كَأَنَّهَا السَّيْلُ، وَنَظَرَ إِلَى ابْنِ سَعْدٍ وَاقِفًا فِي صَنَادِيدِ الْكُوفَةِ، فَقَالَ:

مخنف ص ٤٩ ونهاية الأرب ج ٢٠ ص ٤٠٠ وإبصار العين ص ٨٢
وموسوعة الإمام الحسين ج ٤ ص ١٦٢.

(١) تذكرة الخواص ج ٢ ص ١٦٣ و ١٦٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات)
ج ٢٧ ص ١٩٩ عن التبر المذاب ص ٨١.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الدُّنْيَا فَجَعَلَهَا دَارَ فَنَاءٍ وَزَوَالٍ، مُتَّصِرَةً
بِأَهْلِهَا حَالًا بَعْدَ حَالٍ، فَالْمَغْرُورُ مَنْ غَرَّتْهُ، وَالشَّقِيُّ مَنْ فَنَّتَتْهُ، فَلَا تَعُرَّتْكُمْ
هَذِهِ الدُّنْيَا؛ فَإِنَّهَا تَقْطَعُ رَجَاءَ مَنْ رَكَنَ إِلَيْهَا، وَتُخَيِّبُ طَمَعَ مَنْ طَمَعَ
فِيهَا، وَأَرَاكُمْ قَدْ اجْتَمَعْتُمْ عَلَى أَمْرٍ قَدْ أَسْخَطْتُمْ اللَّهَ فِيهِ عَلَيْكُمْ، فَأَعْرَضَ
بِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ عَنْكُمْ، وَأَحَلَّ بِكُمْ نَقِمَتَهُ، وَجَبَّكُمْ رَحْمَتَهُ؛ فَنِعْمَ الرَّبُّ
رَبُّنَا، وَبِئْسَ الْعَبِيدُ أَنْتُمْ، أَقَرَرْتُمْ بِالطَّاعَةِ، وَأَمَنْتُمْ بِالرَّسُولِ مُحَمَّدٍ، ثُمَّ
إِنَّكُمْ زَحَفْتُمْ إِلَى دُرِّيَّتِهِ تُرِيدُونَ قَتْلَهُمْ! لَقَدْ اسْتَحَوَذَ عَلَيْكُمُ الشَّيْطَانُ،
فَأَنَسَاكُمْ ذِكْرَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، فَتَبَّ لَكُمْ وَلِمَا تُرِيدُونَ؛ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ
رَاجِعُونَ، هَؤُلَاءِ قَوْمٌ كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ؛ فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ.

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ: وَيْلَكُمْ كَلَّمُوهُ فَإِنَّهُ ابْنُ أَبِيهِ، وَاللَّهِ، لَوْ وَقَفَ فِيكُمْ
هَكَذَا يَوْمًا جَدِيدًا لَمَا قُطِعَ وَلَمَّا حُصِرَ، فَكَلَّمُوهُ.

فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ شِمْرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ، فَقَالَ: يَا حُسَيْنُ، مَا هَذَا الَّذِي
تَقُولُ؟ أَفَهَمْنَا حَتَّى نَفْهَمَ؟

فَقَالَ «عَلَيْهِ السَّلَامُ»: أَقُولُ لَكُمْ: اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ وَلَا تَقْتُلُون؛ فَإِنَّهُ لَا
يَحِلُّ لَكُمْ قَتْلِي، وَلَا انْتِهَاكُ حُرْمَتِي، فَإِنِّي ابْنُ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ، وَجَدَّتِي خَدِيجَةُ
زَوْجَةُ نَبِيِّكُمْ؛ وَلَعَلَّهُ قَدْ بَلَغَكُمْ قَوْلُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ»:
الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مَا خَلَا النَّبِيُّينَ وَالْمُرْسَلِينَ.

فَإِنْ صَدَقْتُمُونِي بِمَا أَقُولُ، وَهُوَ الْحَقُّ، فَوَاللَّهِ مَا تَعَمَّدْتُ كَذِبًا مُنْذُ
عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ يَمْفُتُ عَلَيْهِ أَهْلُهُ.

وَإِنْ كَذَبْتُمُونِي فَإِنَّ فِيكُمْ مِنَ الصَّحَابَةِ مِثْلَ: جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ،

وسَهْلُ بنِ سَعْدٍ، وَزَيْدُ بنِ أَرْقَمَ، وَأَنَسُ بنُ مَالِكٍ، فَاسْأَلُوهُمْ عَنْ هَذَا؛ فَإِنَّهُمْ يُخْبِرُونَكُمْ أَنَّهُمْ سَمِعُوهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ.

فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ أَمْرِي، أَفْتَشْكُونَ أَنِّي ابْنُ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ، قَوْلَ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الْمَشْرِقَيْنِ وَالْمَغْرِبَيْنِ ابْنُ بِنْتِ نَبِيٍّ غَيْرِي.

وَيَلَّكُمْ! أَتَطْلُبُونِي بِدَمِ أَحَدٍ مِنْكُمْ قَتَلْتُهُ، أَوْ بِمَالٍ اسْتَمْلَكْتُهُ، أَوْ بِقِصَاصٍ مِنْ جِرَاحَاتٍ اسْتَهْلَكْتُهُ؟

فَسَكْتُوا عَنْهُ لَا يُجِيبُونَهُ.

ثُمَّ قَالَ «عَلَيْهِ السَّلَامُ»: وَاللَّهِ، لَا أُعْطِيهِمْ يَدِي إِعْطَاءَ الدَّلِيلِ، وَلَا أَفِرُّ فِرَارَ الْعَبِيدِ.

عِبَادَ اللَّهِ! إِنِّي غُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونَ، وَأَعُوذُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ.

فَقَالَ لَهُ شِمْرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ: يَا حُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ، أَنَا أَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ إِنْ كُنْتُ أَدْرِي مَا تَقُولُ.

فَسَكَتَ الْحُسَيْنُ «عَلَيْهِ السَّلَامُ».

فَقَالَ حَبِيبُ بْنُ مُظَاهِرٍ لِلشَّمرِ: يَا عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّ رَسُولِ اللَّهِ، إِنِّي لَأُطِئُكَ تَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى سَبْعِينَ حَرْفًا، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّكَ لَا تَدْرِي مَا يَقُولُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ طَبَعَ عَلَى قَلْبِكَ.

فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ «عَلَيْهِ السَّلَامُ»: حَسْبُكَ يَا أَخَا بَنِي أُسَدٍ، فَقَدْ قُضِيَ الْقَضَاءُ، وَجَفَّ الْقَلَمُ، وَاللَّهُ بِالْعُمَرَاءِ، وَاللَّهُ بِالْعُمَرَاءِ، وَاللَّهُ، إِنِّي لَأَشْوَقُ إِلَى جَدِّي، وَأَبِي وَأُمِّي، وَأَخِي، وَأَسْلَافِي مِنْ يَعْقُوبَ إِلَى يَوْسُفَ وَأَخِيهِ، وَلِي مَصْرَعٌ

أَنَا لَاقِيهِ (١).

ونقول:

الصناديد: الأشراف والرؤساء، والعظماء.

صوت الحسين يسمعه جُلُّ الناس:

ويلاحظ:

١ - إن أول ما يطالعنا في النص الذي رواه الضحاك المشرقي قوله: إن الحسين «عليه السلام» في يوم عاشوراء «نادى بأعلى صَوْتِهِ دُعَاءً يُسْمِعُ جُلَّ النَّاسِ».

وهذا أمر لافت، فإن الحسين «عليه السلام» لا يخالط الأعداء، ولا يقترب منهم في مثل هذا الموقف، لاحتمال أن يغدروا به، ويتعرض لحملة مباغنة من قبلهم. مع احتمال تعرضه لرشقات من سهام حقدهم، وغدرهم.

كما أنه إذا كان عدد الجيش الذي يقاتله «عليه السلام» ثلاثين ألفاً، فإن جلبة هذا الجيش، وقفعة سلاحه، والأحاديث التي يتداولها

(١) موسوعة الإمام الحسين ج ٤ ص ١١١ - ١١٣ عن: مقتل الحسين للخوازمي ج ١ ص ٢٥٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١١ ص ٦٢٠ عنه، وراجع: مثير الأحران ص ٥١ وكشف الغمة ج ٢ ص ٢٢٥ و ٢٦٧ ومناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ١٠٠ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣ ص ٢٤٩ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ٥ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٢٤٩ ولواعج الأشجان ص ١٢٥ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٦٠٢.

عناصره فيما بينهم، وصهيل خيولهم، وانتشار تلك الألوف في طول تلك الصحراء وعرضها - إن ذلك كله - يجعل أقوى الأصوات تضيع وتتلاشى قبل أن تصل إلى بعض الصفوف التي تتشكّل منها بعض كتائبه..

فوصول صوته «عليه السلام» إلى جلّ، إن لم يكن كل ذلك الجيش ليس أمراً عادياً، بل هو من خوارق العادات، التي ينبغي أن تكون محط نظر أكثر ذلك الجيش العرمرم، وأن يأخذوا منها العبرة، وأن توقظ فيهم الوجدان والفكرة. ولكن قد طبع على قلوبهم فهم لا يفقهون.

٢ - إن النص يقول: إنه «عليه السلام» قد ركب راحلته، وخطبهم، وهذا إجراء لافت أيضاً، حيث إنه لو خطبهم، وهو بين أصحابه، فقد يسمع الكثيرون الصوت، ولا يهتدون إلى الشخص، ولا يعرفون أن مخاطبهم هو الإمام الحسين «عليه السلام»، فإذا ركب راحلته، فذلك يجعله بمرأى من الأعداء، لاسيما وأن من يركب الراحلة لا يكون بصدد القتال.

مما سبق:

تضمنت هذه النصوص الثلاثة أموراً عديدة، تحدثنا عنها حين ذكرنا قبلها نصين آخرين للمناشدة لاشتراكهما مع هذه النصوص في كثير من المضامين.

ولذا، فإننا سوف نقتصر على التعرض لعدد من الفقرات

والإشارات التي لم نذكرها هناك..

**فما نريد التوقف عنده نجمله في ضمن ما يلي من عناوين،
فنقول:**

أعظكم بما يحق لكم:

لقد قرر «عليه السلام»: أن للناس حقاً عليه في أمرين:

أولهما: الحصول منه على الموعظة التي يحتاجونها، وهو من حقوق الرعاية على الراعي، وحق المأموم على الإمام، وحق الجاهل على العالم، وحق المحتاج إلى الرعاية والإصلاح، والتأديب، والتربية على مؤدبه ومربيه، وراعيه..

والثاني: أن يعرفهم بسبب مقدمه عليهم، لكي تزول شكوكهم، وتحصل لهم السكينة والطمأنينة، من أنه لم يهدف بقدومه هذا إلى الإخلال بأمنهم، وإلحاق الضرر بهم، بل كان الهدف هو إصلاح شأنهم، والنظر في أمرهم. بعد أن كانوا هم الذين دعوه للقُدوم.

وابن وصيه:

وتقدم: أن الإمام الحسين «عليه السلام» قد ناشدhem الله، إن كانوا يعلمون أنه ابن علي بن أبي طالب، فأقروا له بذلك.. وقد جاء في النص الذي ذكرناه هنا برقم [١] نفس هذا المعنى، ولكن أضاف عليه قوله: «وَابْنَ وَصِيَّهِ».

وهو «عليه السلام»، وإن لم ينتظر جوابهم، إلا أنه يورد كلامه بنحو يظهر أنه يحتج عليهم بالمسلمات التي لا يمكنهم إنكارها، كما أن

أحداً منهم لم يعترض عليه فيها.

وهذا يؤكد ما ذكرناه غير مرة، من أن كونه «عليه السلام» وصي رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان له من الذبوع والشيوع ما يجعله كالنار على المنار، وكالشمس في رائعة النهار.

وقد ذكرنا في كتابنا: علي «عليه السلام» والخوارج، وفي كتابنا: الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام» أشعاراً كثيرة تدل على هذا الذبوع والشيوع لأمر الوصية، الأمر الذي لا مجال لإنكاره.

إن صدقتموني، وإن كذبتهموني:

وبعد أن ذكر «عليه السلام» لهم: ما يحتم عليهم الإنصراف عما عقدوا العزم عليه، افترض أنهم أمام احتمالين: أن يصدقوه فيما قال، أو يكذبوه. وقد عالج هاتين الحالتين بطريقة منطقية هادئة ومنصفة.. مع أن من كان في مثل موقفه يتوقع منه أن يكلمهم بطريقة أخرى، هجومية، وحادة، وعدائية، ولا يلومه الناس لو فعل ذلك.

لكن الإمام «عليه السلام» لا يريد أن يتعامل معهم من موقعه كشخص يواجه خطراً على حياته، ويريد أن يثار لنفسه منهم، حتى مع علمه بأنهم بصدد قتله، بل هو يتعامل معهم حتى في هذه اللحظات الحرجة والحساسة من موقع الإمام المعلم والهادي، والمرشد، الذي يريد أن يبلغهم رسالات ربه، ويعرفهم بما يجب عليهم بالأسلوب المرغب لهم بالأوبة والتوبة، من دون أي انفعال يصددهم عن الحق.

ويلاحظ هنا:

أنه «عليه السلام» حين ذكر احتمال تصديقهم إياه فيما يرويه لهم من حديث رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيه وفي أخيه الإمام الحسن «عليه السلام» قدمه لذلك بما دلهم على صحة هذا الخيار، وأن تصديقهم هذا قد وقع في محله، فإن صدقه يثبت لهم من خلال تربيته ونشأته في بيت النبوة والإمامة، وفي بيئة الطهر والتقوى، والعلم والهدى، حتى إن النبي «صلى الله عليه وآله» جعله سيد شباب أهل الجنة، وهذا دليل على عصمته عن الكذب، وعن كل سوء وذنب، مذ علم أن الله يمقت عليه.

وأيضاً مذ علم أنه يضرب به من اختلقه.

ثم ذكر احتمال تكذيبهم إياه، فقدم لهم مقترحاً يزيل هذا الاحتمال من الأساس، وذلك بأن يسألوا الصحابة الذين سمعوا هذا الحديث، وسمى لهم خمسة منهم، وفي الرواية الأخيرة أربعة، ولم يذكر أبا سعيد الخدري.

أين بنو هاشم؟!:

ويلاحظ هنا:

أولاً: ليس من بينهم رجل واحد من بني هاشم، بل فيهم - كأنس بن مالك - من أظهرت تصرفاته أنه لم يكن من حزب علي «عليه السلام». ولا من الأوفياء له، والصادقين معه. فهو لم يشهد له «عليه السلام» بحديث الغدير ولا بغيره، حين استشهد به علي «عليه السلام» به في مسجد الكوفة، وقال: كبرت ونسيت، فدعا عليه علي «عليه

السلام» بأن يرميه الله بداء لا تواريه العمامة، فأصيب بالبرص^(١).

(١) المعارف لابن قتيبة (ط أصلان أفندي بمصر) ص ١٩٤ و (ط دار المعارف - مصر) ص ٥٨٠ والخصال ج ١ ص ٢١٩ والأُمالي للصدوق ص ١٠٦ و ٥٢١ و ٥٢٢ وبحار الأنوار ج ٣٢ ص ٩٦ وج ٣٤ ص ٢٨٧ وج ٣٧ ص ١٩٧ و ٢٠٠ وج ٤١ ص ٢٠٤ وج ٤٢ ص ١٤٨ ونهج البلاغة (بشرح عبده) ج ٤ ص ٧٤ الباب الثالث رقم ٣١١ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٩ ص ٢١٧ وج ٤ ص ٧٤ والطرائف لابن طاووس ص ٢١٤ والإرشاد للمفيد ج ١ ص ٣٥١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٦ ص ٣٣٨ و ٣٠٨ وج ٨ ص ٧٤١ و ٧٤٦ وج ١٦ ص ٥٦٢ وعيون الحكم والمواظ ص ١٦٤ والمسترشد للطبري ص ٦٧٤ والخرائج والجرائح ج ١ ص ٢٠٨ وإرشاد القلوب ج ٢ ص ٢٢٨ ومناقب علي بن أبي طالب وما نزل من القرآن في علي ص ١٧٦ وكشف الغمة ج ١ ص ٢٨٦ وكشف اليقين ص ١١٠ وشرح الأخبار ج ١ ص ٢٣٢.

وراجع: إختيار معرفة الرجال ص ٤٥ و (ط مؤسسة آل البيت لإحياء التراث) ج ١ ص ٢٤٦ وأنساب الأشراف (ط الأعلمي - بتحقيق المحمودي) ج ٢ ص ١٥٦ و ١٥٧ و (ط دار الفكر) ج ٢ ص ٣٨٦ وراجع: مسند أحمد ج ١ ص ١١٩ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج ١٣ ص ١٣١ حديث رقم ٣٦٤١٧ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٢١١ وج ٧ ص ٣٤٧ ولطائف المعارف ص ١٠٥ وحلية الأولياء ج ٥ ص ٢٦ و ٢٧ وراجع ترجمة الإمام علي «عليه السلام» من تاريخ مدينة دمشق (بتحقيق المحمودي) ج ٢ ص ١٢ و ١٣ وراجع: المطالب ص ٥٧٩ والمناشدة والاحتجاج بحديث الغدير ص ٦٤ تحت عنوان: نظرة في حديث إصابة الدعوة.

ويلاحظ ثانياً: أن الذين خطبوا في جيش يزيد، واحتجوا هم الحسين «عليه السلام»، وأشخاص ليسوا من بني هاشم، بل هم من وجهاء وقراء أهل الكوفة، مثل زهير بن القين، وبرير، وحبيب بن مظاهر وغيرهم. ولعل سبب ذلك هو: أن لا يتوهم أحد أن دفاع بني هاشم ناشئ عن الحمية والعصبية لشيخهم وسيدهم، فيفقد الكثير من تأثيره. كما أنه لا يريد أن يتوهم أحد أن الصراع بين قبيلتين، وليس بين الحق والباطل.

هل تطلبوني بقتيل، أو مال، أو جراحة؟!

ويلاحظ: أنه «عليه السلام» قد استدل لذلك الجيش على عدم جواز قتله بنحو آخر، لم يستند فيه إلى حشد الشواهد والدلالات الدينية، التي تعتمد على العنصر الإيماني، والالتزام الديني، وذلك بالقول: بأن ما يدعونه عليه، من أنه جاء محارباً، ليس لديهم ما يثبت، أو يشير إليه، ثم ضم إلى ذلك: أن نوايا قتله غيلة، أو بأية وسيلة أخرى كانت متوفرة لدى بني أمية من زمن سابق.

وقد أفصحوا عن هذه النوايا له، منذ مات معاوية.

وعلى هذا، لا يبقى أمامهم مبرر لقتله، أو إلحاق الأذى به، إلا أحد أمور ثلاثة هي:

١ - أن يكون «عليه السلام»، قد قتل أحداً منهم.. فهم يرون قتله

به.

٢ - أن يكون قد استولى على مال لهم، أو أتلف لهم منه ما لا

يحق له إتلافه.. (ولو أغمضنا النظر عن أن ذلك لا يبرر قتله، فإنه يبرر ملاحقته لانتزاع الحق منه).

٣ - أن يكون قد جرح أحداً منهم، فهم يريدون قتله به، وإن كان ذلك لا يكفي مبرراً للقتل.

فترى أنه تدرج بذكر الأشد وطأة أولاً، وهو قتل أحدهم، سواء قتله بحق أو بباطل، ثم عقبه بذكر الأخف منه، وهو استهلاك أموال لهم، فيريدون استرداد أموالهم منه بحد السيف، ولو أدى ذلك إلى قتله، ثم انتقل إلى الأخف منهما أيضاً، وهو القصاص منه لجراحة أوقعها على البعض منهم، فيريدون بهذه العساكر: أن يخضعوه لذلك القصاص، ولا يريدون قتله.

وحيث إنه لا يستطيع أحد منهم أن يدعي عليه شيئاً من ذلك، فما المبرر إذن لجمع هذه الجيوش، التي تبلغ عشرات الألوف؟! وما معنى إعلان الحرب، وسل السيوف؟!

إختلاف نصوص المناشدة:

إن من يرجع ويقارن بين النصوص التي تضمنت المناشدة لهم، وتقريرهم بمضامين معينة يجد: أنها شديدة الاختلاف، فهل هذا يدل على تكررها منه «عليه السلام» لهم عدة مرات؟ أم أن الاختلاف قد جاء من قبل الرواة؟! فهناك من ذكر النصوص بالمعنى، وهناك من اقتصر على المناشدات فقط مع أجوبتهم عليها، ولم يذكر ثناءه «عليه السلام» على الله، وغير ذلك. وهناك من ذكر تقريره إياهم ولم يذكر

أجوبتهم، وهناك من اختصر واقتصر على ما رأى أنه مهم بالنسبة إليه.

فإن لكل واحد من هذه الاحتمالات من يؤيده.

وقد يمكن الالتزام بجميع هذه الفروض والاحتمالات، فإنها ليست متباينة، ولا شيء يشجع على نفي أي منها. ولذا فنحن وإن رجحنا الاحتمالات الأخرى على احتمال تكرار المناشدة، لكن احتمال تكررها أيضاً، ولو لمرة واحدة على الأقل. لا مجال لاستبعاده بصورة نهائية، ففعله «عليه السلام» قد ذكر المناشدة لجماعة من الأعداء بصورة مختصرة، ثم أعادها على مسامع الجميع بصورة مفصلة، فتفاوتت نقل الرواة لمضامينها حسب تفاوت اهتماماتهم.

هل كانوا مؤمنين بالرسول؟!:

وفي النص الأخير المتقدم برقم [٢] قال الإمام «عليه السلام» لهؤلاء الأعداء: إنهم أقرؤا الله بالطاعة، وآمنوا بالرسول «صلى الله عليه وآله»، فكيف يصفهم «عليه السلام» بذلك، وهم خارجون على إمامهم، وقد وصفهم «عليه السلام» في كلماته بصفات تؤكد كفرهم. بل هو قد صرح بكفرهم في النص المتقدم برقم [٣]، فقال: «هؤلاء قومٌ كفروا بعدَ إيمانهم؛ فُبُعِدَا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ».

ويجاب:

بأنه «عليه السلام» كان بصدد إقامة الحجة عليهم، وإزاحة الشبهة - التي قد يدعونها - عنهم. فيفترض: أن يعطيهم الفرصة للتأمل

في حجته، فلعل فيهم من يوفق للتوبة، والأوبة.. وإذا صرح لهم بكفرهم في بداية كلامه، فإن ذلك سوف يثير حفيظتهم، ويصددهم عن سماع باقي كلامه.

فكان المطلوب هو: أن يذكرهم بربهم، ويأخذهم بما يدعونه لأنفسهم، ويبين لهم: أن محاولات الفصل بين النبي وعترته وأوصيائه خطأ فاضح، وفادح، ومهلك لهم..

ولأجل ذلك كان «عليه السلام» يصرح: بأن نصيحته لهم، واحتجاجه عليهم، وإيضاح المبهم، ودفع الشبهة عنهم حق لهم عليه، لا يمكنه التفريط به، ولا صرف النظر عنه..

وأما تصريحه بكفرهم، فلعله جاء على سبيل التحذير لهم من بلوغ هذا الحد إذا أصروا على العصيان والجحود.

أو لعله بعد أن بين لهم ما يزيح كل ريب وشبهة، ولم يجد منهم أذناً صاغية واجههم بالحقيقة، وعرفهم بعاقبة جحودهم هذا.

المشرق والمغربان:

وتقدم: أنه «عليه السلام» قال لهم: «فَوَاللَّهِ، مَا بَيْنَ الْمَشْرِقَيْنِ وَالْمَغْرِبَيْنِ ابْنُ بِنْتِ نَبِيِّ غَيْرِي».

وفي نص آخر: أنه ذكر لهم المشرق والمغرب، بصيغة المفرد، فكيف يمكن أن نفهم ذلك..

ونقول:

إننا نلاحظ: أن القرآن الكريم قد ذكر المشرق والمغرب بثلاث صيغ،

هي:

ألف: المشرق، والمغرب - بصيغة المفرد -: كما في قوله تعالى: (وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ) (١).

ب: المشرقان، والمغربان - بصيغة المثنى -: كما في قوله تعالى: (رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ) (٢).

ج: المشارق، والمغارب - بصيغة الجمع -: كما في قوله تعالى: (فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ) (٣).

ولعل السبب في ذلك: أن المطلوب قد يكون الإشارة إلى جهتي المشرق والمغرب، دون أن يكون ثمة غرض بتحديد نقطة بعينها، فيأتي بالمشرق والمغرب بصيغة الإفراد.

وقد يكون المطلوب الدلالة على الإحاطة والاستيعاب، فيذكر الطرفين المتباعدتين اللذين يمثلان الحد الأقصى من هذه الجهة وتلك، فإن للشمس من جهة المشرق مشرقين بهذه الصفة. وهما أقصى نقطة تشرق منها من جهة الشرق الشمالي في أحد أيام السنة، ثم تشرق في كل يوم من موضع أدنى منه، ويزداد دنوها في مشرقها إلى أن تنتهي إلى أقصى نقطة تشرق منها إلى جهة الشرق الجنوبي. وذلك في يوم آخر من أيام السنة.

(١) الآية ١١٥ من سورة البقرة.

(٢) الآية ١٧ من سورة الرحمن.

(٣) الآية ٤٠ من سورة المعارج.

وقد يكون المطلوب هو الإشارة إلى تعدد وكثرة آحاد المشارق، فإن للشمس كل يوم مشرقاً يختلف عن مشرقها في الذي سبقه..
 وحيث إن المطلوب للإمام الحسين «عليه السلام» هو الإشارة إلى سعة واستيعاب، فقد عبر بالمشرقين والمغربين كما هو ظاهر..
 ولعله كان له غرض ببيان هذا الاستيعاب والامتداد الذي بين المشرق والمغرب، فعبر بصيغة المفرد.

إعطاء الدليل، وإقرار العبيد:

وتقدم: أنه «عليه السلام» قال: «لا والله، لا أعطيهم بيدي إعطاء الدليل، ولا أقرُّ إقرارَ [أفر فرار] العبيد».. فقد تضمن هذا النص فقرتين:

الفقرة الأولى، هي قوله «عليه السلام»: «لا أعطيهم بيدي إعطاء الدليل»، فخرج الكلام عنها إلى الفصل التالي، حين الحديث عن قوله «عليه السلام»: «ألا وإنَّ الدَّعِيَّ ابنَ الدَّعِيِّ قَدْ رَكَزَ بَيْنَ اثْنَتَيْنِ، بَيْنَ السَّلَّةِ وَالِدَّلَّةِ». لكي لا نقع في محذور تكرار المطالب.

الفقرة الثانية، هي قوله «عليه السلام»: «ولا أقرُّ إقرارَ العبيد».. فقد روي أيضاً بصيغة: ولا أفر فرار العبيد.

وحصول التصحيف بين الفقرتين بسبب تقارب رسم الكلمات، واختلاف النقط واضح. مما يعني: أن مرجعها إلى فقرة واحدة.

غير أننا نرجح رواية: الإقرار على رواية الفرار، لأن المناسب لقوله: «لا أعطيهم بيدي إعطاء الدليل».. هو أن يقول: «ولا أقرُّ إقرارَ

العبيد». باللقاف المثناة، لأن ما يريدونه منه أمران:
أولهما: أن يذلوه.

ثانيهما: أن يسلبوا منه خياره، بل اختياره بالكلية، فهم يريدونه كالعبد الذي لا اختيار له، بل هو خاضع لإرادة غيره، مقرر له بالطاعة مأخوذ بالانقياد.. وهذا بالذات هو ما يريده يزيد بن معاوية وعبيد الله بن زياد «لعنهما الله تعالى» من الحسين «عليه السلام».

وأما رواية فرار العبيد، فلا مبرر لها - فيما يظهر - سوى القول: بأن العبد معروف بالإباق، وهو الفرار من سيده، فالحسين «عليه السلام» أيضاً لا يفر منهم كما يفر العبد، ولا يعطيهم بيده إعطاء الذليل.

غير أننا نقول:

إن الفرار لا يختص بالعبد، وليس للعبيد فرار خاص بهم، أو يمتازون به عن فرار غيرهم، فلا معنى إلى نسبة الفرار إلى العبيد دون سواهم..

إلا أن يكون المراد: أن العبد يكون ذليلاً خائفاً، ولا يحصل على الأمن، حتى في حالة فراره، فهو فرار غير مجدٍ في دفع الأذى عنه، بل ربما كان من أسباب زيادته.

سكوت الحسين X وجواب حبيب:

وتقدم: أن الشمر «لعنه الله» أراد أن يفرغ كلام الحسين «عليه السلام» من محتواه بتحويله إلى مهاترات ومماحكات، لا معنى لها..

ولم يكن الحسين ليمنحه هذه الفرصة، فسكت عن جوابه، فتولى ذلك حبيب بن مظاهر. لكي يقياس الناس بين كلام الشمر وكلام حبيب، ويبقى كلام الحسين «عليه السلام» على رونقه، وعظمته وقوته، وتأثيره في الأذهان، ووقعه في القلوب.

قضي القضاء وجف القلم:

وتقدم: أنه لما بلغ الأمر إلى هذا الحد، قال الإمام الحسين «عليه السلام» لحبيب: «حَسْبُكَ يَا أَخَا بَنِي أُسَدٍ، فَقَدْ قُضِيَ الْقَضَاءُ، وَجَفَّ الْقَلَمُ، وَاللَّهُ بِالْغُ أَمْرُهُ».

فهل يريد «عليه السلام» أن يقرر أن ما يجري عليه «عليه السلام» هو من مظاهر الجبر الإلهي، وأنه لا مفر منه، ولا محيص عنه؟! ولا خيار للحسين «عليه السلام» فيه.

ويجاب:

بأن الله سبحانه وتعالى إنما يجري الأمور بأسبابها. وإرادة الإنسان واختياره قد تكون من جملة هذه الأسباب، فإذا قضى بأن الحسين «عليه السلام» سوف يستشهد في سبيل هذا الدين، وتسبى عياله وأطفاله، فإن إرادة القتل المجرمين لها مدخلية في تحقق هذا القضاء. كما أن إرادة الحسين «عليه السلام» أن يكون عمله موافقاً لأوامر الله سبحانه لها مدخلية أيضاً في تحقق هذا القضاء، فإذا تضافرت الأسباب، وتمت العلة حصل المعلول، الذي قضى حصوله وفق أسبابه..

فالمقصود بقوله «عليه السلام»: «قُضِيَ الْقَضَاءُ» هو تسجيل

الفصل الرابع:

خطبة الإمام الحسين X في كربلاء..

تَبَّاءُ لَكُمْ أَيُّهَا الْجَمَاعَةُ وَتَرَحَّاءُ:

رَكِبَ أَصْحَابُ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ، فَبَعَثَ الْحُسَيْنُ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» بُرَيْرَ
بْنَ حُصَيْنٍ، فَوَعَظَهُمْ فَلَمْ يَسْمَعُوا، وَذَكَرَهُمْ فَلَمْ يَنْتَفِعُوا.

فَرَكِبَ الْحُسَيْنُ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» نَاقَتَهُ - وَقِيلَ فَرَسَهُ - فَاسْتَنْصَتَهُمْ
فَأَنْصَتُوا، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَذَكَرَهُ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، وَصَلَّى عَلَى
مُحَمَّدٍ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» وَعَلَى الْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، وَأَبْلَغَ
فِي الْمَقَالِ، ثُمَّ قَالَ:

تَبَّاءُ لَكُمْ أَيُّهَا الْجَمَاعَةُ وَتَرَحَّاءُ! حِينَ اسْتَصْرَخْتُمُونَا وَالْهَيْنَ،
فَأَصْرَخْنَاكُمْ مَوْجِفِينَ، سَلَلْتُمْ عَلَيْنَا سَيْفًا لَنَا فِي أَيْمَانِكُمْ، وَحَشَشْتُمْ عَلَيْنَا
نَارًا اقْتَدَحْنَاهَا عَلَى عَدُونَا وَعَدُوِّكُمْ، فَأَصْبَحْتُمْ أَوْلِيَاءَ لِأَعْدَائِكُمْ عَلَى
أَوْلِيائِكُمْ، بَغَيْرِ عَدَلٍ أَفْشَوْهُ فِيكُمْ، وَلَا أَمَلٍ أَصْبَحَ لَكُمْ فِيهِمْ.

فَهَلَّا لَكُمْ الْوَيَالَتُ تَرَكَتُمُونَا وَالسَّيْفُ مَشِيمٌ، وَالْجَاشُ ضَامِرٌ،
وَالرَّأْيُ لَمَّا يَسْتَحْصِفُ، وَلَكِنْ أَسْرَعْتُمْ إِلَيْهَا كَطَيْرِ الدَّبَا، وَتَدَاعَيْتُمْ إِلَيْهَا
كَتَهَافَتِ الْفَرَّاشِ؛ فَسُحِقًا لَكُمْ يَا عِبِيدَ الْأُمَّةِ، وَشِرَارَ الْأَحْزَابِ، وَنَبَذَةَ الْكِتَابِ،
وَمُحَرَّفِي الْكَلِمِ، وَعُصْبَةَ الْأَثَامِ، وَنَفْقَةَ الشَّيْطَانِ، وَمُطْفِئِي السُّنَنِ.

أَهْؤُلَاءِ تَعْضُدُونَ وَعَنَا تَتَّخِذُونَ؟!!

أَجَلْ، وَاللَّهِ غَدْرٌ فِيكُمْ قَدِيمٌ، وَشَجَبَتْ عَلَيْهِ أُصُولُكُمْ، وَتَأَزَّرَتْ عَلَيْهِ
فُرُوعُكُمْ، فَكُنْتُمْ أَخْبَثَ شَجَاً لِلنَّاطِرِ، وَأَكْلَةً لِلْغَاصِبِ.

أَلَا وَإِنَّ الدَّعِيَّ ابْنَ الدَّعِيِّ قَدْ رَكَزَ بَيْنَ اثْنَتَيْنِ، بَيْنَ السَّلَّةِ وَالِدَلَّةِ،
وَهِيَهَاتَ مِمَّا الدَّلَّةُ، يَا أَبَى اللَّهِ لَنَا ذَلِكَ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ، وَحُجُورٌ
طَابَتْ، وَحُجُورٌ طَهَّرَتْ، وَأَنْوَفٌ حَمِيَّةٌ، وَنُفُوسٌ أَيْيَّةٌ، مِنْ أَنْ تُؤَثَّرَ طَاعَةُ
اللَّئَامِ عَلَى مَصَارِعِ الْكِرَامِ.

أَلَا وَإِنِّي زَاحِفٌ بِهَذِهِ الْأُسْرَةِ مَعَ قَلَّةٍ الْعَدَدِ وَخِذْلَانِ النَّاصِرِ.

ثُمَّ أَوْصَلَ كَلَامَهُ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» بِأَبْيَاتِ قُرُوءَةِ بَنِ مُسِيكِ الْمُرَادِيِّ:

فَإِنْ نَهَزِمَ فَهَزَامُونَ قِدَمًا	وَإِنْ نَغْلِبَ فَعِيرُ مُغْلِبِينَ
وَمَا إِنْ طَبْنَا جُبْنَ وَلَكِنْ	مَنَائِنَا وَدَوْلَةَ آخِرِينَ
إِذَا مَا الْمَوْتُ رَفَعَ عَنْ أَنْاسٍ	كَلَامُ الْإِنْسَانِ آخِرِينَ
فَأَفْنَى ذَلِكَ سَرَوَاتِ قَوْمِي	كَمَا أَفْنَى الْقُرُونُ الْأَوَّلِينَ
فَلَوْ خَلَدَ الْمُلُوكُ إِذَا خَلَدْنَا	وَلَوْ بَقِيَ الْكِرَامُ إِذَا بَقِينَا
فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَا أَفِيقُوا	سَيَلْقَى الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا

ثُمَّ قَالَ: أَمَّا وَاللَّهِ، لَا تَلْبَثُونَ بَعْدَهَا إِلَّا كَرِيثٍ مَا يُرَكَّبُ الْفَرَسُ حَتَّى
يَدُورَ بِكُمْ دَوْرَ الرَّحَى، وَيَقْلَقَ بِكُمْ قَلَقَ الْمَحُورِ، عَهْدٌ عَهْدُهُ إِلَيَّ أَبِي عَنْ
جَدِّي (فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا

إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُون) (١)، (إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبَّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (٢).

اللَّهُمَّ احْبِسْ عَنْهُمْ قَطَرَ السَّمَاءِ، وَابْعَثْ عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسَنِي يَوْسُفَ، وَسَلِّطْ عَلَيْهِمْ غُلَامَ تَقْيِفٍ، يَسُومُهُمْ كَأَسَاءَ مُصَبَّرَةٍ؛ فَإِنَّهُمْ كَذَّبُونَا وَخَذَلُونَا، وَأَنْتَ رَبُّنَا، عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا، وَإِلَيْكَ أُنَبِّئُكَ، وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٣).

ونقول:

إيضاحات:

التباب: الاستمرار في الخسران.

الترح: الهلاك والانقطاع.

(١) الآية ٧١ من سورة يونس.

(٢) الآية ٥٦ من سورة هود.

(٣) موسوعة الإمام الحسين ج ٤ ص ١١٤ - ١١٦ وقال في هامشه ما يلي:
الملهوف ص ١٥٥ و (نشر أنوار الهدى) ص ٥٨ والإحتجاج ج ٢ ص ٩٧
ح ١٦٧ و (ط دار النعمان) ج ٢ ص ٢٤ عن مصعب بن عبد الله، وليس فيه
ذيله من «ثم قال: أما والله»، وتحف العقول ص ٢٤٠ بزيادة: «كتابه» عليه
السلام» إلى أهل الكوفة لما ساروا رأى خذلانهم إياه» في صدره، وليس فيه
الأبيات، ومثير الأحزان ص ٥٤ و (ط المكتبة الحيدرية) ص ٣٩ كلها نحوه،
وراجع: إثبات الوصية ص ١٧٧ وبحار الأنوار ج ٤ ص ٨٣ و ١٠ والعوالم،
الإمام الحسين ج ١٧ ص ٢٥٢ ولواعج الأشجان ص ١٢٩ وأعيان الشيعة ج ١
ص ٦٠٢ وإبصار العين ص ٣٤.

الوله: ذهاب العقل.

موجف: مسرع.

حش النار: أوقدها.

الإلب: الجمع. والتألب: التجمع على عداوة شخص.

الجأش: النفس. وقيل: القلب.

استحصف: استحکم.

الشذاذ: المتفرقون.

شام السيف: سلّه، وأغمده. فهو من الأضداد. وهو هنا بمعنى الإغماد.

الدبا: الجراد الصغير، قبل أن يطير، والنمل.

وشجت: الوشيجة: عرق الشجرة وأصولها.

تأزر: التف واشتد وقوي.

الشجا: ما اعترض في الحلق، والحزن.

الكلكل: الصدر، وما بين الترقوتين.

السري: النفيس والشريف.

ركز الرمح: أثبته.

الحجور: البيوت.

حمي الأنف: تأنف من أن يضام.

نصان آخران للخطبة:

ونذكر لهذه الخطبة نصين آخرين.. وسوف نأخذهما من موسوعة الإمام الحسين «عليه السلام»، مع ما لهما من توضيحات، وما أشار إليه من مصادر، والنصان هما:

النص الأول:

تاريخ مدينة دمشق: عن أبي بكر بن دريد: لَمَّا اسْتَكْفَ (١) النَّاسُ بِالْحُسَيْنِ «عليه السلام»، رَكِبَ فَرَسَهُ، ثُمَّ اسْتَنْصَتَ النَّاسَ، فَأَنْصَتُوا لَهُ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ «صلى الله عليه وآله»، ثُمَّ قَالَ:

تَبَّأَ لَكُمْ أَيُّهَا الْجَمَاعَةُ وَتَرَحَّأَ! أَحِينَ اسْتَصْرَخْتُمُونَا وَلِهَيْنَ، فَأَصْرَخْنَاكُمْ مَوْجِفِينَ، شَحَذْتُمْ عَلَيْنَا سَيْفًا كَانَ فِي أَيْمَانِنَا، وَحَشَشْتُمْ عَلَيْنَا نَارًا قَذَحْنَاهَا (٢) عَلَى عَدُوِّكُمْ وَعَدُوَّنَا، فَأَصْبَحْتُمْ إِبَاءَ عَلَى أَوْلِيَائِكُمْ، وَيَدَا عَلَيْهِمْ لِأَعْدَائِكُمْ، بَغِيرَ عَدَلٍ رَأَيْتُمُوهُ بَتَّوْهُ فِيكُمْ، وَلَا أَصْلَ (٣) أَصْبَحَ لَكُمْ

(١) استكفوا به: أي أحاطوا به واجتمعوا حوله. راجع: النهاية في غريب الحديث ج ٤ ص ١٩٠ «كف».

(٢) في الطبعة المعتمدة: «فقدحناها»، والتصويب من الترجمة المطبوعة بتحقيق الشيخ المحمودي.

(٣) كذا في الطبعة المعتمدة، وفي الترجمة المطبوعة بتحقيق الشيخ المحمودي «ولا أمل»؛ وهو الأنسب للسياق، وكما في الرواية اللاحقة.

فيهم، ومن غير حَدَثٍ كَانَ مِنَّا، وَلَا رَأْيٍ يُقِيلُ^(١) فِينَا.

فَهَلَّا لَكُمْ الْوَيَلَاتُ إِذْ كَرِهْتُمُوهَا، تَرَكَتُمُونَا وَالسَّيْفُ مَشِيمٌ، وَالْجَاشُ طَامِنٌ، وَالرَّأْيُ لَمْ يَسْتَخْفِ، وَلَكِنْ اسْتَصْرَعْتُمْ إِلَيْنَا كَطِيرَةَ الدَّبْيِ، وَتَدَاعَيْتُمْ إِلَيْهَا كَتَدَاعِي الْفَرَّاشِ، قَيْحًا وَحِكَةً، وَهُلَعَةً وَذِلَّةً، لَطَوَاغِيَتْ الْأُمَّةُ، وَشَدَّاذِ الْأَحْزَابِ، وَنَبَذَةِ الْكِتَابِ، وَعَصَبَةِ^(٢) الْآثَامِ، وَبَقِيَّةِ الشَّيْطَانِ، وَمُحَرِّفِي الْكِتَابِ، وَمُطْفِئِي السُّنَنِ، وَمُلْحِقِي الْعَهْرَةِ بِالنَّسَبِ، وَأَسْفِ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَزَاحِ الْمُسْتَهْزِئِينَ، (الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ)^(٣)، (لِبَنَسٍ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ)^(٤).

فَهُؤُلَاءِ تَعْضُدُونَ، وَعَنَّا تَتَّخِذُونَ؟!

أَجَلٌ وَاللَّهِ، الْخَذَلُ فِيكُمْ مَعْرُوفٌ، وَشَبَحَتْ^(٥) عَلَيْهِ عُرُوفُكُمْ، وَاسْتَأْزَرَتْ عَلَيْهِ أَسْوَلُكُمْ فَافْرَعَكُمْ، فَكُنْتُمْ أَخْبَثَ ثَمَرَةَ شَجَرَةٍ لِلنَّاطِرِ، وَأَكْلَةً

(١) قال الرجل في رأيه وفيل: إذا لم يُصِيب فيه. راجع: النهاية في غريب الحديث ج ٣ ص ٤٨٦ «فيل».

(٢) في الطبعة المعتمدة: «وعضبة»، والتصويب من الترجمة المطبوعة بتحقيق المحمودي.

(٣) الآية ٩١ من سورة الحجر.

(٤) الآية ٨٠ من سورة المائدة.

(٥) كذا في المصدر، والظاهر أن الصواب: «وشجبت»، كما في نقل مقتل الحسين «عليه السلام» للخوارزمي الذي سوف يأتي لاحقاً.

لِلْغَاصِبِ^(١)؛ أَلَا فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى النَّاكِثِينَ، الَّذِينَ يَنْفُضُونَ الْإِيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا، وَقَدْ جَعَلُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ كَفِيلًا.

أَلَا وَإِنَّ الْبَغِيَّ ابْنَ الْبَغِيِّ قَدْ رَكَزَ بَيْنَ اثْنَيْنِ، بَيْنَ السَّلَّةِ وَالِدَلَّةِ، وَهَيْهَاتَ مِنَّا الدِّيَّةَ، أَبِي اللَّهِ ذَلِكَ وَرَسُولُهُ، وَالْمُؤْمِنُونَ، وَحُجُورٌ طَابَتْ، وَبُطُونٌ طَهَّرَتْ، وَأَنْوَفٌ حَمِيَّةٌ، وَنُفُوسٌ أَبِيَّةٌ، أَنْ تُؤْثِرَ مَصَارِعَ الْكِرَامِ عَلَى ظُنَّارِ^(٢) اللَّئَامِ^(٣).

أَلَا وَإِنِّي زَاحِفٌ بِهَذِهِ الْأُسْرَةِ عَلَى قَلَّةِ الْعَدَدِ، وَكَثْرَةِ الْعَدُوِّ، وَخَذَلَةِ النَّاصِرِ. ثُمَّ تَمَثَّلَ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» بِقَوْلِ الشَّاعِرِ:

فَإِنْ نَهَزِمَ فَهَزَامُونَ قَدِمًا وَإِنْ نُهَزِمَ فَعِيرٌ مُهْزَمِينَا
وَمَا إِنْ طَبْنَا جُبْنَ وَلَكِنْ مَنَايَا وَطَعْمَةً آخِرِينَا
أَلَا ثُمَّ لَا يَلْبَثُوا إِلَّا رِيثَ مَا يُرْكَبُ قَرَسٌ، حَتَّى تُدَارَ بِكُمْ دَوْرٌ

(١) كذا في المصدر، وفي نقل مقتل الحسين «عليه السلام» للخوارزمي الذي سوف يأتي لاحقاً «وَشَجَّتْ عَلَيْهِ عُرُوقُكُمْ، وَتَوَارَتْهُ أَسْوَاطُكُمْ وَفُرُوعُكُمْ، وَنَبَّتَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ، وَغَشِيَتْ بِهِ صُدُورُكُمْ، فَكُنْتُمْ أَخْبَثَ شَيْءٍ، سِخَاً لِلْغَاصِبِ، وَأَكْلَةً لِلْغَاصِبِ».

(٢) يَظَّارُ: أَيِ يَعْطِفُهُمْ عَلَى الصَّلَاحِ. راجع: القاموس المحيط: ج ٢ ص ٨٠ «ظئر».

(٣) كذا في المصدر، وفيه تأخير وتقديم، والصواب: «أَنْ تُؤْثِرَ ظُنَّارَ اللَّئَامِ عَلَى مَصَارِعِ الْكِرَامِ» راجع: ترجمة الإمام الحسين (المطبوعة بتحقيق المحمودي) ص ٢١٧ الهامش ٧.

الرَّحَى، وَيُفْلَقَ بِكُمْ فَلَقَ الْمَحَوْرَ، عَهْدًا عَهْدَهُ النَّبِيُّ إِلَى أَبِي: (فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غَمَةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ) (١)، (إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (٢) «(٣)».

النص الثاني:

مقتل الحسين «عليه السلام» للخواري و غيره، عن عبد الله بن الحسن: [وأحاطوا بالحسين من كل جانب حتى جعلوه في مثل الحلقة، فخرج الخ..] خَرَجَ الْحُسَيْنُ «عليه السلام» مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى أَتَى النَّاسَ، فَاسْتَنْصَتَهُمْ، فَأَبَوْا أَنْ يُنصِتُوا.

فَقَالَ لَهُمْ: وَيَلَّكُمْ! مَا عَلَيْكُمْ أَنْ تُنصِتُوا إِلَيَّ، فَتَسْمَعُوا قَوْلِي، وَإِنَّمَا أَدْعُوكُمْ إِلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ، فَمَنْ أَطَاعَنِي كَانَ مِنَ الْمُرْشِدِينَ، وَمَنْ عَصَانِي كَانَ مِنَ الْمُهْلَكِينَ، وَكُلُّكُمْ عَاصٍ لِأَمْرِي، غَيْرُ مُسْتَمِعٍ لِقَوْلِي، قَدْ انْخَزَلَتْ عَطِيَّاتُكُمْ مِنَ الْحَرَامِ، وَمُلِئَتْ بُطُونُكُمْ مِنَ الْحَرَامِ، فَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِكُمْ، وَيَلَّكُمْ أَلَا تُنصِتُونَ؟ أَلَا تَسْمَعُونَ؟

(١) الآية ٧١ من سورة يونس.

(٢) الآية ٥٦ من سورة هود.

(٣) راجع: تاريخ مدينة دمشق ج ١٤ ص ٢١٨ وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر ص ٣١٧ وبغية الطلب في تاريخ حلب ج ٦ ص ٢٥٨٧ نحوه، وراجع: الفتوح لابن أعمش ج ٥ ص ١١٦ ومطالب السؤل ص ٧٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١١ ص ٦٢٦ وج ١٩ ص ٤١٦.

فَقَالُوا أَصْحَابُ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ، وَقَالُوا: أَنْصِتُوا لَهُ.

فَقَالَ الْحُسَيْنُ «عليه السلام»: تَبَّ لَكُمْ أَيُّهَا الْجَمَاعَةُ وَتَرَحَّأْ! أَفَحِينَ اسْتَصْرَخْتُمُونَا وَلِهَيْبِنَ مُتَحَيِّرِينَ، فَأَصْرَخْنَاكُمْ مُؤَدِّينَ مُسْتَعِدِّينَ، سَلَلْتُمْ عَلَيْنَا سَيْفًا فِي رِقَابِنَا، وَحَشَشْتُمْ عَلَيْنَا نَارَ الْفِتْنِ الَّتِي جَنَاهَا عَدُوُّكُمْ وَعَدُوُّنَا، فَأَصْبَحْتُمْ إِلَيَّ عَلَى أُولِيائِكُمْ، وَيَدًا عَلَيْهِمْ لِأَعْدَائِكُمْ، بَغَيْرِ عَدْلِ أَفْسَوْهُ فِيكُمْ، وَلَا أَمَلٍ أَصْبَحَ لَكُمْ فِيهِمْ، إِلَّا الْحَرَامَ مِنَ الدُّنْيَا أَنَالُوكُمْ، وَخَسِيسَ عَيْشٍ طَمِعْتُمْ فِيهِ، مِنْ غَيْرِ حَدَثٍ كَانَ مِنَّا، وَلَا رَأْيٍ تَقِيلَ لَنَا. فَهَلَّا - لَكُمْ الْوِيَلَاتُ - إِذْ كَرِهْتُمُونَا تَرَكْتُمُونَا، فَتَجَهَّزْتُمُوهَا وَالسَّيْفُ لَمْ يُشْهَرْ، وَالْجَاشُ طَامِنٌ، وَالرَّأْيُ لَمْ يَسْتَحْصِفْ، وَلَكِنْ أَسْرَعْتُمْ عَلَيْنَا كَطِيرَةِ الدَّبَا، وَتَدَاعَيْتُمْ إِلَيْهَا كَتَدَاعِي الْفَرَّاشِ.

فَقُبْحًا لَكُمْ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ مِنْ طَوَاغِيتِ الْأُمَّةِ، وَشُدَّادِ الْأَحْزَابِ، وَنَبَذَ الْكِتَابَ، وَنَفَقَةَ الشَّيْطَانِ، وَعَصَبَةَ الْآثَامِ، وَمُحَرِّفِي الْكِتَابِ، وَمُطْفِئِي السُّنَنِ، وَقَتْلَةَ أَوْلَادِ الْأَنْبِيَاءِ، وَمُبِيرِي عِتْرَةِ الْأَوْصِيَاءِ، وَمُلْحَقِي الْعُهَّارِ بِالنَّسَبِ، وَمُؤْذِي الْمُؤْمِنِينَ، وَصُرَاخِ أُمَّةِ الْمُسْتَهْزِئِينَ، الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ، وَأَنْتُمْ ابْنُ حَرْبٍ وَأَشْيَاعُهُ تَعْتَمِدُونَ، وَإِنَّا نَخْذُلُونَ؟!!

أَجَلُ وَاللَّهِ، الْخَذْلُ فِيكُمْ مَعْرُوفٌ، وَشَجَّتْ عَلَيْهِ عُرُوفُكُمْ، وَتَوَارَتْهُ أَسْوَاطُكُمْ وَفُرُوعُكُمْ، وَنَبَتَتْ [ثَبَتَتْ] عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ، وَغُشِيَتْ بِهِ صُدُورُكُمْ، فَكُنْتُمْ أَخْبَتَ شَيْءٍ، سِنْخًا^(١) لِلنَّاصِبِ، وَأَكْلَةً لِلْغَاصِبِ؛ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى

(١) السِّنْخُ - بالكسر - من كل شيء: أصله، والجمع أسناخ، مثل حمل أحمال.

النَّاكِثِينَ، الَّذِينَ يَنْفُضُونَ الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا، وَقَدْ جَعَلْتُمْ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا؛
فَأَنْتُمْ - وَاللَّهِ - هُمْ.

أَلَا إِنَّ الدَّعِيَّ ابْنَ الدَّعِيِّ قَدْ رَكَزَ بَيْنَ اثْنَتَيْنِ، بَيْنَ الْقَتْلَةِ [القلة]
وَالدَّلَّةِ، وَهِيَهَاتَ مِنَّا أَخَذُ الدَّيَّةِ، أَبِي اللَّهِ ذَلِكَ وَرَسُولُهُ، وَجُدُودٌ طَابَتْ،
وَحُجُورٌ طَهَّرَتْ، وَأُنُوفٌ حَمِيَّةٌ، وَنُفُوسٌ أُبَيَّةٌ، لَا تُؤْثِرُ [مصارع] طَاعَةَ
اللَّئَامِ عَلَى مَصَارِعِ الْكِرَامِ.

أَلَا إِنِّي قَدْ أَعَذَرْتُ وَأَنْدَرْتُ.. (١).

وبقية هذا النص يكاد يكون مطابقاً لما جاء في النص المتقدم برقم [١].

فراجع.

ونقول:

في هذه الخطبة مواضع كثيرة تحتاج إلى بسط في القول، وتوسع
في البيان. ونحن نعترف بقصورنا عن القيام بهذه المهمة. ولكن ما لا
يدرك كله لا يترك جله، ولا كله.. فنحن نقتصر على بيان بعض
الأمر المتصلة ببعض فقرات هذه الخطبة الشريفة، فنقول:

راجع: مجمع البحرين ج ٢ ص ٤٣٥ «سنخ».

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٦ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ٨ - ١٠ والعوالم،

الإمام الحسين ج ١٧ ص ٢٥١ - ٢٥٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١١

ص ٦٢٤.

اختلاف النصوص المتقدمة:

إن اختلاف النصوص المتقدمة فيما بينها في الزيادة وفي النقيصة، وفي السياق البياني للنص، وفي التقديم والتأخير، وفي الإسهاب والاختصار، وغير ذلك لا يكاد يخفى على الناظر الخبير، والمتأمل البصير..

وقد ذكرنا في الفصل السابق في سياق حديثنا عن المناشدات بعض ما له ارتباط بهذا الأمر.. والذي قلناه هناك هو بعينه يقال هنا، فنحن نحيل القارئ الكريم عليه، مع اعتذارنا له عن تكرار نفس المطالب، لأن قربها وسهولة الرجوع إليها، والاطلاع عليها يغنيانا عن الإعادة..

غاية الخذلان والخسران:

١ - ثم ذكر «عليه السلام»: أن هؤلاء القوم قد أصبحوا أولياء لأعدائهم على أوليائهم.

وهذا الأمر، وإن كان قبيحاً، بل هو في غاية القبح في حد نفسه، إلا أن ما يزيده قبحاً وشناعة ألا تكون له أية إيجابية ولو موهومة لهم، أو أي نفع مهما كان ضئيلاً وتافهاً.. بل محض ضرر، وسقوط وضياع، وإلقاء للنفس في الهاوية، فهو كمن يضع نفسه بين فكي الأسد، أو في متناول براثن وأنياب، ومخالب الوحوش المفترسة، والجوارح الكاسرة..

وهذا ما ألمح إليه «عليه السلام» بقوله: «بَغَيْرِ عَدَلٍ أَفْشَوْهُ فَيَكُومُ»

لكي تتوهموا أن فعلكم الشنيع هذا كان طمعاً في استمرار هذا العدل..

٢ - ومع أنكم لم تروا منهم عدلاً، فقد يتوهم متوهم: أن من الجائز أن يقدم الإنسان على أمر لصالح شخص آخر، أو فئة أخرى، برجا أن تحصل انعطافة إيجابية لدى ذلك الشخص، أو تلك الفئة، فيكون هذا الأمل هو العزاء والسلوة. ولكن الغريب في الأمر هنا: أن هؤلاء الأشرار ليس لديهم حتى توهم وجود أمل من هذا القبيل، فضلاً عن توقعه أو رجائه. وهذا ما أشار إليه «عليه السلام» بقوله:

«ولا أَمَلٍ أَصْبَحَ لَكُمْ فِيهِمْ».

مضامين خطب الإمام X:

وما نريد لفت النظر إليه: أن الإمام «عليه السلام» قد تطرق - تصريحاً أو تلويحاً - إلى مضامين وحقائق، ولطائف ودقائق عديدة، ومهمة، نرى أن استيعابها وعرضها بدقة متعسر، بل متعذر علينا، لاحتياجه إلى تبصر، وتأمل، وتدقيق، لا نرى أن لدينا الأهلية لادّعائه لأنفسنا.

ونذكر - على سبيل المثال - نموذجاً من النقاط التي أشير إليها في سياق خطبه، ومناشداته «عليه السلام»، فنقول:

تضمنت كلماته «عليه السلام»:

١ - دعوة ذلك الجيش الباغي والطاغي إلى التوبة والتراجع عما عقد العزم عليه.

٢ - عرض عليهم أن يدعوه يرجع من حيث أتى، أو يختار

المكان الذي يرى أنه موضع أمن له.

٣ - هو يذكرهم بكتبهم إليه، واستغاثتهم به.

٤ - يبين لهم جانباً من المسيرة العملية المخزية، والظلم للناس الذي يمارسه يزيد، وبنو أمية، ومن يدور في فلکهم.

٥ - التأكيد على طهر أهل البيت «عليه السلام»، وفضلهم وعلمهم، ومكانتهم، وموقعهم من هذا الدين.

٦ - التذكير بأنهم عترة الرسول، وذريته، وأهله..

٧ - الشكوى من عدوان هؤلاء الحكام المتغلبين على حقوق أهل البيت عليه، واغتصابها منهم، وعدم رعاية حرمة الرسول، ورفض الإذعان للأوامر الإلهية الصريحة، وعدم قبول التوجيهات والأوامر النبوية الشريفة فيهم.

٨ - تخويفهم من أخطار سياسات بني أمية فيهم في المستقبل.

٩ - تحذيرهم من عواقب ما يقدمون عليه، وما ينتظرهم من انتقام إلهي منهم في الدنيا والآخرة.

١٠ - تأكيده على أن بني أمية، وسائر أعدائه لا يملكون أي مبرر، أو ذريعة، مهما كانت تافهة على ما عقدوا العزم عليه، سوى الإصرار على البغي والعدوان، وإيثار طاعة الشيطان على طاعة الرحمان. والخروج من دائرة الإيمان، إلى دائرة الكفر والطغيان.

وغير ذلك مما ربما مرت أو سوف تمر الإشارة إليه، أو إلى بعض منه.

دعوات الإمام X على أعدائه:

يلاحظ: أن هذه الخطبة للإمام «عليه السلام» يوم عاشوراء قد جاءت قوية وحادة، وربما اعتبرت قاسية وجارحة. إلا أن واقع الأمر هو: أن صراحة هذه الخطبة ووضوحها وحساسيتها مضامينها وخطورتها هو الذي جعلنا نشعر بقسوتها ومرارتها. فالمرارة هي للحقيقة نفسها.

فمثلاً: إنه «عليه السلام» حين يدعو عليهم بالتبأ والترح، والخسران المستمر، والهلاك، ويقول: «تَبَّأَ لَكُمْ أَيُّهَا الْجَمَاعَةُ وَتَرَحَّأَ»، ويدعو عليهم بالسحق والتمزق، فيقول: «فَسُحِّقْ لَكُمْ..»، وإنما يفعل ذلك، لأنهم يستحقون هذا المصير الأسود، لأنهم يقدمون على أعظم الموبقات من دون سبب، أو مبرر ولو موهوم، سوى البغي والظلم، وطاعة الشيطان.. مع وضوح الأمور لهم، وقيام الحجة عليهم، ومع كثرة المواعظ التي سمعوها، والنصائح التي أسديت إليهم.

ثم هو «عليه السلام» يدعو عليهم بعدة أمور، فيقول:

١ - «اللَّهُمَّ احْبِسْ عَنْهُمْ قَطَرَ السَّمَاءِ»، لأن هذا يحرمهم من أهم العناصر التي تحتاجها الحياة البشرية، والحياة والبقاء لكل المخلوقات، حتى النبات والشجر.

٢ - ثم قال: «وَابْعَثْ عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسَنِي يَوْسُفَ» فإن سنوات القحط إذا اشتدت بقوم، فذلك يدفعهم إلى: أن يستفيدوا فيها مما ادَّخروه، وجمعوه، أو اجتمع عندهم، حتى المياه التي اختزنتها الأرض في

جوفها، أو خزنت في الآبار والمستوعبات المستحدثة..

فإذا استهلك، ولم يكن هناك ما يعوضها، فإن الأمر سينتهي بأولئك القوم إلى الهلاك.

٣ - ثم قال: «وسلّط عليهم غُلامٌ ثَقِيفٌ، يَسُومُهُمْ كَأَسَا مُصْبَرَةً»
قتل الصبر: هو حبس الإنسان ليقْتل؛ فإذا ابتلي هؤلاء القوم، إضافة إلى ما تقدم، بمن يستحل سفك دمائهم، ومن يحبسهم ليقْتلهم صبراً بالسيف، وهم واعون ومدركون لما يراد بهم، ويجري عليهم.. فذلك يعني: أنهم سيواجهون آلاماً نفسية صعبة، وعذاباً روحياً شديداً، حيث يرون أنه لا نجاة لهم من الموت، وتتلاشى أحلامهم، وتتبخّر آمالهم، وتزول أوهامهم.

لماذا دعا عليهم؟!:

ثم ذكر «عليه السلام» ما دعاه إلى الدعاء عليهم، فقال: «فَإِنَّهُمْ كَذَّبُونَا وَخَذَلُونَا». فتكذيبهم لهم «عليهم السلام» وخذلانهم إياهم من موجبات استحقاق هذه العقوبات الثلاث، ربما لأن التكذيب معناه: إسقاط دعوة الحق عن الاعتبار، وتعطيل دور الأئمة والقادة، وسلب قدرتهم على التأثير في المجتمعات: تربية، وتعليماً، وإصلاحاً، وهداية، وهذا يؤدي إلى بطلان جهود الأنبياء، وإهدار دماء الشهداء، وإرجاع الأمة إلى حالة مزرية من الجهل والتوحش..

فمن الطبيعي أن تكون عقوبة هذه الجريمة متناسبة مع واقع وآثار الجريمة نفسها، والأمور الثلاثة التي ذكرها «عليه السلام» في

دعائه عليهم تحمل هذه الخصوصية أيضاً.

أما الخذلان، فيكون حين يحتاج الإمام والهادي والمصلح إلى النصر والمعونة، في عمله الذي لا يعود نفعه إليه، بل هم عمل إصلاحي يهدف إلى إنقاذ الأمة من براثن الضلال، وتحريرها من أسر الجبارين، والمضلين والمبطلين، والمفسدين.

فالعقل والشرع والوجدان، يحكم ويفرض على كل قادر أن يمد يد العون والنصر لذلك المصلح والهادي.

وإن لم يفعل القادرون ذلك، وخذلوا إمامهم وقائدهم، فإن النتيجة الطبيعية ستكون هي نفس الأمور الثلاثة المتقدمة التي ذكرها «عليه السلام» في دعائه عليهم.

فإن الله سوف يحجب عن هؤلاء الخاذلين معونته، وألطافه، وفضله، ومدده، فيمنع عنهم قطر السماء..

وستكون نتيجة ذلك: أن تواجههم سنوات قحط، وعدم وحاجة.

فإذا استنفد الناس ما عندهم ولم يبق لديهم شيء مما اتَّخروه، واستخرجوا ما في الخبايا والخزائن، ولم يبق منه لديهم شيء يحفظ لهم رمق الحياة.. فإن من الطبيعي أن يحاول من لديه فضل قوة أن يفرض سلطانه على من هم دونه، ويجعلهم في خدمة مصالحه، ويتخذهم عبيداً لأهوائه، وربما رأى أنهم لا يستحقون الحياة، وأن ذلك بسبب ما ارتكبوه من جرائم ومآثم، وإذا كان ذلك القوي من أهل الإيمان والالتزام بالأحكام، فلا بد أن يعتبرهم بسبب جرائمهم

مهدوري الدم.. فيسقيهم كأساً مُصَبَّرَةً، كما تقدم بيانه.

استصرختمونا فأصرخناكم:

ثم إن أول ما يلفت النظر في هذه الخطبة: أنه «عليه السلام»:

١ - قد بدأ كلامه بالدعاء على أولئك الغدرة الفجرة بالتبأب، وهو الهلاك والخسران المستمر، وبالترح، وهو أيضاً الهلاك والانقطاع والحزن.. فإن، هذا المصير إنما صنعوه هم لأنفسهم بأيديهم، من خلال إصرارهم على ارتكاب هذه الجريمة الهائلة في حق الإسلام والإيمان، والإنسانية بأسرها.

إنه «عليه السلام» واجههم بهذه الحقيقة، وهي: أنهم بملء اختيارهم قد بدأوا بصنع فصول وجزئيات جريمتهم من ألفها إلى يائها.. فكانت صرختهم المدوية في البداية هي صرخة الواله الذي ذهب عقله، وفقد رشده من شدة الألم. وقد طلبوا منه «عليه السلام» أن يسمع صرختهم، ويغيثهم، فإن كلمة استصرخه لها معنيان: أحدهما: استغاثته.

والآخر: حمله على الصراخ.

وهذه الاستغاثة تعني: أن المغيث يضع أمله بالمستغاث به.

٢ - فكان لا بد من إغاثة هذا الواله الملهوف بأقصى سرعة، وهذا ما فعله «عليه السلام»، وإذ به يجد نفس من استغاث به قد أخذ عليه السبل، وجمع الجيوش لقتله، وقتل أهل بيته، وأصحابه، وسبي

حرمة!!

فسلوا عليه سيفاً يفترض أن يكون له «عليه السلام» في أيمانهم.
وأضرموا ناراً عليه لتحرقه، كان يفترض أن تضرم على عدوه
وعدوهم.

ما حدث للحسين X لم يحدث لأحد:

وكلمات الإمام «عليه السلام» في هذه الخطبة طافحة بالشواهد
على مدى الألم والأسى الذي كان يعتمل في صدره. ربما لأن ما
جرى له «عليه السلام» مع أهل الكوفة الذين جاؤوا لحربه ليس له
نظير في تاريخ الأمم.. ومن البعيد جداً حصول نظير له في الآتي من
الزمان. فإنه لم يحدث أبداً أن استغاثت أمة بأسرها بأقدس، وأفضل،
وأكمل، وأعلم مخلوق على وجه الأرض، ومن هو بقية أهل بيت
النبوة، الذين طهرهم الله، وأمر البشر بمحبتهم ومودتهم.. - استغاثت
به - لينقذها من بلاء هي فيه، ثم انقلبت عليه مرتين:

إحداهما: حين صارت قلوبهم معه وسيوفهم عليه.

والثانية: حين أصبحت السيوف والقلوب معاً عليه.

وقد كان هذا الانقلاب مستوعباً وشاملاً، باستثناء بضعة أفراد. ثم
جاءت إليه بقضها وقضيضها لتتولى أسره وتسليمه لأعدائه، فلما
عجزت عن ذلك بادرت إلى قتله هو وأهل بيته وأصحابه، وأسر
حرمة بأبشع صور وأقبحها.

واللافت: أن الذين والاهم هؤلاء المخذولون، هم أشد وأضر، وأسوأ خلق الله، وأشدّهم بغياً وظلماً وعتواً، ولم يغيروا شيئاً مما كانوا عليه، كما قال «عليه السلام»: «بَغَيْرِ عَدَلٍ أَفْشَوْهُ فِيكُمْ، وَلَا أَمَلٍ أَصْبَحَ لَكُمْ فِيهِمْ»، فإنهم الشجرة ملعونة في القرآن.

وكان الخوف والطمع، وفقدان الشعور بالكرامة، ونسيان ذكر الله هو السبب في هذا التبدل الخطير، فمنهم من باع نفسه بالمال، ومنهم من أرهقه الخوف من بطش الأمويين، وفي كلتا الحالتين، فإن من يخضع لعامل الخوف، فإنه يبتلى بالجبن والخنوع، ويرضى بالهوان والذل، إذ «إنه لم يكره قوم قط حر السيوف (السيف) إلا ذلوا»^(١).

ومن خضع للطمع، فإنه هو الآخر يصير مصداقاً لقوله «عليه السلام»: «ما أقبح بالمؤمن أن تكون له رغبة تذله»^(٢).

(١) روضة الواعظين (منشورات الشريف الرضي) ص ٢٧٠ والإرشاد ج ٢ ص ١٧٣ وعمدة الطالب ص ٢٥٦ وسر السلسلة العلوية ص ٥٨ وإعلام الوري ج ١ ص ٤٩٤ وكشف الغمة ج ٢ ص ٣٤٢ وبحار الأنوار ج ٦ ص ١٨٧.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٣٢٠ وصفات الشيعة ص ٣٢ وتحف العقول ص ٤٨٩ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج ١٦ ص ٢٤ و (الإسلامية) ج ١١ ص ٣٢١ ومستدرك الوسائل ج ١٢ ص ٦٨ وبحار الأنوار ج ٧٠ ص ١٧٠ و ١٧١ وج ٧٥ ص ٣٧٤ وج ٦٤ ص ٣٠٣ ومرآة العقول ج ١٠ ص ٢٥٨ والأنوار البهية ص ٣١٨ ومستدرك سفينة البحار ج ٣ ص ٤٥٠.

ومن ينسى ذكر الله، فإن الله ينسيه نفسه، ويفقد المعايير التي تضبط حركته.

ولا تقتصر الآثار السلبية لما جرى على فريق دون فريق، بل هي جريمة بحق الأمة بأسرها، فقد حرموها من نعمة العيش الآمن والرغيد، في ظل الهدايات الربانية، والألطف الإلهية، وباعوا دنياهم وآخرتهم بالأبخس الأدنى.

ولا تقتصر سلبيات ذلك على جيل دون جيل، بل هي تصيب المجتمعات البشرية عبر الأجيال، وإلى يوم القيامة.

ولأجل ذلك نجد كلمات الإمام الحسين «عليه السلام» في هذه الخطبة تنضح بالأسى والألم، والتوجع والشكوى.. لا أسفاً، ولا إشفاقاً منه على شخصه، ولا خوفاً من القتل، وإلا لكان قد وجد السبيل للنجاة منه.

ولكنه لم يفعل ذلك لعلمه بأن لو فكر بنفسه، وعمل على نجاتها بأي نحو كان سوف يكون ثمن ذلك تكريس نهج الباطل، واستحكام الشبهات، وإذلال أهل الحق، وتعمية السبل إليه.

سللتم سيفاً لنا في أيماكم:

وقد خاطب «عليه السلام» ذلك الجيش الذي اجتمع لحربه في كربلاء - وكانوا كما هو الراجح: ثلاثين ألفاً - بأنهم قد سلوا على أهل البيت سيفاً لهم في أيماهم، فكيف نفهم ذلك؟!

ويجاب:

بأن من الواضح: أن الله سبحانه قد بعث نبيه محمداً «صلى الله عليه وآله» رحمة للعالمين، وقد أصبحوا بفضل هذا الدين، وبجهوده «صلى الله عليه وآله» وجهود أوصيائه، والأبرار الأخيار من صحابته - أصبحوا - وصحابتهم أمة ذات شوكة وعظمة، وقوة وسلطان، لديها طاقات وإمكانات متنوعة، وتملك ثروة مالية، وبشرية عظيمة. فضلاً عما سوى ذلك.

وقد جاءهم «صلى الله عليه وآله» من عند الله بشريعة جامعة، وسن لهم سنناً، وأوجب عليهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله تحت راية إمام عادل، وحرّم عليهم ارتكاب الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وحرّم قتل الأبرياء، وإيذاءهم، والبغي عليهم.

وبمقتضى ذلك: يجب أن تكون سيوف جميع المسلمين كلها بتصرف النبي والإمام، أو من نصبه أحدهما «صلوات الله وسلامه عليهما». هذا ما قضت به أحكام الشرع الشريف.

وقد جعل الله سبحانه وتعالى من خلال ما ورد من آيات، وما صدر عن النبي «صلى الله عليه وآله» من نصوص أناساً مخصوصين، أئمة أوصياء، وعتره لأفضل الأنبياء لخصائص حازوها، ليست في غيرهم، فكانوا أعلم الناس، وأتقاهم، وأفضلهم، وأطهرهم، وأشجعهم.. بالإضافة إلى سائر الصفات الجليلة والجميلة والكريمة التي تجسدت فيهم.

وقد جعل لهم الإمامة والزعامة والولاية على الناس. بل جعلهم

أولى بالمؤمنين من أنفسهم. فأمر الناس كلها إليهم «عليهم السلام»،
والسيوف التي في أيدي الناس لهم «عليهم السلام». فما معنى أن تسلّ
عليهم، وأن تقطع بها أوصالهم، وأن تبار بها عترتهم، ويقتل بها
صاحبتهن، وفي ظلها تسبى حرمهن؟!
هذا ما اقتضته أحكام الشرع والدين..

يضاف إلى: أن هؤلاء القوم هم الذين استغاثوا بالحسين، وهم في
حالة من اللهفة، بلغت حد الوله، وذهاب العقل.

والمفروض بمن يستغيث، ويكون هذا حاله: أن يوظف جميع ما
لديه من قدرات في خدمة المستغاث به، وأن يمكنه من إغاثنه، أو على
الأقل أن لا يجعل العوائق والعراقيل أمام تحقق تلك الإغاثة.. فما بالك
بمن ينقلب على عقبيه، ويشهر سيفه على من جاء لنصرته، ثم يقطعه إرباً
إرباً، ويبيد عترته، ويسبي حرمه؟!!

هلا تركتمونا والسيف مشيم:

وقال «عليه السلام»: «فَهَلَا لَكُمْ الْوِيَلَاتُ إِذْ كَرِهْتُمُوهَا، تَرَكْتُمُونَا
وَالسَّيْفُ مَشِيمٌ»، أي مغمد. «وَالْجَاشُ طَامِنٌ» والجاش: النفس وقيل: جأش
النفس: رواع القلب إذا اضطرب عند الفزع. وقيل: «الجاش»: القلب.
و «طامن»: أي ساكن.

«وَالرَّأْيُ لَمَّا يَسْتَحْصِفُ» أي والرأي يقترب من الاستحكام. ولكن
ذلك لم يحصل بعد.

فهو «عليه السلام» يدعو عليهم بأن تصيبهم الويلات والحسرات،

لأنهم لم يتركوا أهل البيت «عليهم السلام» يعيشون في راحة ودعة، وهدوء بال، حيث كانت السيوف لا تزال في أغمادها، والنفس مطمئنة ساكنة.. إلى أن يستحكم الرأي، وتظهر دلائل قوته وصحته وصوابيته.. فاستغاثتهم بأهل البيت «عليهم السلام»، قد قلبت الأمور، وكرست الشعور بضرورة المبادرة للاستجابة والإغاثة، وإذا بالذين استغاثوا يبدلون موقفهم، وينقلبون على الذين استغاثوا بهم مرتين: مرة: حين صارت قلوبهم معهم وسيوفهم عليهم. ومرة أخرى: حين سلوا سيوفهم، وجأؤوا إلى قتالهم وقتلهم.

هل الإمام يعمل بالظنون؟!:

ولكن يبقى هنا سؤال عن المراد بقوله «عليه السلام»: «وَالرَّأْيُ لَمَّا يَسْتَحْصِفُ»، فهل كان الإمام «عليه السلام» يتعامل مع الناس بالآراء، التي تنضج أحياناً، ولا تنضج أخرى؟! أم أن الأمور مكشوفة له، وهو يعرف الداء والدواء على سبيل القطع واليقين، ولا يعمل بالظنون؟!!

ويجاب:

بأن الإمام يعرف أحكام الوقائع، وعلاجات المشكلات على سبيل القطع واليقين. ولكنه فيما يرتبط بتحديد موضوعات وموارد تلك الوقائع، وكشف حقيقة تلك المشكلات وظروفها، وحالاتها ليس له أن يعمل بالواقع المكشوف له بطرق غير عادية كعلم الغيب الذي اختصه الله به، بل عليه أن يتعامل مع ما تقتضيه، وتوصل إليه الوسائل

المتوفرة لجميع الناس.. وهي قد تقصر عن ملامسة الواقع بجميع خصوصياته وتفصيله، كما أنها قد لا ترقى إلى درجة اليقين به، بل تبقى في حدود الظن والإطمينان، وإن كانت حجيتها ثابتة على سبيل القطع - كما هو الحال في ظواهر الكتاب والسنة، وغيرها من الأمارات التي يعتمد عليها.

وعلى هذا، فقد يحتاج استحكام الرأي إلى توفر شرائط، وحصول تحولات لم تكن متوفرة، ولكن العمل على إيجاد مناخات، وتهيئة ظروف موضوعية تفرض مقتضياتها، وتنشأ عنها واجبات، وتستجد لها أحكام تحتم التحرك نحو تسجيل موقف جديد. تبعاً للموضوع المستجد.

وهذا ما حصل بالفعل، فقد كان الحسين «عليه السلام» قبل استغاثة أهل الكوفة به في حل من أمرهم. ولاسيما مع علمه «عليه السلام» بما فعلوه مع أبيه وأخيه، حيث تخلى الكثيرون منهم عنهما في ساعات الشدة، بل مال شطر منهم إلى عدوه وعدوهم معاوية بن أبي سفيان!!

ولكن استغاثة أهل الكوفة به «عليه السلام» قد حملته مسؤولية الاستجابة لهم، ولم يكن يحق له أن يتخلف عن ذلك بالرغم من علمه بتاريخهم غير المشجع مع أبيه وأخيه.. لاحتمال أن يكونوا قد غيَّروا وبدَّلوا، وتابوا. وبذلك يصبح «عليه السلام» مطالباً برفع ضرهم، والمبادرة إلى معונهم. مع أن الوقائع قد أظهرت أنهم ليس فقط لا

يزالون على حالهم، وإنما هم قد سقطوا إلى قعر الهاوية، ونكسوا على رؤوسهم بصورة لم يسبق لها مثيل، وربما لن يكون لها مثيل في المستقبل أيضاً.

إسراع طيرة الدبى، وتهافت الفراش:

وتقدم: أنه «عليه السلام» قال: «ولكن أسرعتم علينا كطيرة الدبى، وتداعيتم إليها كنداعي الفراش»، ونقول:

١ - الضمير في «إليها» يرجع إلى الفتنة، أو إلى الجريمة التي هم بصدد ارتكابها في حقه «عليه السلام».

٢ - إن صغار الجراد حين تريد شيئاً، فإنها تسرع إليه، مع تكلف وظهور عجز وبذل جهد للحصول عليه.

وهؤلاء الأشرار كذلك، فإن لديهم الرغبة في ارتكاب هذا الأمر الشنيع، ويتكلفون الوصول إليه، وليسوا مقهورين عليه رغم معرفتهم بعواقبه في الدنيا والآخرة، وبأنهم سيصبحون لعنة على مدى التاريخ. ومن المفروض أن يكون هذا من موجبات ضعفهم، وصعوبة الأمر عليهم. ولكنهم يصرون عليه، ويتكلفون السعي إليه. وهذا يزيد في بشاعة وقبح فعلهم.

٣ - إن تشبيههم بطيرة الدبى فيه إلماح إلى صغر شأنهم، وحقارة نفوسهم، وأن كل فرد فرد منهم يريد أن ينال من الحسين وأهل بيته وصحبه، ما يختص به لنفسه، ويرى أنه له، وبدافع حرص شخصي منه، ويرى أنه من ملذاته وحاجاته هو كفرد.. ولا يفعل ذلك ليرضي

الآخرين وحسب.

٤ - وفي قوله «عليه السلام»: «وَتَدَاعَيْتُمْ» دلالة على أنهم ليس فقط يحاول كل منهم أن يحصل على ما يريد، بل هم يتداعون إلى ذلك. أي يدعو بعضهم بعضاً إلى هذا الأمر، وكأنهم بصدد تناول طعام لذيذ في وليمة دسمة، ويريد كل منهم أن لا يحرم صاحبه منها..

٥ - إنهم ضعفاء البصيرة، قصيروا النظر، فهم كالفراش الذي يتهافت على النار ليلاً، فإن النور يعشي بصرها، ويعطله، فيحترق فيها.

أوصافهم أردتهم:

وبعد أن دعا «عليه السلام» عليهم بأن يبعدهم الله من رحمته، فقال: «فَسُحْقاً لَّكُمْ». - أي بعداً لكم - ذكر ما يصلح سبباً ومنشأ لرغبتهم في ارتكاب هذه الجريمة النكراء، فأشار إلى أمور عديدة، هي التالية:

١ - لقد وصفهم «عليه السلام»: بأنهم «عَبِيدُ الْأُمَّةِ».

٢ - ثم وصفهم: بأنهم «شِرَارُ [شَذَاذ] الْأَحْزَابِ».

٣ - وصفهم ثالثاً: بأنهم «نَبَذَةُ الْكِتَابِ».

٤ - وصفهم رابعاً: بأنهم «مُحَرِّفُو الْكَلِمِ».

٥ - ثم وصفهم خامساً: بأنهم «عُصْبَةُ الْآثَامِ».

٦ - ثم وصفهم: بأنهم «نَقْثَةُ [بَقِيَّة] الشَّيْطَانِ».

٧ - ثم وصفهم: بأنهم «مُطْفِئُوا السُّنَنِ».

زاد في النصين الآخرين المنقولين عن ابن عساكر
والخوارزمي، ما يلي:

٨ - أنهم قد ذلوا لطواغيت الأمة. (أو أنهم من طواغيت الأمة).

٩ - أنهم مُلْحِقُو الْعُهَّارِ [العهرة] بِالنَّسَبِ.

١٠ - أنهم أَسَفُ الْمُؤْمِنِينَ.

١١ - أنهم مِزَاجٌ [صُراخ أئمة] المُسْتَهْزِئِينَ، الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ
عِضِينَ.

١٢ - أنهم قَتَلُوا أَوْلَادَ الْأَنْبِيَاءِ.

١٣ - أنهم مُؤَدُّو الْمُؤْمِنِينَ.

فمن كانت هذه صفاته وحالاته، فلا غرابة في ارتكابه لهذه
الجريمة؛ فإنه يكون هو مقتضى سجيته، ونظرته، وخلقه، ومجمل
أحواله.

كما أن هذه الأوصاف والحالات تكشف لنا عن سبب ما كان
يمارسونه من غدر قديم، تجذّر فيهم، ومازج عروقتهم، والتفت عليهم
أصولهم.

وقد ورثه عنهم أبناؤهم، فكانوا ثمرة يرقبها الناظر إليها فيمتلي
أسى وحرناً، وهناك من يبادر إلى أخذها من دون ثمن، كما هو حال
الغاصب.

ويحكم، أهؤلاء تعضدون؟!:

إن الأسباب التي أشار إليها «عليه السلام» وفق ما عرضناه قد عرفتنا: أن هؤلاء المجرمين بانقلابهم على أوليائهم وأحبابهم، وأصدقائهم، واعتبارهم أعداء لهم، ومبادرتهم إلى حربهم وقتلهم. واتخاذهم أعداءهم أولياء، كان على معرفة تامة منهم. كما أنهم في موقفهم من الحسين وأهل البيت «عليهم السلام» كانوا يفعلون ذلك عن سابق معرفة وإدراك، وتصميم، وبحرص، وشوق، ورغبة. ولم يقدموا أي سبب أو مبرر لهذا الانقلاب، ولأجل ذلك قال «عليه السلام» متعجباً: «أهؤلاء تعضدون؟! وعنا نتخاذلون؟!»

وقد أشار «عليه السلام» إلى أن من أسباب ذلك ما يلي:

١ - استحواذ الشيطان عليهم: قال «عليه السلام» في يوم عاشوراء أيضاً: «لَقَدْ اسْتَحْوَذَ عَلَيْكُمُ الشَّيْطَانُ، فَأَنْسَاكُمْ ذِكْرَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، فَتَبَّأَ لَكُمْ وَلِمَا تُرِيدُونَ؛ إِنَّا لِلَّهِ وَإِلَيْهِ رَاجِعُونَ، هَؤُلَاءِ قَوْمٌ كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ؛ فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ»^(١).

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ٢٥٢ ومناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ١٠٠ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣ ص ٢٤٩ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ٦ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٢٥٠ ولواعج الأشجان ص ١٢٥ ونور الثقلين (تفسير) ج ٥ ص ٢٦٦ و ٢٦٧ وكنز الدقائق (تفسير) ج ١٣ ص ١٤٦ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٦٠٢.

فإذا نسي الإنسان ذكر الله عاقبه الله بإنسانيته نفسه، قال تعالى: (نَسُوا اللَّهَ فَنَسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ) (١). فيقع في التيه، والضياع، لأن زمام نفسه لم يعد بيده، لأنه لم يعد يعرفها، ويصير خاضعاً لشهواته وغرائزه، ويفقد الضوابط والمنطلقات في حبه وبغضه، وفي ولائه وعداوته، لأنه لا يعرف نفسه، ليعرف ما، ومن تحب وتبغض، ومن توالي وتعادى. وبذلك يتمهد السبيل عملياً لاستبدال الأولياء بالأعداء.

٢ - إنهم اختاروا طريق العبودية على طريق الحرية، عكس الحر الرياحي، الذي اختار طريق الحرية، فقال له الإمام «عليه السلام»: «أنت حرّ كما سمتك أمك: حر في الدنيا، وسعيد في الآخرة» (٢) كما سيأتي.

ومن الواضح: أن العبد لا يملك قراره، ولا يملك حرّيته، بل قراره بيد سيده، وهو يسير وفق رغباته وأهوائه التي تختلف وتتفاوت بين سيد وآخر، وبين وقت وآخر.

كما أن ولاء العبد يكون متقلباً أيضاً، حين ينتقل من سيد إلى

(١) الآية ١٩ من سورة الحشر.

(٢) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٣٢٥ والملهوف ص ١٠٤ و (ط سنة ١٤١٧هـ) ص ٦٢ وبحار الأنوار ج ٥ ص ١٤ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ١١ والفتوح لابن أعثم ج ٥ ص ١٠٢ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٢٥٧ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٦٠٤ وج ٤ ص ٦١٤ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص ١٢٢ وينابيع المودة ج ٣ ص ٧٧ وإبصار العين ص ٢١٠.

آخر.

أما درجة حبه وبغضه لسيده، فهي تتبع طبيعة تعامل هذا السيد أو ذاك معه.

وهذا ما أشار إليه «عليه السلام» هنا، موضحاً: أن حال هؤلاء الذين جاؤوا لحربه هو نفس حال العبيد الأذلاء في تنقل ولأوائهم، وحبهم وبغضهم، ودرجات خضوعهم وانقيادهم تبعاً لقوة وعنف السوط الذي يتهافت على رؤوسهم، وأجسادهم..

والخلاصة: أن العبيد لا شخصية ولا إرادة ولا قرار لهم، بل هم يعيشون - في الأكثر - حياة الذل، والخضوع لهيمنة أسيادهم..

٣ - إنهم شذاذ الأحزاب، والحزب هو الطائفة ذات الهوى الواحد: عقدياً، أو سياسياً، وتكون شعاراتها عامة، وبنبرة ولغة إصلاحية بحسب الظاهر.. وهم يتعاونون ويسعون للوصول إلى ذلك الهدف..

أما شذاذ الأحزاب، فقد يكون المراد بهم الجماعات التي تتشكل وفق مصالحها، وتعيد تشكيلها، وربما تندمج في غيرها في تقلبات مختلفة وفق تقلبات الأحوال، فهم مع القوي والمنتصر دائماً. سواء أكان محقاً عادلاً، أو مبطلاً ظالماً..

فهؤلاء هم عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درت معائشهم، فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون، على حد تعبير الإمام الحسين «عليه السلام».

ولا يثبت هؤلاء على قرار، بل قرارهم تابع لأهوائهم ومصالحهم

الدنيوية الآنية. وقد ينقسمون على أنفسهم، ويحارب بعضهم بعضاً، فليس لهؤلاء عهد، ولا يرجعون إلى دين، ولا يلتزمون بقيم، أو مبادئ أخلاقية، أو اجتماعية، بل هم أتباع كل ناعق، وفي خدمة القوي المنتصر. ليست لهم شخصية، ولا شعور بالكرامة والأصالة..

فلا غرابة إذا نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، وحرفوا الكلم عن مواضعه ليوافق أهواءهم، ولأجل ذلك كانوا عصابة الآثام، ونفثة الشيطان، ومطفئي السنن. كما قال «عليه السلام».

٤ - لقد ذم الله تعالى الأحزاب في كتابه الكريم، لأنهم تخلوا عن طاعة الله، وعن نهجه، واتبعوا أهواءهم، وتكتلوا وتعاونوا حتى على الإثم والعدوان، لنيل تلك الأهواء، ولم يراعوا أحكام الله وشرائعه، ولا اهتموا بنيل رضاه تبارك وتعالى.

وهؤلاء إن كانت مصالحهم تفرض عليهم التزامات معينة، أو أن يفوا بوعودهم أو عهودهم، فإنهم يفعلون ذلك. ولو في بعض الأحيان.

٥ - لكن شذاذ الأحزاب، أشد خطراً، وأعظم ضرراً. لأنهم لا يفكرون حتى فيما ينفعهم ويوصلهم إلى غاياتهم، بل هم لقصر نظرهم، وقلة تدبرهم، ولأنهم أسرى شهواتهم، وتبع لانفعالاتهم الآنية، لا يخضعون لأية ضابطة أو معيار، فإن الغدر ونكث العهود، وخلف الوعود يصير في طبائعهم، وهو الصفة الطاغية على حياتهم وسلوكهم ومعاملاتهم.

وقد اشتبكت أصولهم عليه، ونشأت فروعهم عليه، فهم أخبث

ثمرة لأخبث شجرة، وعليه ينشأ أبنائهم، ويتوارثونه جيلاً بعد جيل.
 بل الغدر والخيانة تصبح من مفاخرهم، وهم يتباهون بها، وبسائر
 الجرائم التي يرتكبونها. وتكمن خطورتهم القصوى حين يتخنون الدين،
 وسيلة لهم، ومطية لمآربهم، فيخدعون الناس بمظاهرهم، وبدعاوهم
 الباطلة، ويحرفون الكلم عن مواضعه، وينبذون الكتاب، ويطفئون
 السنن.

الشجرة الخبيثة:

وقد قال «عليه السلام»: «أجل والله، غدر فيكم قديم، وشجت
 عليه أصولكم، وتأزرت عليه فروعكم، فكنتم أخبث شجاً للناظر، وأكلة
 للغاصب».

ففي هذه الكلمات إشارات إلى أمور عديدة:

ألف: أن سمات الغدر، والشر، والعدوانية، والقسوة، والطغيان،
 والاستكبار، وسائر الصفات الذميمة ليست أمراً عارضاً يمر على الإنسان
 في حالات معينة، ثم يعود إلى سابق عهده، وصفاء طبعه، وسلامة
 مساره، بل هي سمات حقيقية، فيها قابلية الرسوخ والتجذر في طبع
 الإنسان، وفي كيانه ووجوده. وتؤثر فيه، وتحوله إلى كيان غدار،
 وشرير، وقاس، وطاغ وغير ذلك من الصفات الذميمة. وذلك لأن
 الخير كما يتجذر ويترسخ في وجود الإنسان المؤمن، فإن الشر أيضاً
 يتجذر في وجود الأشرار..

ب: كما أن صفات الخير والصلاح قابلة للانتقال وراثياً إلى

الأبناء ومن جيل إلى جيل، فإن صفات الشر أيضاً تنتقل بالوراثة من السلف إلى الخلف. بعد أن تتجذر وتترسخ..

ج: أن هذا التجذر والرسوخ للموروث من الخير والشر لا يصل إلى حد صيرورته حركة عفوية وجبرية لا مجال للسيطرة عليها، أو الوقوف في وجهها في مقام العمل والممارسة، بل يبقى الإنسان قادراً على الإقدام والإحجام، والرفض والقبول.

د: إذا ترسخت جذور الخير أو الشر في أعماق الإنسان، فإنها إذا كانت شراً تصيب القلب والروح، والعقل والضمير، والفطرة بأضرار فادحة قد تجفف منابع وعوامل الخير فيها، أو تشل أو تضعف حركتها على أقل تقدير، أو تعطيها رونقاً، وانتعاشاً، وسلامة وقوة إذا كانت خيراً، ثم هي تضعف من تأثير عوامل الشر، وتؤدي بها إلى الضمور، ثم إلى التلاشي والبوار..

هـ: إن ظاهر كلامه «عليه السلام»: أنه يشبه هؤلاء الذين ظهر منهم الغدر - الذي هو من المزايا الخبيثة - من قديم الأيام، بالشجرة الخبيثة التي لها جذور وفروع وثمار.

وقد تحدث القرآن الكريم عن الشجرة الخبيثة، وقال: (وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ)^(١). ويقابلها الشجرة الطيبة التي (أصلها ثابت

(١) الآية ٦٠ من سورة الإسراء.

وَفَرُعُهَا فِي السَّمَاءِ^(١).

و: وذلك لأن جذور الشجرة تجتذب الخصائص التي تحف بها، وتنبثها إلى فروعها إلى أن تصل إلى الثمرة، فتستقر فيها، فإن كانت تلك الخصائص خصائص خير، فإن هذه الثمار التي احتوتها، ستكون هنيئة للآخرين الذين يتناولون منها ويتعاملون معها، وسيجدون فيها البركة والخير والصلاح، وإن كان خصائص شر كانت النتيجة بلاء وشقاء، وشرراً وضرراً..

ز: إذا كان الشر والغدر متأصلاً في النفوس، وراسخاً فيها وراثته من الخلف عن السلف. فإنهم يكونون من أخبث ثمرة لشجرة ملعونة وخبيثة ويكون النظر إلى هذه الثمرة من موجبات الحزن والشجا، والغصة للناظر لإدراكه أنها ثمرة لا تفيد إلا في نشر الشر والضرر والبلاء والبوار.

هذا إذا صحت الرواية التي تقول: «فكنتم أخبث شجراً للناظر». غير أننا نرى: أن تصحيفاً قد حصل لكلمة «شجراً» عن كلمة «شجر» كما جاء في كتاب الإحتجاج، وفي كتاب بحار الأنوار عنه أيضاً. ففيه: «فكنتم أخبث شجر للناظر»، وأكلة للغاصب. أي وأخبث أكلة للغاصب.

ح: لعل الحديث عن أخبث أكلة للغاصب هنا، قد جاء انطلاقاً من

(١) الآية ٢٤ من سورة إبراهيم.

أن من يحاول أن يسخر هذا النوع من الناس، هم - في الأكثر - غاصبوا الحقوق، وأهل العدوان.

وبالرغم من مسانحتهم لهم في السلوك، وفي العدوان، وفي خبث الأفعال والنوايا، فإنهم أيضاً أخطأ أكلة بالنسبة إليهم، ولا يشعرون معهم بغير الخباثة والمساءة.

الدعي ابن الدعي:

وتقدم قوله «عليه السلام»: «ألا وإن الدَّعِيَّ ابنَ الدَّعِيِّ قَدْ رَكَزَ بَيْنَ اثْنَيْنِ، بَيْنَ السَّلَّةِ وَالِدَّلَّةِ، وَهَيْهَاتَ مِمَّا الدَّلَّةُ الْخ...».

ونقول:

الدعي: هو من ينسب إلى غير أبيه، أو إلى من لا يقين بأبوته له..

والسَّلَّة: هي سل السيوف من أغمادها. أي إخراجها منها.

ويلاحظ:

أنه «عليه السلام» قد بدأ كلامه بالتصريح: بأن ابن زياد كان دعياً، وكان أبوه زياد دعياً أيضاً، لأن أبا سفيان قد زنى بأمه، وكانت محصنة، فادّعى معاوية أنه أخوه، مع أن الشرع يقول: الولد للفراش وللعاهر الحجر.

فلماذا هذه الحدة منه «عليه السلام» على عبيد الله بن زياد في خصوص هذا المورد، وهل من اللائق بالإمام الحديث عن الأشخاص بهذه الطريقة، مهما بلغت عداوتهم له؟!

ونجيب بما يلي:

إن عبيد الله بن زياد قد أعطى لنفسه الحق في أن يذل أقدس البشر والإمام المنصوب من قبل الله وعلى لسان رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فيأتي السؤال البديهي والطبيعي: من هو ابن زياد هذا؟! ومن أبوه؟! ومن أمه؟! وما هو موقعه في الأمة؟! وما هي مكانته في العلم، وفي الدين، وفي المجتمع الإنساني الكريم، والفاضل؟! ليعطي لنفسه الحق في إذلال أعلم وأفضل وأطهر الناس، وسليل الأنبياء، وابن سيد الأوصياء، وابن فاطمة الزهراء، وسيد شباب أهل الجنة، وخامس أصحاب الكساء.

فإذا جاء الجواب: بأن ابن زياد دعي وابن دعي، فلا بد أن يتساءل المرء مرة أخرى عن مكنه وجرأه على إذلال وصي نبيهم، وسبطه؟

فإن قيل: إن الذي مكنه هو من نصب نفسه للخلافة والإمامة، وهو الذي أمره بقتله، أو إذلاله.

وهنا لا بد أن يسأل كل عاقل أبي، ورجل سري نفسه، كيف يتحكم بهذه الأمة الأعداء وأبناؤهم؟!

وكيف يأمر من يسمي نفسه خليفة المسلمين بقتل خير أهل الأرض، وأقدس البشر، أو بإذلاله؟!

وكيف يطيع الناس، ولاسيما أهل الكرامة، والزعامة، والشهامة، والرياسة، والكياسة، والسياسة دعياً وابن دعي في مثل هذا الأمر الشنيع؟!

ثم تتوالى الأسئلة عن قتل هذا الإمام الذي لم يأت محارباً، ولا مقاتلاً، بل جاء مسالماً، بدليل أن قد جاء بأهل بيته وحرّمه، وبضعة رجال معهم..

فلماذا إذن يزدلف إليه ثلاثون ألفاً ليقتلوه أو ليدلّوه؟!

وهذا الجمع كله أو أكثره، الذي جاء لتنفيذ هذه المهمة، كان هو الذي استغاث بالحسين «عليه السلام» استغاثة الواله، وذهب العقل، وقد جاءهم «عليه السلام» لينظر في شأنهم، وليساعدهم على دفع الضرر والبلاء عنهم، وإسداء النصيحة إليهم على قاعدة: «خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي»، ولم يأتهم للحرب والقتال، بل للمواساة والمعونة، وإسداء المعروف وعلى القاعدة الأخرى التي أرساها هو نفسه «عليه السلام» أيضاً حين قال: «نَفْسِي مَعَ أَنْفُسِكُمْ، وَأَهْلِي مَعَ أَهْلِيكُمْ، فَلَكُمْ فِيَّ أُسْوَةٌ»^(١). فالأحرى بهم أن يشكروه ويحفظوه، لا أن يخيروه بين أن يدلّوه أو يقتلوه.

وكيف لا ينظر ذلك الجمع كله إلى هذا الأمر بعين الإنصاف؟! ولماذا لم يقارنوا بين النهج الحسيني الرامي لإنقاذ الأمة وإسعادها، ولم يقارنوا بين أهدافه، وشعاراته، ورموزه، وبين نهج أعدائه من

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٠٣ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٠٤ والكامل في التاريخ ج ٤ ص ٤٨ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص ٨٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١١ ص ٦٠٩ وج ٢٧ ص ١٣٨.

بني أمية ومن معهم، الذي هو نهج عدوان وإجرام، وإذلال للعباد، وإفساد في البلاد. حتى إن كل ذي كرامة وصلاح كان مع بني أمية أمام خيارين: إما القتل، أو الإذلال. وشعاراتهم وأهدافهم كانت شعارات فساد وإفساد، ورموزهم وشخصياتهم كانوا أشر وأحط الناس.

السلة بالكسر أو بالفتح؟!

وقد ذكر «عليه السلام»: أنهم خيروه بين السلة - بفتح السين المشددة - لا بكسرهما كما هو شائع، لأن الفتح يشير إلى الأفراد في المعنى، أي سلة أعداء الحسين «عليه السلام» السيوف لأجل القتل الحاسم، وينتهي الأمر، وبين أن يذل ويستكين لإرادتهم. أما إذا قرئت بالكسر، فتشير إلى كيفية سل السيوف، فقد قال ابن مالك:

وَفَعْلَةٌ لِمَرَّةٍ كَجَلَسَةٍ وَفَعْلَةٌ لِهَيْئَةٍ كَجَلَسَةٍ

وليس المقصود المقابلة بين هيئة ذله «عليه السلام»، وهيئة سل أعدائه السيوف عليه لقتله، بل المراد سلها لمرة واحدة للقتل والإجرام الحاسم، وينتهي الأمر، كما هو واضح.

كما أنه ليس المراد المقابلة بين وقوف الحسين «عليه السلام» ذليلاً، وبين سلّه السيف بوجه الظالمين. فكما أن السيوف تسل عليه لمرة واحدة، ثم يقتل ويحسم الأمر، كذلك فإن الذلة التي يريدونها منه هي ذلة واحدة تبقى إلى آخر العمر.

هيهات منا الذلة:

وقد قال «عليه السلام»: «وهيهات منا الذلة».

ونقول:

قال تعالى: (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ)^(١).

وروي عن الإمام الصادق «عليه السلام»، أنه قال في هذه الآية: إن الله عز وجل فوض إلى المؤمن أموره كلها، ولم يفوض إليه أن يذل نفسه (أن يكون ذليلاً)^(٢).

فالإمام الحسين «عليه السلام» لا يمكن أن يخالف هذا الأمر الإلهي، لأن الأمر فيه لا يرجع إليه.

ويلاحظ هنا:

أولاً: أن تصرفات الخلق في أمورهم إذا كانت تحتاج إلى تفويض إلهي، فما بالك بتصرفاتهم تجاه غيرهم، إذا أرادوا أن يتصرفوا في

(١) الآية ٨ من سورة المنافقون.

(٢) الكافي ج ٥ ص ٦٣ و ٦٤ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج ١٦ ص ١٥٦ و ١٥٧ و (الإسلامية) ج ١١ ص ٤٢٤ ومشكاة الأنوار ص ٤٣٠ والفصول المهمة ج ٢ ص ٢٢٩ والبرهان (تفسير) ج ٥ ص ٣٨٨ و ٣٨٩ ونور الثقلين (تفسير) ج ٥ ص ٣٣٥ و ٣٣٦ وكنز الدقائق (تفسير) ج ١٣ ص ٢٦٩ وروضة المتقين ج ١١ ص ٤٩ والوافي ج ٥ ص ٧٤٩ و ٧٥٠ وهداية الأمة ج ٥ ص ٥٧٨ وتحفة السنية ص ٥٩ وتهذيب الأحكام ج ٦ ص ١٧٩ ومرآة العقول ج ١٨ ص ٤١١ و ٤١٢ و ٤١٣ وبحار الأنوار ج ٦٤ ص ٧٢.

أُمور الغير، من البشر، أو من غيرهم؟!

ثانياً: إن هذا يدل على أن قراره «عليه السلام» بعدم القبول بالذلة لم يكن استجابة لمشاعره الشخصية، بل كان استجابة للأمر الإلهي المتوافق مع حالة الإباء والشعور بالقوة والعزة. وهي أمور فطرية في الإنسان.

ويشهد لذلك: قوله «عليه السلام»: «هيهات منا» مستقيداً من ضمير المتكلم ومعه غيره، لا من ضمير المتكلم المفرد، حيث قال: «منا» ولم يقل: «مني».

ثالثاً: إن هذا يشير إلى أن الخلق، وكل ما في الوجود ملك لله تعالى على نحو الحقيقة، لأنه هو الخالق، وهو الإله، وأن البشر إن ملكوا شيئاً، فإنما يملكونه من خلاله تعالى، ولكن ملكيتهم ليست حقيقية، وإنما هي نحو من أنحاء الإذن بالتصرف، كما يأذن السيد لعبده بالتصرف في بعض ما يعود إلى السيد، ولأجل ذلك قال «عليه السلام»: فوض للمؤمن أمره كله، ولم يقل ملك المؤمن أمره كله..

وهذا البيان يلقي لنا بعض الضوء على قوله تعالى: **(فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ)**^(١). فحتى المشي في مناكب الأرض جعل هذه الآية مورداً للإذن المستفاد منها.

(١) الآية ١٥ من سورة الملك.

موانع قبول الذلة:

ثم إنه «عليه السلام» ذكر عدة أمور، تمنع من قبول الذلة، مع ملاحظة: أنه «عليه السلام» لم يحصر رفض الذلة به كشخص، فلم يقل: هيهات مني، بل أطلقها لتكون عامة لكل من هو على نهجه، وفي خطه، ويعتبره قدوته، وأسوته، وله ولاؤه ومحبته. وهم المؤمنون الحقيقيون الملتزمون بالخط الإلهي الذي رسمه القرآن، وبينه الأئمة الطاهرون فيما يرتبط بما يعنيه العز والذل للإنسان المؤمن..

والأمور التي أشار «عليه السلام» إلى أنها تمنع من قبول الذلة، هي:

ألف: أن الله تعالى، ورسوله، والمؤمنين يأبون لهم ذلك.. وهذا يشير إلى أن الذلة ليست عدواناً على الفرد المعني بها وحسب، ولا تنحصر آثارها به، بل هي تتعداه لتكون عدواناً على خالق ذلك الفرد، وهو الله سبحانه، وعلى من حمّله الله تعالى مسؤولية حفظ، وتربية، وتنشئة ذلك الفرد وهو الرسول.

وهذا ما يشير إليه الحديث المتقدم: وإن عزة المؤمن ليست بيده، بل هي من عزة الله ورسوله، وكذلك بينته الآية: (فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا)^(١). وفي بعض الأخبار: أن المؤمن أعز عند الله من الكعبة^(٢).

(١) الآية ١٣٩ من سورة النساء.

(٢) راجع: بحار الأنوار ج ٦٤ ص ٧١ وج ٦٥ ص ١٦ وج ٦٨ ص ١٦ وج ٧

ثم هي عدوان على بيئة ذلك الفرد، التي يحمل هو همومها، ويسعى في إسعادها، وحفظ السلامة والأمن لها، وهم المؤمنون..

فطبيعي إذن: أن يأبى الله ورسوله إذلال أي مؤمن، فما بالك إذا كان هذا المؤمن هو الأقدس، وهو إمام الناس، وسيد شباب أهل الجنة؟! وهو المطهر المعصوم، والأتقى والأعلم، والأبر والأوفى؟!!

ب: إن البيئة الطيبة، والمحيط الطاهر، والتربية الصالحة ترفض إسقاط عزة الإنسان المؤمن، ودخول الذل عليه، لأن ذلك يقوض الأساس الذي قام عليه وجوده. ويسقط الهدف الأقصى الذي يرصده، ويسعى إليه، حيث لا يمكن العيش بلا هدف.. فيصبح إدخال الذل عليه وعلى بيئته، كإدخال جرعة السم القاتل إلى الجسد الصحيح، فإنه يودي به إلى الدمار والبوار.

ولذا قال «عليه السلام»: «وَحُجُورٌ طَابَتْ، وَ[حُجُورٌ] طُهِرَتْ» أي أن تلك الحجور طيبة العنصر في ذاتها، كما أنها لم يلحق بها دنس

ص ٣٢٣ وج ٥٠ ص ٢٢٥ وج ٩٨ ص ١١٢ والخصال للصدوق ص ٢٧ وروضة الواعظين ص ٣٨٦ ومسند الرضا لداود بن سليمان الغازي ص ١٠٩ ومشكاة الأنوار ص ١٥٥ وكامل الزيارات ص ٢٧٣ وكتاب الأربعين للماحوزي ص ٣٧٧ ومستدرك سفينة البحار ج ١ ص ٢٠٤ وج ٢ ص ٢٧١ وراجع: وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٣ ص ٢٨٨ وفوات الوفيات ج ٢ ص ٦٤٢ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ١ ص ٢٦٧ وألف حديث في المؤمن ص ١٧٠.

من خارج ذاتها، فطابت وطهرت في آن..

ج: والمانع الآخر هو الذي أشار إليه «عليه السلام» بقوله: «وَأَنْوَفٌ حَمِيَّةٌ، وَنُفُوسٌ أَيْيَّةٌ». للدلالة على أن الإنسان بحسب فطرته السليمة، وطبعه الصحيح، يرفض الذل ويأباه، ولا يقيم على ضيم، وقد قال الشاعر:

وَلَنْ يُقِيمَ عَلَى خَسْفٍ يُرَادُّ بِهِ إِلَّا الْأَذْلَانِ عَيْرَ الْحَيِّ وَالْوَتْدِ

ومعنى هذا: أن الرضا بالذل لا يكون إلا بعد الإضرار بالفطرة، وإفساد طبائع الناس..

ولكم في أسوة:

تقدم: أن الإمام الحسين «عليه السلام» قال: «نَفْسِي مَعَ أَنْفُسِكُمْ، وَأَهْلِي مَعَ أَهْلِيكُمْ، فَلَكُمْ فِي أُسْوَةٍ».

وهو يقول يوم عاشوراء: أَلَا وَإِنِّي زاحِفٌ بِهِذِهِ الْأُسْرَةِ مَعَ قَلَّةِ الْعَدَدِ وَخِذْلَانِ النَّاصِرِ.

وقد عرفنا في سيرة رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أنه كان يقدم أهل بيته في الحروب، وأنه كان يقذف أخاه علياً في لهواتها.. وكان النبي «صلى الله عليه وآله» في ساحات الحرب في أول الصفوف، وكان أصحابه إذا ضاقت عليهم الأمور، واشتدت وطأة الحرب يلونون به، وكانوا يفرون عنه، ويبقى هو وعلي «عليه السلام» ثابتين كالجبال الراسخة، والقمم الشامخة..

وهذا يعطي: أن النبي «صلى الله عليه وآله»، وعلياً وسائر الأئمة

الطاهرين «عليهم السلام» الذين هم القادة، وهم الأسوة والقُدوة للجميع، وأنهم لا يكتفون بالأمر والنهي من بعيد، ثم على الناس أن ينفذوا الأوامر، بل هم يمارسون قبل الناس ما يأمر به الناس..

وهذا هو معنى كونهم «صلوات الله عليهم» الأسوة والقُدوة للبشر.. وقد قلنا في بعض ما كتبناه في مؤلفاتنا: إن الله تعالى والنبي «صلى الله عليه وآله»، والأئمة «عليهم السلام» حين يبينون للناس حقائق الدين، في عقائده، وشرائعه، وقيمه، وأخلاقه، فإنهم لا يكتفون بتقديمها لهم كصور ذهنية تجريدية، يتلذذ الناس بها من خلال التصور، وإطلاق العنان للخيال الذهني، ليبثدع لها النظائر، والأشباه في استغراقاته التحليلية التخيلية.

بل يقدمها في حركته، ومواقفه وسلوكه، كواقع حي متحرك وفاعل، يلمسه، ويراه، ويحس به، ويشعر أنه معه، وفيه..

وهذا هو معنى كونه «صلوات الله عليه» أسوة وقُدوة.

بل نجد: أنه تعالى حتى العقائد، وسائر القضايا الإيمانية يخرجها من صفتها الذهنية والتجريدية، ويجعلها تعيش مع الناس كشأن حياتي حي، ومؤثر في مختلف نواحي الحياة، ولها إسهاماتها في حل المشاكل التي تواجههم وتربك حركتهم.

والخلاصة: أنه إذا تحدث النبي والإمام عن الجهاد والتضحية كان هو «صلوات الله وسلامه عليه» في طليعة المضحين والمجاهدين، وإذا تحدث عن الإيثار، والبذل والعطاء كان أسوة

للمؤثرين والباذلين. وإذا تحدث عن العز والإباء كان الرائد والقائد للناس في ذلك، وإذا ذكر لهم العلم، والفضل، والطهر، والتقوى كان منارة لهم في ذلك كله..

وهذا هو معنى الأسوة والقُدوة، وهو السبب في تقديم النبي «صلى الله عليه وآله» علياً وأهل بيته في الحروب، وهو السبب في تضحية الحسين «عليه السلام» بنفسه وبأهل بيته في يوم عاشوراء، حين احتاجت الأمة إلى هزة ضمير، تفضح أهل الزيف، ويميز الناس بها بين الحق وأهله، وبين الباطل وأهله. وتقوم بها الحجة، ولا يبقى عذر لمعتذر، ولا حيلة لمتطلب حيلة..

وقد طبق الحسين «عليه السلام» ما قاله لهم حرفياً، فقد واساهم بنفسه - كما أن ما يصيب أهلهم من أذى وسبي قد أصاب أهله وحرمه..

وهو بنفسه قد كان الأمثولة الرائعة لهم، ولكل هاد ومصلح، فكان الأسوة على مر العصور والدهور.

وهو الأمثولة والأسوة والقُدوة حين قال: ألا وإني زاحفٌ بهذه الأسيرة مع قلة العَدَدِ وخِذلانِ النَّاصِرِ.

ومن طريف ما ينقل هنا: ما رواه الطبري عن مصعب بن الزبير حين خذله أهل الكوفة، وحاصره جيش أهل الشام، فقد نادى أحد أصحابه، ويدعى عروة، فقال له:

أخبرني عن الحسين بن علي، كيف صنع بإيائه النزول على حكم

ابن زياد، وعزمه على الحرب؟!!

فأخبره، فأنشد يقول:

فَإِنَّ الْأُولَى بِالطِّفْلِ مِنْ آلِ تَأْسَوْا وَسَنُوءًا لِلْكَرَامِ التَّاسِيَا

قال الراوي: فعلت أنه لا يريم حتى يقتل (١).

قلة العدد، وخذلان الناصر:

وقد علّم الإمام «عليه السلام» الأجيال: أن الإصلاح في الأمة، وتصحيح مفاهيم الدين، وحفظ المعتقدات الحقّة إذا أصبح واجباً، ووجبت التضحية في سبيله، ووجب خوض اللجج وبذل المهج، فلا ينظر المصلح إلى كثرة عدد الناس وقتلهم معه، لأن المطلوب هو التضحية والفداء، وإحداث الصدمة التي توقظ المشاعر، وتشدّ الهمم، وتثير دفائن العقول..

كما لا ينظر إلى من خذل وخان، ومن صدق ووفى، فإن ذلك لا ينظر إليه بعنوان أن له دوراً في الإقدام والإحجام من قبل قائد الحركة الإصلاحية، فعليه أن يقوم بواجبه، والله هو الذي يحاسب الخائن، ويطالب المتخاذل، وهذا الأمر موكول إلى يوم الحساب في الآخرة.

التحذير المستند إلى الغيب:

ثم إنه «عليه السلام» قد أخبر عن عاقبة ذلك الجيش الباغي

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٦ ص١٥٦ و (ط الأعلمي) ج٥ ص٦ ولسان العرب «أسى».

والطاغي، لأن رؤية الأجيال صحة وصدق ما أخبر به تكون علامة ودليلاً لهم على حقانية موقفه، ويكون ذلك من العلامات التي يميز الناس بها عبر الأجيال، المحق من المبطل، والصادق من الكاذب، والمجرم من البريء، فقال:

«أما والله، لا تَلْبَثُونَ بَعْدَهَا إِلَّا كَرِيثٍ مَا يُرْكَبُ الْفَرَسُ حَتَّى يَدُورَ بِكُمْ دَوْرَ الرَّحَى، وَيَقْلَقَ بِكُمْ قَلَقَ الْمَحَوْرَ، عَهْدٌ عَهْدُهُ إِلَيَّ أَبِي عَنْ جَدِّي».

ونقول:

١ - المحور: هو الحديدة التي تجمع بين الخطاف والبكرة.. فإنها بسبب حساسية موقعها لا تكاد تستقر، بل تبقى في حالة اهتزاز متواصل تقريباً، ولا سيما إذا حرك أي شيء متصل أو معلق بها..

٢ - لقد أخبرهم «عليه السلام» بأمر محوري بالنسبة إليهم، وهو: أن ارتكابهم هذه الجريمة النكراء لا يعني أنها سوف تنتهي بانتهاء المعركة، وكأن شيئاً لم يكن، بل سوف تلاحقهم مصائب وبلايا، وكوارث ورزايا، لا طاقة لهم بها، سوف تزعزع وجودهم، وتقوض حياتهم، وتجعلها في مهب الريح، فلا يقر لهم قرار، ولا يهنأون بعيش.

مع أنهم يمتنون أنفسهم: بأن ينعموا بعد ارتكابهم هذه الجريمة بالراحة والسلام، ورغد العيش.. وهيهات!! هيهات!!

٣ - اللافت هو: قصر المدة التي حددها «عليه السلام» لهم، فقد قال: إنها «كَرِيثٍ مَا يُرْكَبُ الْفَرَسُ».. وهي مدة يسيرة جداً، في حياة

الأمم، وقد لا تتجاوز الأشهر إلى السنوات. وهذا ما حصل لهم فعلاً، فقد حكم فيهم الأشقياء، وساموهم شتى أنواع الذل والهوان، ولم يقر لهم قرار، وسحقتهم البلايا، ومحقتهم المصائب.

٤ - وقد صرح لهم، وهو المطهر المعصوم بنص القرآن: بأنه لا يخبرهم بما يجري لهم على سبيل التمني، أو التوقع، وقراءة الأحوال وظواهرها.. بل هو يخبرهم، عن أبيه سيد الأوصياء، وعن جده أفضل الأنبياء، الذي لا (يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) (١).

فهو خبر صادق، عن صادق، عن صادق، عن جبرئيل، وهو صادق أيضاً، عن الله تعالى، وهو أصدق القائلين وأحكم الحاكمين. فلا مجال للمراء في صحة ما يخبرهم به، ولا لإثارة الشبهات في حصول مضمونه..

وقفات سريعة مع النصين الآخرين:

وقد ذكرنا فيما سبق نصين آخرين لخطبة الإمام «عليه السلام» يوم عاشوراء:

أحدهما: عن ابن عساكر في كتابه: تاريخ مدينة دمشق.
والآخر: عن الخورازمي في كتابه: مقتل الحسين «عليه السلام».
 ومن يلاحظ هذين النصين يدرك حجم التصحيفات التي تعرضت لها كلمات هذه الخطبة، وكيف حصل التصرف من النساخ، أو الرواة

(١) الآيتان ٣ و ٤ من سورة النجم.

في عباراتها، بهدف تقويم النصوص التي أخفقوا في قراءتها، أو في حفظها على حال السلامة والاستقامة. ولا نريد أن نقول أكثر من ذلك..

وقد كان يمكننا الإكتفاء بما ذكرناه في شرح النص الأول، ولكننا آثرنا أن نعطف الكلام إلى تسجيل أمور لعلها تفيد في إيضاح بعض الموارد في هذين النصين أيضاً، فنقول:

لا مبررات لانقلابهم:

إنه «عليه السلام» حين قرَّعهم على انقلابهم على أوليائهم، وأصبحوا مع أعدائهم قال - حسب نص رواية ابن عساكر - وقريب منه ما ذكرته رواية الخوارزمي أيضاً:

«يَغْيِرَ عَدْلَ رَأْيِئِمُوهُ بَثْوُهُ فِيكُمْ، وَلَا أَصْلَ [الصحيح: أَمَل، كما في رواية الخوارزمي وغيره] أَصْبَحَ لَكُمْ فِيهِمْ، وَمِنْ غَيْرِ حَدَثٍ كَانَ مَيًّا، وَلَا رَأْيٍ يُفَيِّلُ فِينَا».

فلاحظ:

أنه قد ذكر أموراً أربعة تبرر تغيير المسار، وتخفف من بشاعة وقبح هذا التحول، ولو في مرحلة الظاهر، الذي يمكن إيهام الناس وتزيينه لهم بما لا يسمن ولا يغني من جوع. وهذه الأمور هي:

ألف: أن يكون أولئك الناس قد أقلعوا عن الظلم، والتزموا بالعدل، وبثوه في الناس.

ب: أن يكون قد تجدد لديكم أمل فيهم، ظهرت لكم بوادره في

أفعالهم، ولاحت علائمه، وهبت نسائمه..

ج: أن يظهر من الذين كنتم توالونهم، حدث سوغ لكم الانقلاب عليهم، وموالة أعدائهم.

د: أن تكون الأحداث قد أظهرت لكم أن حسن الرأي في أوليائكم لم يكن في محله، بل ظهر بواره، وتأكد بطلانه، أو ظهر لكم أنهم ليسوا من أهل الرأي السديد، أو الفعل الرشيد، بل يخبطون خبط عشواء في الليلة الظلماء.

الضلال وأكل الحرام:

ونلاحظ: أن هذه الأمور الأربعة قد ذكرت في النص الأخير المتقدم للخطبة أيضاً، ولكنه بعد قوله: ولا أمل أصبَحَ لكم فيهم، أضاف قوله: «إِلَّا الْحَرَامَ مِنَ الدُّنْيَا أَنَالُوكُمْ، وَخَسِيسَ عَيْشٍ طَمِعْتُمْ فِيهِ»، ثم قال: مِنْ غَيْرِ حَدَثٍ كَانَ مِثًّا، وَلَا رَأْيٍ تَقِيلَ لَنَا».

فأكل الحرام إذن، يوجب الضلال، وبغض الحق، ومعاداة أهله، وارتكاب أبشع الجرائم في حقهم، التي تصل بالإنسان إلى حد قتل إمامه، وذرية نبيه، وسبي حرمه. بل والخروج من الدين، وقد قال تعالى مشيراً إلى الآثار الوضعية للذنوب: (ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَصَابُوا السُّوْأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ) (١).

وقال تعالى: (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي

(١) الآية ١٠ من سورة الروم.

يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ (١).

وقال تعالى عن بني إسرائيل: (وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاوُوا بِغَضَبِ مَنْ أَلَّهِ ذَلِكَ بَأْتُهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) (٢).

والآيات الدالة على أن للذنوب آثاراً وضعية، كثيرة. وهذا ما أشار إليه الإمام «عليه السلام» بقوله لجيش يزيد يوم عاشوراء كما في نص الخوارزمي:

«قَدْ انْخَزَلَتْ عَطِيَّاتُكُمْ مِنَ الْحَرَامِ، وَمُلِّتْ بُطُونُكُمْ مِنَ الْحَرَامِ، فَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِكُمْ».

وقوله: «..ولا أَمَلٍ أَصْبَحَ لَكُمْ فِيهِمْ، إِلَّا الْحَرَامَ مِنَ الدُّنْيَا أَنَالُوكُمْ، وَخَسِيسَ عَيْشٍ طَمَعْتُمْ فِيهِ».

ولكنه «عليه السلام» بالرغم من هذا البيان الصريح والإعلان عما آل إليه حالهم في السوء والهوان، يصر علىهم بالإنصاة له، وسماع قوله، لكي لا يدَّعي أي منهم الجهل بحقيقة الأمور، أو الغفلة، أو النسيان، بسبب تسميم الأجواء، والغوغاء التي فرضت ذلك عليه، أو بسبب حالة الشحن والعداء الناشئ عن التحريض، والهيّاج المفتعل الذي هيمن على ذلك الجمع..

(١) الآية ٢٧٥ من سورة البقرة.

(٢) الآية ٦١ من سورة البقرة.

ويمكن أن نستفيد من كلامه «عليه السلام» هنا أموراً: أحدها: أن للأمور المادية آثاراً وضعية على الروح، والنفس، والعقل، والفكر.

الثاني: طمعهم بالحصول على خسيس عيش، فهم يقتلون ذرية نبيهم انطلاقاً من هذا الطمع، الذي لا شيء يضمن لهم حصولهم عليه..

الثالث: إن ما يطمعون به ليس مما يستحق أن يحفل به، أو أن يهتم له أي رجل عاقل ومتوازن، لأنه ليس عيشاً كريماً، أو طيباً، بل هم يطمعون بشي خسيس، ليس فيه لذة تستحق أن يرغب فيها أحد.

الرابع: يلاحظ: أنه «عليه السلام» وصف العيش الذي يطمعون فيه بأنه خسيس، ثم أورد كلمة عيش بصيغة التنكير، ليدل أيضاً على صفة أخرى فيه، وهي الضالة والقلّة.

للتوضيح والبيان:

١ - وجاء في النص المنقول عن ابن عساكر قوله «عليه السلام»: «وَتَدَاعَيْتُمْ إِلَيْهَا كَتْدَاعِي الْفَرَّاشِ، فَيَحَا وَحِكَةً، وَهُلُوعًا، وَذِلَّةً لَطَوَاغِيَتِ الْأُمَّةِ، وَشُدَّاذِ الْأَحْزَابِ الْخ...».

فقد تضمنت هذه الفقرة ما يلي:

ألف: أن الفرّاش يتداعى إلى ما يتوهم أن فيه بغيته، والتداعي هو: أن يدعو بعضها بعضاً.. وهذا ما لا سبيل لنا لإدراكه، إلا أننا نأمل أن يتطور العلم، وتجرى الأبحاث بنحو سليم وهادف، فلعله يتحفنا ببعض المعلومات عن هذا الأمر..

ب: قوله «عليه السلام»: «قَيْحًا وَحِكَةً» لم نفهم له معنى واضحاً، فإن القَيْح هو الدم حين يتحول إلى مادة صفراء لزجة.. ولا نعلم أن الفراش يفرز مثل هذه المادة.. إلا أن تكون هذه الكلمة مصحفة عن كلمة قُبْحاً بالباء الموحدة، لا بالياء المثناة..

ويؤيد ذلك: قوله في النص الأخير المتقدم: «قُبْحاً لَكُمْ» إذ يحتمل أن تكون مصحفة عن «قُبْحاً وحكمة» والله هو العالم..

والمراد بالحكمة - بكسر الحاء - اسم مصدر: الجرب، الذي يدعو إلى حك الموضع الذي يظهر فيه، وهو إمرار شيء على الموضع بهدف إسكانه.

ج: أما كلمة «وهُلُوعاً» فلم أجد ما يناسبها بالمعنى، بحسب سياق الكلام ولا في رسم الخط. لكي نحتمل أن تكون مصحفة عنها.. إلا أن تكون في الأصل «وخنوعاً» لمناسبتها لقوله: «وَذِلَّةٌ، لَطَوَاغِيَّتِ الْأُمَّةِ».

٢ - أما قوله «عليه السلام»: «وَمُلْحَقِي الْعَهْرَةَ بِالنَّسَبِ»، فهو إشارة إلى معاوية، حيث استلحق زياد ابن أبيه بنسبه، مدّعياً أنه أخوه، استناداً أن أبا سفيان كان قد زنى بأم زياد، وهي زوجة عبيد الرومي. مع أن الإسلام يقول: الولد للفراش، وللعاهر الحجر. والقضية معروفة^(١).

(١) راجع: قاموس الرجال ج ٤ ترجمة زياد بن عبيد.

٣ - وقال «عليه السلام»: حسب رواية ابن عساكر: «وأسف المؤمنين، ومزاح المستهزئين».

وفي رواية الخوارزمي: «ومؤذي المؤمنين، وصراخ أئمة المستهزئين».

فأما أنهم يؤذون المؤمنين فواضح، وأما أنهم أسف المؤمنين، فلعل المراد: أنهم في أفعالهم الشريرة والمؤذية، يكونون من موجبات الأسى والحزن للمؤمنين، لما يلحقونه بهم من آذايا.

وأما قوله: «ومزاح المستهزئين» حسب رواية ابن عساكر، فإن كلمة مزاح تشبه كلمة صراخ في رسم الخط، ولاسيما مع إهمال النقط، فلا بد أن تكون إحدى الكلمتين تصحيفاً للأخرى.

كما أننا نحتمل أن تكون كلمة «أئمة» بالهمزة مصحفة عن كلمة «أئمة» بالناء، لا بالهمزة.

الفصل الخامس:

مواقف حسينية أخرى يوم العاشر..

إخراج عمر بن سعد:

- ١ - عن عبد الله بن الحسن: ثم قال [الحُسَيْنُ] «عليه السلام»: أين عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ؟! أَدْعُوا لِي عُمَرَ.
- فَدُعِيَ لَهُ، وَكَانَ كَارِهَا لَا يُحِبُّ أَنْ يَأْتِيَهُ، فَقَالَ: يَا عُمَرُ، أَنْتَ تَقْتُلُنِي وَتَزْعُمُ أَنْ يُؤَلِّكَ الدَّعِيُّ بْنُ الدَّعِيِّ بِلَادَ الرِّيّ وَجُرْجَانَ؟
- وَاللَّهِ، لَا تَنْتَهِنَا بِذَلِكَ أَبَدًا، عَهْدُ مَعْهُودٍ، فَاصْنَعْ مَا أَنْتَ صَانِعٌ؛ فَإِنَّكَ لَا تَفْرَحُ بَعْدِي بِدُنْيَا وَلَا آخِرَةٍ.
- وَكَأَنِّي بِرَأْسِكَ عَلَى قَصَبَةٍ قَدْ نُصِبَ بِالْكُوفَةِ، يَتَرَامَاهُ الصَّبِيَّانُ، وَيَتَّخِذُونَهُ غَرَضًا بَيْنَهُم.
- فَغَضِبَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ مِنْ كَلَامِهِ، ثُمَّ صَرَفَ وَجْهَهُ عَنْهُ، وَنَادَى بِأَصْحَابِهِ: مَا تَنْتَظِرُونَ بِهِ؟ اِحْمِلُوا بِأَجْمَعِكُمْ، إِنَّمَا هِيَ أَكْلَةٌ وَاحِدَةٌ^(١).
- ٢ - أَمَرَ [الحُسَيْنُ] «عليه السلام» [أَصْحَابَهُ بِالْقِتَالِ، فَقَالَ عُمَرُ

(١) موسوعة الإمام الحسين ج ٤ ص ١٢١ عن مقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٨، والحدائق الوردية ج ١ ص ١١٩ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٠، والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٢٥٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١١ ص ٦٢٦.

بنُ سَعْدِ بنِ أَبِي وَقَاصٍ «لَعَنَهُ اللهُ»: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، لِمَ لَا تَنْزِلُ عَلَى حُكْمِ الْأَمِيرِ عُبَيْدِ اللهِ بنِ زِيَادٍ؟

فَقَالَ لَهُ: يَا شَقِيًّا! إِنَّكَ لَا تَأْكُلُ مِنْ بُرِّ الْعِرَاقِ بَعْدِي إِلَّا قَلِيلًا، فَشَأْنُكَ وَمَا اخْتَرْتَهُ لِنَفْسِكَ^(١).

ونقول:

١ - لا شك في أن هذا النص الثاني مزور، لأنه يريد أن يتهم الحسين «عليه السلام»: بأنه كان راغباً في القتال، بل كان هو السابق بأمر أصحابه به، وكان عمر بن سعد مضطراً للدفاع عن نفسه.. حتى إنه بعد أن أمر الحسين أصحابه بالقتال حاول ابن سعد أن يتلافى القتال للمرة الأخيرة بقوله: «لِمَ لَا تَنْزِلُ عَلَى حُكْمِ الْأَمِيرِ عُبَيْدِ اللهِ بنِ زِيَادٍ؟! فجاءه جواب قاس ومرير من الحسين «عليه السلام». وهذا كله تزوير للحقائق، وإيهام للناس. فقد علمنا: أن الحسين «عليه السلام» كان يمنع أصحابه من بدء أعدائه بالقتال، بل كان يمنعهم حتى من مواصلة الكلام معهم، إذا وجد أن وتيرة الكلام قد بدأت تعلو.

كما أن دعوته ودعوة أصحابه كانت باستمرار، إلى مراجعة حساباتهم، وتشجيعهم على العدول عما عقدوا العزم عليه، وبيان عواقب فعلهم هذا عليهم في الدنيا والآخرة.

وخطبته «عليه السلام»، ومناشداته، وسائر كلماته تشهد على ما

(١) إثبات الوصية ص ١٧٧.

نقول.

٢ - بعد أن ناشد الإمام الحسين «عليه السلام» جيش يزيد «لعنه الله» بأمور كثيرة، وأقروا له بها، ووعظهم، واحتج عليهم بما لم يجدوا منه محيصاً. ولم يبق «عليه السلام» لهم عذراً، وظهر منهم اللجاج والعناد والجحود. كان لا بد من دعوة قائدهم العام ليخبره بما يؤول إليه أمره بعد ارتكاب جريمته هذه، فطلب من الناس أن يدعوا له عمر بن سعد.

فدعي له، وكان عمر كارهاً لا يحب أن يأتيه، لأنه يعلم أنه لا يملك معه حجة، ولن يرى معه إلا المذلة التي تصيب كل طاغوت أمام منطق الحق، وأهل الحق.

٣ - إنه حين دعي له عمر بن سعد كلمه «عليه السلام» بالأمر المصيري الأكثر أهمية وحساسية بالنسبة لابن سعد نفسه وأخبره، وأخبر ذلك الجمع العظيم كله ببوار آمال قائدهم، وعدم حصوله على ما وعده به أسياده، وهو ملك الري وجرجان. وعلى هذا، فقد كان من الطبيعي أن يبادر ذلك الجيش الذي يعد بعشرات الألوف إلى إعادة حساباته فيما يرتبط بالربح والخسارة الدنيوية على الأقل، بعد أن فرط بالآخرة وصرف نظره عنها..

فإنه إذا كان قائد الجيوش سوف يرجع خائباً، ولن ينال ملك الري وجرجان، بالرغم من أنهم أعطوه العهود، وكتبوا له كتاباً، وأشهدوا على أنفسهم بالوفاء له.

وبالرغم من أنه «لعنه الله» ينيلهم غاية أمنياتهم، ويحقق لهم أقصى آمالهم، وهو قتل ذرية نبيهم، وإمام الأمة، وسيد شباب أهل الجنة، وأقدس، وأفضل، وأعلم الناس، فإذا كان قائد هذا الجمع سوف يرجع خائباً خاسراً لندياه وآخرته، فهل يمكن أن يأمل الأتباع، والأذئاب بأن ينالوا شيئاً مما يطمعون به، أو أن يحصلوا على ما وعدوهم به؟!!

وهل سيجرؤ أي منهم على المطالبة بشيء من ذلك؟!
ألا يكون مجرد توهم أولئك الجبابرة: أن هذا وذاك عاتب عليهم في ذلك بمثابة إصدار حكم الإعدام عليه، وربما على كل من يلوذ به؟!!

٤ - إنه «عليه السلام» قد أخبر الناس، وعمر بن سعد نفسه بمصيره، بعد ارتكابه جريمته، وأنه مصير مهين، لا يرضاه أحد لنفسه، مهما كان ساقطاً ومرذولاً..

فإن رأسه سوف ينصب على قسبة في الكوفة، ويتراماه الصبيان، فكيف سيكون مصير الناس العاديين الذين ليس لهم شوكة وصوله ومكانة هذا القائد؟!!

وهل سينال القائد وحده جزاء فعله، أم أن للأتباع والأذئاب نصيبهم أيضاً؟

٥ - وإذا كان هذا الجيش قد ارتاب في صدقية هذا الخبر، واعتبره كلاماً جرى على لسان الإمام الحسين «عليه السلام» على سبيل الحدس والظن، والتخمين، فإن رؤية الأجيال اللاحقة تحقق ما

أخبر به «عليه السلام» ستكون من وسائل هداية الناس للحق، ودفع الأضاليل والأباطيل عن هذه الحركة الحسينية الإصلاحية المباركة.

٦ - قد عرفنا: أن الإمام «عليه السلام» كان قد كرر إخباره عمر بن سعد بهذا المصير، لعله يرجع إلى رشد، ويتراجع عن غيه، ولكن الله قد ختم على قلبه، وحب الدنيا قد أعشى بصره، فكان هو الخاسر في الدنيا والآخرة.

الحسين X يرجع إلى مصافه:

عن سعد بن عبيدة: أقبل الحسين «عليه السلام» يُكَلِّمُ مَنْ بَعَثَ إِلَيْهِ ابْنُ زِيَادٍ، قَالَ: وَإِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ بُرُودٍ، فَلَمَّا كَلَّمَهُمْ انصَرَفَ، فَرَمَاهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ - يُقَالُ لَهُ: عُمَرُ الطُّهَوِيُّ - بِسَهْمٍ، فَأَنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى السَّهْمِ بَيْنَ كَتْفَيْهِ مُتَعَلِّقًا فِي جُبَّتِهِ، فَلَمَّا أَبَوْا عَلَيْهِ رَجَعَ إِلَى مَصَافِّهِ.

وَإِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَإِنَّهُمْ لَقَرِيبٌ مِنْ مِئَةِ رَجُلٍ، فِيهِمْ لِصُلْبِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ «عليه السلام» خَمْسَةٌ، وَمِنْ بَنِي هَاشِمٍ سِتَّةٌ عَشَرَ، وَرَجُلٌ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ حَلِيفٌ لَهُمْ، وَرَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ حَلِيفٌ لَهُمْ، وَابْنُ عُمَرَ بْنِ زِيَادٍ^(١).

(١) موسوعة الإمام الحسين ج ٤ ص ١٢٠ عن المصادر التالية: تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٣٩٢ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٢٩٥ والبداية والنهاية ج ٨ ص ١٧١ و (ط دار إحياء التراث) ج ٨ ص ١٨٤ عن هلال بن يساف، وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٥ ص ٥٣ وفيه ذيله من «وإني لأنظر» نحوه،

ونقول:

١ - قلنا: إن الإمام الحسين «عليه السلام» قد بذل جهداً لإقناع أولئك المخدولين: بأن لا يمضوا في تنفيذ ما عقدوا العزم عليه. وقد ناشدهم واحتج عليهم هو وأعيان أصحابه أكثر من مرة، من حين وصل عمر بن سعد بجيوشه إلى كربلاء. وقد اجتمع «عليه السلام» به، وحاول «عليه السلام» إقناعه عدة مرات، حتى جاء كتاب عبيد الله بن زياد في تأنيب ابن سعد على ذلك..

٢ - ولكن هؤلاء القوم قد استكبروا وتجبروا، بعد أن غدروا ومكروا حين استغاثوا به، ثم تركوه، ومالوا إلى عدوه، ثم جاؤا ليقتلوه..

٣ - لكن ما فعله عمر الطهوي كان غدرًا آخر ينم عن مزيد من نذالة وحقارة، فإن المفروض: أن عمر بن سعد لم يأمرهم بعد بالقتال. كما أن المفروض: أن الإمام الحسين «عليه السلام» قد فرض على ذلك العدو: أن يفسح له المجال للمناشدة، والوعظ، والإحتجاج. فهو إذن، لا يزال معهم في هدنة وفسحة، فلماذا يرمي هذا النذل الإمام بسهمه، وهو عائد إلى مصافه؟!

أذن الله في قتلهم:

عن الحلبي، قال: سمعت أبا عبد الله «عليه السلام» يقول: إنَّ

وراجع ج ١٤ ص ٢٢١ وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣١١ وبغية الطلب في تاريخ حلب ج ٦ ص ٢٦٣٨.

الحسين «عليه السلام» صلى بأصحابه الغداة، ثم التفت إليهم، فقال: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَدِنَ فِي قَتْلِكُمْ فَعَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ.

وراجع: ما رواه الحسين بن أبي العلاء عن الإمام الصادق أيضاً^(١).

بالإضافة إلى ما قاله المسعودي وغيره^(٢).

إنصرفوا فأنتم في حل:

قال اليعقوبي: لَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِ (أي غد ليلة التاسع، وهو اليوم العاشر) خَرَجَ [الحُسَيْنُ «عليه السلام»] فَكَلَّمَ الْقَوْمَ، وَعَظَّمَ عَلَيْهِمْ حَقَّهُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولَهُ، وَسَلَّاهُمْ أَنْ يُخَلُّوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرُّجُوعِ، فَأَبَوْا إِلَّا قِتَالَهُ، أَوْ أَخَذَهُ حَتَّى يَأْتُوا بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ. فَجَعَلَ يُكَلِّمُ الْقَوْمَ بَعْدَ الْقَوْمِ وَالرَّجُلَ بَعْدَ الرَّجُلِ، فَيَقُولُونَ: مَا نَدْرِي مَا تَقُولُ.

فَأَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: إِنَّ الْقَوْمَ لَيْسُوا يَقْصِدُونَ غَيْرِي، وَقَدْ قَضَيْتُمْ مَا عَلَيْكُمْ، فَانْصَرَفُوا، فَأَنْتُمْ فِي حِلٍّ. فَقَالُوا: لَا وَاللَّهِ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، حَتَّى تَكُونَ أَنْفُسُنَا قَبْلَ نَفْسِكَ،

(١) كامل الزيارات ص ١٥٢ حديث ١٨٧ وحديث ١٨٥ وص ١٥٣ حديث

١٨٩ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ٨٦ حديث ٢٠ و ١٩ وص ٨٧ حديث ٢٢

والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٣١٩.

(٢) إثبات الوصية ص ١٧٦.

فَجَزَاهُمْ الْخَيْرَ^(١).

ونقول:

لاحظ الأمور التالية:

الإذن الإلهي في القتل:

تقدم: أن الإمام «عليه السلام»: أخبر أصحابه بعد صلاة صبح اليوم العاشر بأن الله تعالى أذن بقتلهم.

وليس المراد بالإذن هنا هو تشريع جواز قتلهم، فإن قتل الإنسان المؤمن حرام.. ولو أنه أصبح جائزاً في حال دون حال، لم يكن على القاتل جناح، لأنه قد فعل أمراً جائزاً ومأذوناً به.

بل المراد: أن الله سبحانه قد وضع سنناً، وجعل للأمور أسباباً.. ومن الواضح أن تأثير السنن والأسباب والعلل في وجود المسببات والمعلولات مرهون بالإذن الإلهي، فالزرع لا ينبت، والنار لا تحرق، والسيوف لا تقطع، و.. و..، إلا إذا أذن الله تعالى لها بذلك، وقد ألقى نمرود إبراهيم الخليل «عليه السلام» بالنار، فلم تحرقه، بل كانت عليه برداً وسلاماً. كما أن السكين لم تقطع أوداج اسماعيل «عليه السلام» عندما أراد أبوه إبراهيم «عليه السلام» أن يذبحه.

ونحن نعلم: أن الإنسان قادر على مخالفة النهي التشريعي، ولو لم يكن قادراً لكان مجبراً على امتثال النهي، وهذا هو الجبر الذي لا

(١) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٤٤.

يجوز الاعتقاد به، ولا يصح نسبته إلى الله تعالى، لأنه ظلم، وما كان ربك ليظلم أحداً..

فكان الحسين «عليه السلام» يقول لأصحابه هنا: إن الله تعالى قد قدر أن يستشهد الحسين «عليه السلام» وجميع أصحابه في كربلاء، من أجل حفظ الدين، فلا بد لهم من أن يصبروا على هذه المحنة، لأن هذا الصبر يرضي الله سبحانه..

عروض الحسين X مرة أخرى:

وقد تقدم: أن اليعقوبي يقول: إنه «عليه السلام» قد عاد وعرض في العاشر على ذلك الجيش الباغي: أن يخلوا بينه وبين الرجوع، فأبوا إلا قتاله، أو أخذه حتى يأتوا به عبيد الله بن زياد..

وهذا يؤكد ما ذكرناه مراراً، من أنه «عليه السلام» لم يأت مقاتلاً، وإنما جاء لينظر في شؤون الذين استغاثوا به. وإذ بهم ينقلبون عليه، فعرض عليهم أن يرجع، فلم يقبلوا منه.

ولكن اليعقوبي أضاف أمراً بالغ الأهمية هنا، وهو أنه «عليه السلام»: «جعل يكلم القوم بعد القوم، والرجل بعد الرجل، فيقولون: ما ندري ما تقول..».

فإن هذا يدل على أنه «عليه السلام» لم يكتف بالخطابات العامة التي سبقت في اليوم العاشر وقبله، لأن من الممكن أن يعتبر كثير من الأشخاص: أنهم غير معنيين بذلك الخطاب، ولا بسماعه. بل هو يعرف: أن ذلك الجيش مؤلف من جماعات كل جماعة على حدة، ومن

رؤساء، وكل رئيس، وكل ذي نفوذ بمفرده. فإذا كلمهم جماعة جماعة، ورجلاً رجلاً، فإن هذه الطريقة من شأنها أن تلزمهم بسماع ما يقول، وأن يتدبروا فيه، ويتخذوا قرارهم بشأنه.. وبذلك تكون الحجة قد قامت على جميع ذلك الجيش من دون استثناء.

كما أن هذه الطريقة تبعد شبح سيطرة العقل الجماعي على ذلك الجمع، وتمنع من تدني مستوى تفكيرهم إلى الدرجات الدنيا، ولا تسمح بالخضوع للمشاعر، والإثارات الحماسية، والاستسلام للتوترات والتشنجات، والعصبيات، وما إلى ذلك. ولا يبقى للاعتذار بمثل هذه الأمور مورد، ولا معنى.

ولكن هؤلاء القوم كانوا مصداقاً لقوله تعالى: (فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ)^(١). ولقوله تعالى: (نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ)^(٢). وقوله: (نَسُوا اللَّهَ فَنَسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ)^(٣).. كما ظهر من جوابهم للإمام «عليه السلام»..

إنصرفوا فأنتم في حلّ:

ثم إنه «عليه السلام» زاد على تلك الحجة حجة أخرى حين أذن لأصحابه بالإنصراف، ليواجه هو وحده مصيره مع هؤلاء القوم، فجاء رفض أصحابه لذلك ليكون درساً لجيش الأعداء في الوفاء لرسول الله

(١) الآية ٥ من سورة الصف.

(٢) الآية ٦٧ من سورة التوبة.

(٣) الآية ١٩ من سورة الحشر.

«صلى الله عليه وآله» ولأهل بيته الطاهرين، ونصرة الحق والدين،
ليقارن ذلك الجيش الغادر بين حاله، وحال هؤلاء الصفوة من أصحابه
«عليه السلام».

خطبة الإمام صباح العاشر:

عن بشر بن طانحة، عن رجل من همدان: خطبنا الحسين بن عليّ
«عليهما السلام» غداة اليوم الذي استشهد فيه، فحمد الله وأثنى عليه،
ثم قال:

عِبَادَ اللَّهِ! اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مِنَ الدُّنْيَا عَلَى حَذَرٍ، فَإِنَّ الدُّنْيَا لَوْ بَقِيَتْ
لأَحَدٍ أَوْ بَقِيَ عَلَيْهَا أَحَدٌ، كَانَتْ الْأَنْبِيَاءُ أَحَقَّ بِالْبَقَاءِ، وَأَوْلَى بِالرِّضَى،
وَأَرْضَى بِالْقَضَاءِ، غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الدُّنْيَا لِلْبَلَاءِ، وَخَلَقَ أَهْلَهَا لِلْفَنَاءِ،
فَجَدِيدُهَا بَالٌ، وَنَعِيمُهَا مُضْمَحِلٌّ، وَسُرُورُهَا مُكْفَهَرٌ، وَالْمَنْزِلُ بُلْعَةٌ،
وَالدَّارُ قُلْعَةٌ، فَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى، فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ^(١).

البلاء: الإختبار.

(١) تاريخ مدينة دمشق ج ١٤ ص ٢١٨ وكفاية الطالب ص ٤٢٩ وبغية الطلب
في تاريخ حلب ج ٦ ص ٢٥٨٦ وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر
ص ٣١٦ وزهر الآداب وثمر الألباب للقيرواني ج ١ ص ١٠٠ وشرح
إحقاق الحق (الملحقات) ج ١١ ص ٦١٤ وج ١٩ ص ٤١٦ وجمهرة خطب
العرب ج ٢ ص ٥١.

مكفهر: عابس.

البلغة: ما يحفظ به الحياة، ويتبلغ به العيش ولا يفضّل.

قلعة: تحول وارتحال.

كلمات وخطب أخرى يوم العاشر:

١ - عن جابر، عن أبي جعفر الباقر «عليه السلام»: قال الحسين بن علي «عليهما السلام» لأصحابه قبل أن يقتل: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ «صلى الله عليه وآله» قَالَ لي: يا بني! إِنَّكَ ستساق إلى العراق، وهي أرض قد التقى بها النبيون وأوصياء النبيين، وهي أرض تدعى «عمورا»..

وإنّك تستشهد بها، ويستشهد معك جماعة من أصحابك لا يجدون ألم مسّ الحديد، وتلا: (قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ) (١)، تكون الحرب عليك وعليهم برداً وسلاماً. فَأُبَشِّرُوا، قَوْلَ اللَّهِ! لئن قَتَلْنَا قَائِلًا نَرُدُّ عَلَىٰ نَبِيِّنَا «صلى الله عليه وآله» (٢).

٢ - عن حسين بن زيد بن علي، عن آبائه «عليهم السلام»: إِنَّ

(١) الآية ٦٩ من سورة الأنبياء.

(٢) الخرائج والجرائح ج ٢ ص ٨٤٨ ح ٦٣ ومختصر بصائر الدرجات ص ٣٦ وص ٥٠ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ٨٠ ح ٦ وج ٥٣ ص ٦١ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٣٤٤ ومدينة المعاجز ج ٣ ص ٥٠٤.

الحُسَيْنَ بنَ عَلِيٍّ «عليه السلام» خَطَبَ يَوْمَ أُصَيْبَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْآخِرَةَ لِلْمُتَّقِينَ، وَالنَّارَ وَالْعِقَابَ عَلَى الْكَافِرِينَ، وَإِنَّا - وَاللَّهِ - مَا طَلَبْنَا فِي وَجْهِنَا هَذَا الدُّنْيَا، فَتَكُونَ الشَّاكِينَ فِي رِضْوَانِ رَبَّنَا، فَاصْبِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا، وَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكُمْ.

فَقَالُوا: بِأَنْفُسِنَا نَفْدِيكَ.

فَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ: فَكَانُوا - وَاللَّهِ - يُبَادِرُونَهُ إِلَى الْقِتَالِ، حَتَّى مَضَوْا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَيَحْتَسِبُهُمْ، وَيَسْتَغْفِرُ لَهُمْ (١).

ونقول:

إننا هنا سوف نقتصر على ما يلي:

الأنبياء أحق بالبقاء:

إن الأنبياء هم خيرة الخلق، وصفوتهم. وكل همهم هو رضا الله، وكل همتهم هي في العمل النافع، وإسعاد البشر، وإشاعة الفضائل والكمالات، ونشر الخير والصالح في كل اتجاه، وهم الذين يحبهم الله ويحبونه، فلو كان البقاء في الدنيا خيراً لهم لحباهم الله به، واختاره لهم..

ولكانت أعمالهم الصالحة تؤهلهم إلى هذا الأمر، أكثر من أي إنسان

(١) الأُمالي للشجري ج ١ ص ١٦٠.

آخر ممن يرتكبون المآثم، ويفسدون في الأرض، أو ممن يخلطون العمل الصالح بغيره. فإن الله تعالى لا يحب الفاسدين والمفسدين، فكيف يحبوهم بما يحبو به أنبياءه وعباده الصالحين؟!

كما أن سيئات أعمالهم تفسد حياتهم، وحياة غيرهم، وتدخل عليها النقائص والآفات، فكيف يساوي تعالى بين المصلح والمفسد، والنافع والنافع، والسعيد والشقي؟!

ولأجل ذلك قال «عليه السلام»: «فَإِنَّ الدُّنْيَا لَوْ بَقِيَتْ لِأَحَدٍ أَوْ بَقِيَ عَلَيْهَا أَحَدٌ، كَانَتْ الْأَنْبِيَاءُ أَحَقَّ بِالْبَقَاءِ، وَأَوْلَى بِالرِّضَى، وَأَرْضَى بِالْقَضَاءِ».

وإنما ذكر «عليه السلام» هذه الفقرة الأخيرة، لأن غير الأنبياء لا يرضون بالقضاء، لأنهم يريدون الإستزادة من حطام الدنيا، والحصول على الملذات والشهوات. ولو بالطرق غير المشروعة، فيصيرون من وسائل الهدم والتدمير لكل ما يفيد في بناء الحياة، وإشاعة الخير والسعادة فيها..

أما الأنبياء الذين يرضون بالقضاء، فهم من أهم وسائل البناء، والإعمار، والرقى، والخير، والسعادة للبشر.

البشارة في اللحظات الأخيرة:

وفي النص الثاني المتقدم، الذي ذكر أن «عموراء» من أسماء كربلاء، نلاحظ:

أولاً: بأن لمكان استشهاد الإمام الحسين «عليه السلام» وأصحابه

قداسة خاصة، لأنها أرض التقى بها النبيون، وأوصياء النبيين.

وثانياً: إنه «عليه السلام» قد أخبر أصحابه نقلاً عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أن الذين يستشهدون معه في كربلاء يوم عاشوراء - أو جماعة منهم - لا يجدون ألم مس الحديد.

ولأن هذا الأمر يصعب تصديقه للوهلة الأولى، فإنه «عليه السلام» قدم لهم شاهداً قرآنياً، يقرر وقوع نظير لهذا الأمر في الملائع، حيث احتشدت أمم كثيرة حين أراد النمرود «لعنه الله» إحراق نبي الله إبراهيم الخليل «عليه السلام»، احتشدوا ليشاركوا في صنع هذه الجريمة، وليلقوا نبي الله إبراهيم في تلك النار العظيمة التي أوقدوها، وإذ بها تكون برداً وسلاماً على إبراهيم.

ولأجل ذلك تلا «صلى الله عليه وآله» قوله تعالى: (قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ)^(١)، ثم قال للحسين «عليه السلام»: تكون الحرب عليك وعليهم برداً وسلاماً فأبشروا الخ..

(١) الآية ٦٩ من سورة الأنبياء.

الفصل السادس:

توبة الحر الرياحي..

هل من توبة؟!:

١ - روى الخوارزمي عن أبي مخنف قال: صاح [الحُسَيْنُ «عليه السلام»]: أما من مُغيثٍ يُغيثُنَا لوجهِ اللهِ تعالى.

أما من ذابَّ يَدْبُ عَنْ حُرْمِ رَسُولِ اللهِ!

فَلَمَّا سَمِعَ الْحُرُّ بْنُ يَزِيدَ هَذَا الْكَلَامَ، اضْطَرَبَ قَلْبُهُ، وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ، فَخَرَجَ بَاكِئاً مُتَضَرِّعاً مَعَ غُلَامٍ لَهُ تُرْكِيٍّ.

وكانَ كَيْفِيَّةَ انْتِقَالِهِ إِلَى الْحُسَيْنِ «عليه السلام»: أَنَّهُ لَمَّا سَمِعَ هَذَا الْكَلَامَ مِنَ الْحُسَيْنِ «عليه السلام» أَتَى إِلَى عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ، فَقَالَ لَهُ (والنص لأبي مخنف، وعدي بن حرملة وغيرهما):

أَصْلَحَكَ اللهُ، مُقَاتِلُ أَنْتَ هَذَا الرَّجُلُ؟

قال: إِي وَاللَّهِ! قِتَالاً أَيْسَرُهُ أَنْ تَسْقُطَ الرُّؤُوسُ، وَتَطْيَحَ الْأَيْدِي.

فَقَالَ: أَفَمَا لَكُمْ فِي وَاحِدَةٍ مِنَ الْخِصَالِ الَّتِي عَرَضَ عَلَيْكُمْ رِضَى؟

قالَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ: أَمَا وَاللَّهِ لَوْ كَانَ الْأَمْرُ إِلَيَّ لَفَعَلْتُ، وَلَكِنَّ أَمِيرَكَ

قَدْ أَبَى ذَلِكَ.

قال: فَأَقْبَلَ الْحُرُّ حَتَّى وَقَفَ عَنِ النَّاسِ مَوْقِفًا، وَمَعَهُ رَجُلٌ مِنَ

قَوْمِهِ يُقَالُ لَهُ: قُرَّةُ بْنُ قَيْسٍ.

فَقَالَ: يَا فُرَّةُ! هَلْ سَقَيْتَ فَرَسَكَ الْيَوْمَ؟

قَالَ: لَا!

قَالَ: إِنَّمَا [أَمَا] تُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَهُ؟

قَالَ فُرَّةُ: فَظَنَنْتُ وَاللَّهِ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتَنَحَّى فَلَا يَشْهَدَ الْقِتَالَ، وَيَكْرَهُ أَنْ أَرَاهُ يَصْنَعُ ذَلِكَ مَخَافَةً أَنْ أَرْفَعَ عَلَيْهِ.

فَقُلْتُ لَهُ: لِمَ أَسْقِيهِ، وَأَنَا مُنْطَلِقٌ فَأَسْقِيهِ.

قَالَ: فَاعْتَزَلْتُ ذَلِكَ الْمَكَانَ الَّذِي كَانَ فِيهِ.

قَالَ: فَوَاللَّهِ لَوْ أَنَّهُ أَطْلَعَنِي عَلَى الَّذِي يُرِيدُ لَخَرَجْتُ مَعَهُ إِلَى الْحُسَيْنِ «عَلَيْهِ السَّلَام».

قَالَ: فَأَخَذَ يَدْنُو قَلِيلًا، قَلِيلًا.

فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ، يَقَالُ لَهُ: الْمُهَاجِرُ بْنُ أَوْسٍ: مَا تُرِيدُ يَا ابْنَ يَزِيدَ؟ أَتُرِيدُ أَنْ تَحْمِلَ؟

فَسَكَتَ، وَأَخَذَهُ مِثْلُ الْعُرَوَاءِ^(١).

قَالَ لَهُ: يَا ابْنَ يَزِيدَ! إِنَّ أَمْرَكَ لَمُرِيبٌ، وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ فِي مَوْقِفٍ قَطُّ مِثْلَ شَيْءٍ أَرَاهُ الْآنَ، وَلَوْ قِيلَ لِي: مَنْ أَشْجَعُ أَهْلَ الْكُوفَةِ رَجُلًا؟ مَا عَدَوْتُكَ! فَمَا هَذَا الَّذِي أَرَى مِنْكَ؟!

قَالَ: إِلَيَّ - وَاللَّهِ! - أَخَيْرُ نَفْسِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَوَاللَّهِ لَا أَخْتَارُ

(١) العرواء: الرعدة؛ وهي في الأصل: برد الحمى. راجع: النهاية في اللغة ج ٣ ص ٢٢٦.

عَلَى الْجَنَّةِ شَيْئًا، وَلَوْ قُطِعَتْ وَحُرِّقَتْ. ثُمَّ ضَرَبَ فَرَسَهُ، وَلَحِقَ بِحُسَيْنٍ «عليه السلام» [مَعَ غُلَامِهِ الثُّرَكِيِّ].

فَقَالَ: جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ! أَنَا صَاحِبُكَ الَّذِي حَبَسْتُكَ عَنِ الرَّجُوعِ، وَسَايَرْتُكَ فِي الطَّرِيقِ، وَجَعَجَعْتُ بِكَ فِي هَذَا الْمَكَانِ، وَاللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، مَا ظَنَنْتُ الْقَوْمَ يَرُدُّونَ عَلَيْكَ مَا عَرَضْتَ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَلَا يَبْلُغُونَ مِنْكَ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي:

لَا أَبَالِي أَنْ أَطِيعَ الْقَوْمَ فِي بَعْضِ أَمْرِهِمْ، وَلَا يَرُونَ أَلِي خَرَجْتُ مِنْ طَاعَتِهِمْ، وَأَمَّا هُمْ فَسَيَقْبَلُونَ مِنْ حُسَيْنٍ هَذِهِ الْخِصَالِ الَّتِي يَعْزُضُ عَلَيْهِمْ.

وَوَاللَّهِ! لَوْ ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ لَا يَقْبَلُونَهَا مِنْكَ مَا رَكِبْتُهَا مِنْكَ.

وَإِنِّي قَدْ حِثُّنَاكَ تَائِبًا مِمَّا كَانَ مِنِّي إِلَى رَبِّي، وَمَوَاسِيًا بِنَفْسِي حَتَّى أَمُوتَ بَيْنَ يَدَيْكَ، أَفَتَرَى ذَلِكَ لِي تَوْبَةً؟

قَالَ: نَعَمْ! يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَيَغْفِرُ لَكَ، مَا اسْمُكَ؟
قَالَ: أَنَا الْحُرُّ.

قَالَ: أَنْتَ الْحُرُّ كَمَا سَمَّيْتَكَ أُمُّكَ، أَنْتَ الْحُرُّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ انْزِلْ.

فَقَالَ: أَنَا لَكَ فَارِسًا خَيْرٌ مِنِّي لَكَ رَاحِلًا، أَقَاتِلُهُمْ عَلَى فَرَسِي سَاعَةً، وَإِلَى النُّزُولِ مَا يَصِيرُ آخِرُ أَمْرِي.

قَالَ الْحُسَيْنِ «عليه السلام»: فَاصْنَعْ يَرْحَمُكَ اللَّهُ مَا بَدَا لَكَ.

[وَعِنْدَ الْخَوَارِزْمِيِّ ثُمَّ قَالَ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ! كُنْتُ أَوَّلَ خَارِجٍ

عَلَيْكَ، فَأَنْدَنَ لِي أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ قَتِيلٍ بَيْنَ يَدَيْكَ، فَلَعَلِّي أَنْ أَكُونَ مِمَّنْ يُصَافِحُ جَدَّكَ مُحَمَّدًا غَدًا فِي الْقِيَامَةِ.

فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ «عليه السلام»: إِنْ شِئْتَ فَأَنْتَ مِمَّنْ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَهُوَ الثَّوَابُ الرَّحِيمُ الْخ..].

فَاسْتَقَدَّمَ أَمَامَ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا الْقَوْمُ! أَلَا تَقْبَلُونَ مِنْ حُسَيْنٍ خَصْلَةً مِنْ هَذِهِ الْخِصَالِ الَّتِي عَرَضَ عَلَيْكُمْ فَيُعَافِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ حَرْبِهِ وَقِتَالِهِ؟

قَالُوا: هَذَا الْأَمِيرُ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ فَكَلَّمَهُ.

فَكَلَّمَهُ بِمِثْلِ مَا كَلَّمَهُ بِهِ قَبْلُ، وَبِمِثْلِ مَا كَلَّمَ بِهِ أَصْحَابَهُ.

قَالَ عُمَرُ: قَدْ حَرَصْتُ لَوْ وَجَدْتُ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا فَعَلْتُ.

فَقَالَ: يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ! لِيَأْمَكُمُ الْهَبَلُ^(١) وَالْعُبْرُ^(٢)، إِذْ دَعَوْتُمُوهُ حَتَّى إِذَا أَتَاكُمْ أَسْلَمْتُمُوهُ، وَزَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ قَاتِلُو أَنْفُسِكُمْ دُونَهُ، ثُمَّ دَعَوْتُمْ عَلَيْهِ لِنَقْلِهِ، أَمْسَكْتُمْ بِنَفْسِهِ، وَأَخَذْتُمْ بِكَظْمِهِ، وَأَحْطَطْتُمْ بِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَمَنَعْتُمُوهُ التَّوَجُّهَ فِي بِلَادِ اللَّهِ الْعَرِيضَةِ حَتَّى يَأْمَنَ وَيَأْمَنَ أَهْلُ بَيْتِهِ، وَأَصْبَحَ فِي أَيْدِيكُمْ كَالْأَسِيرِ، لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا، وَلَا يَدْفَعُ ضَرًّا.

(١) الْهَبَلُ: التُّكَلُّ؛ وَهُوَ الْمَوْتُ، وَالْهَلَاكُ، وَفَقْدَانُ الْحَبِيبِ. رَاجِعُ: لِسَانُ الْعَرَبِ

ج ١١ ص ٦٨٦ «هبل» وص ٨٨ «تكل».

(٢) الْعُبْرُ: الْبُكَاءُ بِالْحُزْنِ؛ يُقَالُ: لِأَمَّةِ الْعُبْرِ وَالْعُبْرِ. رَاجِعُ: لِسَانُ الْعَرَبِ ج ٤

ص ٥٣٢ مادة «عبر».

وَحَلَّائِمُوهُ، وَنِسَاءَهُ، وَأَصْيَبِيَّتُهُ، وَأَصْحَابَهُ عَنْ مَاءِ الْفُرَاتِ الْجَارِي،
الَّذِي يَشْرَبُهُ الْيَهُودِيُّ، وَالْمَجُوسِيُّ وَالنَّصْرَانِيُّ، وَتَمَرَّغَ فِيهِ خَنَازِيرُ
السَّوَادِ وَكِلَابُهُ، وَهَا هُمْ أَوْلَاءُ قَدْ صَرَاعَهُمُ الْعَطَشُ.

بِئْسَمَا خَلَفْتُمْ مُحَمَّدًا فِي ذُرِّيَّتِهِ، لَا سَفَاكُمُ اللَّهُ يَوْمَ الظَّمِّ إِنْ لَمْ تَتُوبُوا
وَتَنْزَعُوا عَمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي سَاعَتِكُمْ هَذِهِ.

فَحَمَلَتْ عَلَيْهِ رَجَالَهُ لَهُمْ تَرْمِيهِ بِالنَّبْلِ، فَأَقْبَلَ حَتَّى وَقَفَ أَمَامَ
الْحُسَيْنِ «عليه السلام»^(١).

٢ - عن عبد الله بن منصور، عن جعفر بن محمد بن علي بن
الحسين، عن أبيه، عن جدّه [زين العابدين] «عليهم السلام»:

ضَرَبَ الْحُرُّ بْنُ يَزِيدَ فَرَسَهُ، وَجَازَ عَسْكَرَ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ «لَعَنَهُ اللَّهُ»

(١) موسوعة الإمام الحسين ج ٤ ص ١٨٩ - ١٩١ عن تاريخ الأمم والملوك ج ٥
ص ٤٢٧ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٢٤ والكامل في التاريخ ج ٤ ص ٦٤
وليس فيه من «فأقبل حتى وقف» إلى «لخرجت معه إلى الحسين «عليه
السلام»»، والإرشاد ج ٢ ص ٩٩ وإعلام الوری ج ١ ص ٤٦٠ ومثير
الأحزان ص ٥٨ كلها نحوه، وبحار الأنوار ج ٥ ص ٤٥٠ وراجع: أنساب
الأشراف ج ٣ ص ٣٩٧ و (ط دار التعارف) ج ٣ ص ١٨٩ والأخبار الطوال
ص ٢٥٦ ومناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٩٩ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣
ص ٢٤٩ وروضة الواعظين ص ٢٠٤ وراجع: الملهوف ص ١٥٩ والعوالم،
الإمام الحسين ج ١٧ ص ٢٥٤ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص ١٢٠ وإبصار
العین ص ٢٠٩ والدر النظيم ص ٥٥٣.

إلى عَسْكَرِ الْحُسَيْنِ «عليه السلام»، واضِعاً يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ، وَهُوَ يَقُولُ:

اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أُنِيبُ، قُتِبَ عَلَيَّ؛ فَقَدْ أَرَعَبْتُ قُلُوبَ أَوْلِيَائِكَ وَأَوْلَادِ نَبِيِّكَ.

يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، هَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟

قَالَ: نَعَمْ، تَابَ اللَّهُ عَلَيْكَ.

قَالَ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ! أَتَأْذُنُ لِي قَاتِلَ عَنكَ؟

فَأَذِنَ لَهُ، فَبَرَزَ وَهُوَ يَقُولُ:

أَضْرِبْ فِي أَعْنَاقِكُمْ بِالسَّيْفِ عَنْ خَيْرٍ مَنْ حَلَّ بِلَادَ الْخَيْفِ (١)

٣ - عن هلال بن يساف: كان فيمن بُعِثَ إليه [أي إلى الحسين «عليه السلام»]: الحر بن يزيد الحنظلي، ثم النهشلي على خيل، فلما سمع ما يقول الحسين «عليه السلام» قال لهم: ألا تقبلون من هؤلاء ما يعرضون عليكم؟! والله لو سألكم هذا الترك والديلم ما حل لكم أن تردوه.

فأبوا إلا على حكم ابن زياد.

فصرف الحر وجه فرسه، وانطلق إلى الحسين وأصحابه، فظنوا أنه إنما جاء ليقاتلهم، فلما دنا منهم قلب ترسه، وسلم عليهم.

(١) الأُمالي للصدوق ص ٢٢٣ وبحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣١٩ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ١٦٨ وراجع: الملهوف ص ١٥٩ و (نشر أنوار الهدى) ص ٦٢.

ثم كر على أصحاب ابن زياد، فقاتلهم، فقتل منهم رجلين، ثم قتل
رحمة الله عليه^(١).

٤ - قال سبط بن الجوزي:

وفي رواية أنه نادى: يا شَبَثَ بْنَ رُبَيْعٍ، ويا حَجَّارَ بْنَ أَبَجَرَ، ويا
قَيْسَ بْنَ الْأَشْعَثِ، ويا زَيْدَ بْنَ الْحَارِثِ، ويا فُلانُ، ويا فُلانُ! أَلَمْ تَكُتُبُوا
إِلَيَّ؟!

فَقَالُوا: مَا نَدْرِي مَا تَقُولُ.

وكان الحرُّ بنُ يَزِيدَ الْيَرْبُوعِيُّ مِنْ ساداتِهِمْ، فَقَالَ لَهُ: بَلَى وَاللَّهِ لَقَدْ
كَاتَبْنَاكَ. وَنَحْنُ الَّذِينَ أَقْدَمْنَاكَ، فَأَبْعَدَ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَأَهْلَهُ. وَاللَّهِ لَا أُخْتَارُ
الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ، ثُمَّ ضَرَبَ رَأْسَ فَرَسِهِ، وَدَخَلَ فِي عَسْكَرِ الْحُسَيْنِ
«عليه السلام».

فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ «عليه السلام»: أَهْلًا بِكَ وَسَهْلًا، أَنْتَ وَاللَّهِ الْحُرُّ فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

ثُمَّ نَادَاهُمُ الْحُرُّ: وَيَحْكُمُ لَا أُمَّ لَكُمْ! أَنْتُمْ الَّذِينَ أَقْدَمْتُمُوهُ، فَلَمَّا أَنْتَكُمُ
أَسْلَمْتُمُوهُ، فَصَارَ كَالْأَسِيرِ، وَمَنْعْتُمُوهُ وَأَهْلُهُ الْمَاءَ الْجَارِيَّ، الَّذِي

(١) موسوعة الإمام الحسين ج ٤ ص ١٩١ و ١٩٢ عن تاريخ الأمم والملوك
ج ٥ ص ٣٩٢ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٢٩٦ وأنساب الأشراف ج ٣
ص ٣٨٣ و (ط دار التعارف) ج ٣ ص ١٧٣ وراجع: شرح الأخبار ج ٣
ص ١٥١.

تَشْرَبُ مِنْهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، وَالْمَجُوسُ. وَيَتَمَرَّغُ فِيهِ خَنَازِيرُ أَهْلِ السَّوَادِ، يَسْ مَا خَلَفْتُمْ مُحَمَّدًا فِي أَهْلِهِ وَدُرِّيَّتِهِ، وَإِذَا لَمْ تَنْصُرُوهُ وَتَقُوا لَهُ بِمَا حَلَفْتُمْ عَلَيْهِ، فَدَعُوهُ يَمْضِي حَيْثُ شَاءَ مِنْ بِلَادِ اللَّهِ.

أما أنتم بالله مؤمنون؟ وببُوءة مُحَمَّدٍ جَدِّهِ مُصَدِّقُونَ؟ وبالمعاد موقنون؟ ثُمَّ حَمَلَ وَقَالَ:

أَضْرَبُ فِي أَعْنَاقِكُمْ بِالسَّيْفِ عَنْ خَيْرٍ مَنْ حَلَّ مِنْيَ وَالْخَيْفِ

وَقَتْلَ مِنْهُمْ جَمَاعَةً.

ثم تكاثروا عليه، فقتلوه^(١).

ونقول:

إن لنا مع الحر «رضوان الله تعالى عليه» ومع هذا الموقف الرائع، وقفات عديدة، يمكن تلخيصها فيما يلي من عناوين.

آثار استغاثة الحسين X:

تقدم: أن الحر «رحمه الله» لما صاح الحسين «عليه السلام»: أما

من مغيث يغيثنا لوجه الله تعالى!!

أما من ذاب يذب عن حُرْمِ رسول الله!!

اضطرب قلبه، ودمعت عيناه، فخرج باكياً متضرعاً، مع غلام له

(١) تذكرة الخواص ص ٢٥١ و (تحقيق الدكتور عامر النجار سنة ١٤٢٩هـ) ص ٥٢٩.

تركي، ثم أتى إلى عمر بن سعد، فقال: الخ..

ونقول ما يلي:

١ - إن هذه الاستغاثة لم تكن جزءاً أو خوفاً من القتل، ولو كان الأمر كذلك، لكان بإمكانه أن يتخلص من المواجهة، ولو بإخلاء الساحة تحت جناح الظلام، أو بتقديم بعض التنازلات، المغرية للأعداء، كأن يعدهم بقبول البيعة ليزيد. أو بغير ذلك من الوسائل التي يستسيغها الناس لأنفسهم في أمثال هذه الحالات.

٢ - إن هذه الاستغاثة إنما جاءت بعد المناشدات والاحتجاجات، والمواظ، التي توالى على ذلك الجيش، من قبله «عليه السلام»، ومن أصحابه كبرير بن خضير، وحبيب بن مظاهر، ومسلم بن عوسجة، وزهير بن القين، ونافع بن هلال، و.. و..

وحتى الرجز الذي كان يقال في المبارزات كان احتجاجياً، زاخراً بالقيم، والمشاعر، والأخلاق، والإثارات العاطفية، والمعاني الإيمانية، والإنسانية.

٣ - لعل من أهداف هذه الاستغاثة، وما يشبهها: إضافة العنصر المشاعري والعاطفي إلى الجوانب الأخرى، لكي تتعاضد على درء الشر الذي يريد هذا الجيش الظالم أن يثيره، مثل الجانب الإنساني، والعقلاني، والإيماني، والتحذيري، والمواظي، وما إلى ذلك. وبذلك يكون «عليه السلام» قد استكمل مختلف الوسائل الرادعة والمؤثرة، وعلى الطرف الآخر أن يستجيب إلى نداء الشرع والدين، والعقل،

والإيمان، والعاطفة، والإنسانية، وغير ذلك.

٤ - يكفي أن يكون من فوائد هذه الاستغاثة تحريكها مشاعر الحر الرياحي، وهو من القادة الشجعان الذي كان لهم نصيب في تطور هذا الحدث الهائل الذي هم بصدد صنعه.

٥ - يلاحظ: أنه «عليه السلام» قد طلب ممن يغيثه أن تكون إغاثنه له، لوجه الله تعالى. وهذا الطلب من شأنه أن يعيد الأمور، ولو في سياق تقديم الأسوة والقوة إلى مسارها الطبيعي، ويخرجها عن حالة الانحراف والشذوذ التي كانت مهيمنة على كثير من الناس، حيث نسوا الله فنسيهم، وأنساهم أنفسهم باستغراقهم في الدنيا، إلى حد أنهم يسفكون دماء أئمتهم، وذرية نبيهم، وأشرف الخلق، ويسعون لتهشيم جهود الأنبياء، وتضييع تضحيات الشهداء من زمن آدم، وإلى الأبد..

٦ - تضمنت استغاثته «عليه السلام» التنويه بالخطر الذي يتهدد حُرْمَ ونساء رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حيث إنه «عليه السلام»:

أولاً: لم يقل: هل من ذاب يذب عن حرمي. بل قال: عن حرم رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وثانياً: تحدث «عليه السلام» عن حاجته الذب عن الحرم، أي إبعاد الخطر عنهن ولم يتحدث، بل لم يشر إلى لزوم أو رجحان قتل أو جرح أو إيذاء من يهاجمهن، بل بيّن أن المطلوب هو إبعاد الأذى عنهن، ولو بالوسائل غير العنيفة.

وهذا التأثير الذي ظهر في كلمات الحر، يعطي إشارة إلى بعض جوانب الحكمة في استصحاب النساء والأطفال معه «عليه السلام» في مسيره ذلك. وستأتي إشارة أخرى في كلام الحر إلى هذا الأمر أيضاً..

أمقاتل أنت هذا الرجل؟!:

تقدم: قول الحر «عليه الرحمة والرضوان» لعمر بن سعد: «مُقاتِلُ أنتَ هذا الرَّجُلُ»؟!!

فأقسم له ابن سعد: أنه سيقاتله قتالاً أيسره أن تسقط الرؤوس، وتطيح الأيدي.

ونقول:

يظهر من كلام بن أعثم: أن تحول الحر الرياحي إلى الحسين «عليه السلام» قد حصل بعد الحملة الأولى التي قتل فيها نيف وخمسون رجلاً من أصحاب الإمام «عليه السلام»، فعندها قال الإمام الحسين «عليه السلام»: أما من مغيث يغيثنا. أما من ذاب يذب عن حرم رسول الله؟

قال: فإذا الحر بن يزيد أقبل يركض فرسه، حتى وقف بين يدي الحسين، فقال: يا ابن بنت رسول الله، كنت أول من خرج عليك، أفتأذن لي أن أكون أول مقتول بين يديك، لعلي أبلغ بذلك درجة الشهداء، فألحق بجذك «صلى الله عليه وآله»؟!!

فقال الحسين: يا أخي، إن تبت كنت ممن تاب الله عليهم، إن الله هو التواب الرحيم.

قال: فأول من تقدم إلى قتال القوم الحر بن يزيد الرياحي^(١).

ونقول:

أولاً: إن قول الحر لابن سعد: أمقاتل أنت هذا الرجل؟! لا بد أن يكون قد حصل قبل الحملة الأولى لا بعدها. لأنه بعد هذه الحملة وحصول القتال، لا معنى لطرح هذا السؤال على عمر بن سعد.

ثانياً: يمكن أن لا يكون هناك تناف بين ما قلناه، من أن توبة وتحول الحر كان قبل الحملة الأولى، وبين ما قاله ابن أعثم، إذ ليس كلام ابن أعثم صريحاً في كون توبة الحر قد حصلت بعد الحملة الأولى، لإمكان أن يكون مراده: أن الحر بعد توبته قبل بدء القتال، قد بقي في صفوف أصحاب الحسين «عليه السلام» إلى أن استشهد بعد حبيب بن مظاهر قبيل الظهر.

ثم إنه بعد أن بدأت الحرب، وبعد أن أسفرت الحملة الأولى عن مصرع هذا العدد الكبير من أصحابه «عليه السلام»، كان لا بد من التحول إلى المبارزة.

فلما سمع الحر استغاثة الإمام «عليه السلام» جاء مسرعاً ليستأذن الإمام «عليه السلام» بأن يكون أول المبارزين والمستشهدين بين يديه «عليه السلام»، لعله يحصل على قبول التوبة، وينيله الله تعالى درجة الشهادة..

(١) الفتوح لابن أعثم ج ٥ ص ١٠١.

ثالثاً: يلاحظ هنا: أن الإمام «عليه السلام» خاطب الحر بقوله: «يا أخي». فلو لم يكن «عليه السلام» يعرف صدق الحر في توبته وتحوله، لما كان خطاب الإمام «عليه السلام» له بهذا الخطاب، وإسباغ صفة الأخوة عليه مستساغاً.. وقد كان يمكن أن يقول له: يا أخا العرب، أو يا أيها الرجل.. مثلاً..

هل هو الحر، أم برير؟!:

ويلاحظ: أن المضامين المتقدمة التي تقول بعض المصادر كالطبري: إنها من أقوال الحر بن يزيد، قد ذكر ابن أعثم ما يقرب منها، ونسبها إلى برير بن حضير^(١).

ونرى: أن تشابه المضامين لا يعني اتحاد الواقعة في مثل هذه الموارد التي يراد فيها إقامة الحجة، والتأثير على العزائم التي عقدت على ارتكاب جريمة هائلة كهذه الجريمة.. مع العلم بأن مفردات الاحتجاجات كانت متداولة، ومعروفة للجميع..

فالكل يعلم موقع الحسين من رسول الله، وأنه سيد شباب أهل الجنة، وأن معه حرمة وأطفاله، وأهل بيته، وبعض الأصحاب، وأن الماء منع عنه وعنهم.. وأن أهل الكوفة هم الذين استغاثوا به، فلباهم، فانقلبوا عليه، وحاصروه، ورفضوا إفساح المجال له ليرجع إلى موضع أمنه، وأنهم يصرون على سفك دمه، إلى آخر ما ذكر في

(١) راجع: الفتوح لابن أعثم ج ٥ ص ١٠٠.

الاحتجاجات التي احتج بها الحسين «عليه السلام» وأصحابه على جيش بني أمية، فتكرر هذه المضامين، والمواظب المناسبة لها على ألسنة المحتجين، والساعين إلى درء الخطر الداهم، أمر طبيعي، ولا محذور فيه.

أميرك أبي ذلك:

ادعى ابن سعد: أن الأمر لو كان إليه لقبل من الحسين ما عرضه..

وهذا كلام باطل، لما يلي:

١ - لو كان ابن سعد صادقاً فيما يقول، لما أقسم على أنه مصمم على قتال الحسين «عليه السلام»، قتالاً أيسره أن تسقط الرؤوس، وتطيح الأيدي. فإن هذا الكلام يدل على أنه يكاد ينفجر غيظاً وحقداً على الإمام.

٢ - إن حجة ابن سعد داحضة، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فإذا لم يكن الأمر إليه، فلماذا يجعل نفسه أداة بيد الجبارين، ويقتل ذرية سيد الأنبياء المرسلين؟!

ولو كان يطاع المخلوق في مثل هذا لشمل الأمر حتى الأنبياء، ولقتل ابن سعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لو أمره مخلوق جبار بذلك، كيزيد، أو عبيد الله بن زياد.

٣ - إذا كان للأمير أن يأبى، وأن يرضى، فلماذا لا يكون من حق الناس وابن سعد منهم أن يأبوا طاعته في معصية الله، وأن يرضوا

بها، إن كانت في طاعته سبحانه؟!!

قرة بن قيس يكذب:

وقد ادّعى قرة بن قيس: أن الحر لو أخبره بعزمه على الالتحاق بالحسين «عليه السلام» لخرج معه إليه..

وقد قلنا فيما سبق:

إن قرة كاذب فيما يدّعيه، فقد كان الحسين «عليه السلام» بالقرب منه وأمام ناظره، فلماذا لم يهزم فرسه، ليثور به نحو الحسين «عليه السلام»، فيصير إليه في لحظات؟! كما فعل الحر الرياحي «رحمه الله»، فإنه لم يكن بحاجة إلى مرافقة الحر ولا إلى غيره. ولا يريد أن يسافر سراً بعيداً، يحتاج فيه إلى الرفيق في الطريق.

ولو لم يجرؤ على ذلك، فقد كان بإمكانه أن يعتزل الحرب، ويخفي نفسه عن الأنظار إلى أن تتجلي الأمور، وتهدأ الأحوال.

على أن قرة بن قيس قد انتهت به الأمور إلى أن بعثه مسعود بن عمرو الأزدي على رأس مئة من الأزد لحماية عبيد الله بن زياد في مسيره إلى الشام، بعد أن طرده أهل البصرة منها^(١).

ويبدو لنا: أن الحامل لقرة على هذا القول هو الحسد للحر، الذي

(١) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٥٢١ و ٥٢٢ و راجع ص ٥٢٥ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٤٠٢ و تاريخ مدينة دمشق ج ٤٩ ص ٣١٠ والكامل في التاريخ ج ٤ ص ١٣٩ و ١٤٠.

أقدم على أمر عظيم، لا يجروء عليه فحول الرجال، فرغب قرة هنا بالمباهاة بما لا حقيقة له، فهو قد رأى هذا الموقف الرائد، والشجاعة الفائقة من الحر، فادعى أنه قادر على مضاهاته في موقفه هذا، فلا ميزة للحر فيه عليه.. غير أن الوقائع - كما قلنا - قد أظهرت كذب قرة فيما زعم، وقد قال الشاعر:

كُلٌّ مَنْ يَدَّعِي بِمَا لَيْسَ فِيهِ كَذَّبَتْهُ شَوَاهِدُ الْاِمْتِحَانِ

أخير نفسي بين الجنة والنار:

وتقدم: أن الحر حين واجه هذا الموقف الصعب أخذته الرعدة، أو الأفكل، أو العرواء. فخير نفسه بين الجنة والنار ثم اختار الجنة. واقسم أنه لا يختار على الجنة شيئاً، ولو قطع وحرق، والتحريق هو الحرق بتمهل وأناة.

ونقول:

لاحظ ما يلي:

١ - إن الحر بن يزيد الرياحي أمثلة رائعة ومهمة جداً، وأسوة، وقدوة لكل إنسان سوي، ولكل مؤمن تقي يعيش أجواء الغربة في محيطه الغارق بالمآثم، والمتخم بالمظالم، ويريد هذا المؤمن أن يحفظ إيمانه، ويعصم نفسه في ذلك الجو الضاغط، الذي ينيخ في ساحات حركته بكلكله الحافل بالمغريات والأهواء، والشهوات، وأنواع العصبيات.

وربما بلغ ثقل هذه الكلال كل حداً يجعل بعض الناس يتوهمون أن الانحراف بها، والانحراف معها أصبح قدراً لا مفر منه، ولا محيص عنه.

غير أن الحقيقة هي: أن للمحيط أثراً في الإغراء والإغواء، ولكن تأثيره لا يتعدى حدود التهيئة والإعداد، فهو دور اقتضائي إعدادي، كمن يشم روائح الطعام، فيتهاى ويشتهي، وليس له دور العلية والجبرية، حيث لا تنفك العلة عن معلولها.

٢ - إذا نظرنا إلى واقع الحر الرياحي، فإننا نجد: أنه قد عاش في مثل هذه البيئات السيئة، الغارقة والمستغرقة في حب الدنيا، وطلب ملذاتها بأي ثمن، من حلال وحرام، بل إن من كان الحر يتعامل معهم هم من الأشرار والطواغيت والفجار، ومن أعلام الضلال والباطل من أمثال شمر بن ذي الجوشن، وعمر بن سعد، وحرملة، وعبيد الله بن زياد، وأضرابهم..

كما أن هذه البيئة التي يعيش فيها لم تكن تحجر عليه، بل كانت تنيله ما يريد، وتعهده بالمزيد ما دام في خدمتها، ويسعى في أغراضها. والحر قائد مبجل، مطاع، مسموع الكلمة عند أسياده، وهو رجل باسل شجاع، يقول له المهاجر بن أوس: لو قيل لي: من أشجع أهل الكوفة رجلاً ما عدوتك.

وهذا الإطراء، وهذه المكانة التي يرى الحر نفسه فيها تشده إلى هذا المحيط، وتحببه له، وتأنس نفسه فيه.

كما أن الأبطال والشجعان يكونون في العادة، من أهل الإباء والعزة، الأمر الذي قد يبلغ لدى البعض منهم حد العنجهية والتكبر ولم يكن الحر من هؤلاء.

بل كان على درجة كبيرة من الانضباط والتوازن، كما أظهرته معاملته للإمام الحسين «عليه السلام» في الطريق.

وهو سيد مطاع في قومه، وهو وجيه عند السلطان. وربما كان يطمع في وجاهة أعظم، ويرغب في ولايات ومناصب، وامتيازات ومراتب أهم مما هو فيه..

٣ - لم يكن الحر قد عاش مع الحسين، ولا نشأ في بيئته، ولا تلمس آفاق علمه وفضله، وتقواه، وأخلاقه، ولا عرف شيئاً عن مزاياه الروحية، والأخلاقية، ودرايته، ولا عاين طرفاً من سياساته، ولا اطلع على القيم التي يؤمن بها ويعيشها «عليه السلام» في سيرته ومواقفه ولا تلذذ بممارسة الفضائل، ولا ذاق طعمها في ظل توجيهه ورعايته.

٤ - لو أراد الحر أن يعيش في بيئة الحسين «عليه السلام»، فلعله كان سيشعر أنه محاصر بقيود وحدود تضبط حركته، وتنظمها في خط السلامة والاستقامة.. وسيجد: أن نفسه الأمارة تدعوه إلى العودة إلى أجواء الانفلات، والبحث عن الملذات والشهوات، فإن كان لا يستسيغ منها ما ينقص قدره، ويخلّ بمكانته، ولا يليق به، فهناك شهوات يكون سوؤها مخفياً عن أنظار كثير من العامة، كشهوة جمع الأموال، والوجاهة والزلفى عند السلطان، وشهوة إظهار البطولة، والشجاعة،

وشهوة الأمر والنهي، وصنع الانتصارات والأمجاد الدنيوية، والتلهي والتباهي بالكثرات.. بالإضافة إلى شهوة تسنم المناصب، وظهور المكانة والعظمة والسؤدد وغير ذلك..

٥ - قلنا: إن دعوة الحسين «عليه السلام» تنطلق من المبادئ والقيم والأخلاق الكريمة، وتلتزم بها، وتوجب التحلي بالكمالات والصفات الفاضلة، والتزام العمل بما يرضي الله، واعتماد أحكام الشريعة نهجاً، وطريقة وسلوكاً، وإن احتاج الأمر إلى التضحية في سبيلها، فعلى الإنسان المؤمن أن يبادر إلى ذلك.

ولكن دعوة أهل الدنيا ما هي إلا دعوة للملذات، والشهوات، وإلى حياة اللهو، وانعدام المسؤولية، ولا يرون أمامهم أية قيود أو حدود، إلا حدود العجز، والصد من قبل الأقوى شوكة، والأشد بغياً، وظلماً وعتواً..

القرار الصعب:

وقد وجد الحر بن يزيد الرياحي نفسه في كربلاء أمام خيارين، لا ثالث لهما، وقد لخصهما «رحمه الله» بقوله: «إني - والله - أخير نفسي بين الجنة والنار. ووالله، لا أختار على الجنة شيئاً، ولو قطعت وحرقت».

وقد اتخذ قراره هذا «رحمه الله» في ظروف ضاغطة ومريرة. بل هي في غاية المرارة. إنها لحظات حساسة وقاسية، بل في منتهى الحساسية والقسوة، وذلك بملاحظة ما يلي:

أولاً: هناك أمور ومؤثرات كثيرة كانت تشدُّ الحر «رحمه الله» ليخلد إلى الأرض، واضعة كل ثقلها في تصوراته، وآماله، وخططه، وأحلامه، ونظراته إلى المستقبل.

وكانت هناك قيود وأغلال كثيرة، لا يمكنه اتخاذ القرار الصائب، إلا بعد أن يتحرر منها، ولأنها كانت قيوداً وأغلالاً من النوع الثقيل، والثقل جداً، ولأن أفضل الأعمال أحمرها وأشدّها، ولأنه لا يقدر على تحطيمها إلا الرجال الرجال في وعيهم، وصبرهم، وحزمهم، وقوة إرادتهم، ولأن من يفعل ذلك سيكون مستحقاً لمنازل الكرامة عند الله تعالى، مع الشهداء، والصديقين، وفي كنف الأولياء والأنبياء، ومع الصالحين، «صلوات الله عليهم أجمعين».

لذلك كله: إن الحر قد بادر إلى تجاوز تلك القيود، وحطم تلك الأغلال، واتخذ قراره القوي والحازم.

ونستطيع أن نذكر نموذجاً لهذه الأمور التي تشد الإنسان إلى الأرض، وتقيد حركته، ما يلي:

ألف: إن الحر «رحمه الله» الذي جعجع بالحسين «عليه السلام»، كما بيناه في فصول هذا الكتاب كان في قيادة جيش ابن زياد وابن سعد إلى آخر لحظة. وقد جعل ابن سعد يوم عاشوراء الحر الرياحي على ربع تميم وهمدان^(١).

(١) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٢٢ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٢٠ و

وكانت للحر «رحمه الله» الكلمة النافذة، والموقع المرموق في المحيط الذي يعيش فيه، وله المنزلة والوجاهة عند السلطان، ويقر له الأبطال، والقادة بالشجاعة التي قل نظيرها، حتى ليقال إنه أشجع أهل الكوفة، التي كانت تحتضن عشرات الألوف من الفرسان، وفيهم الألوف من الأبطال، والشجعان..

وهو وجيه أيضاً في قومه، وفي بلده.. وربما كان من أهل اليسار أيضاً.. فإن كل ذلك يجعله يألف المحيط الذي يعيش فيه، ولا يفكر في الخروج منه. إلى محيط لا تاريخ له فيه، ولا مآثر ومفاخر، بل له فيه ما يخجل منه، وما هو نادم عليه.

ب: إن للإنسان علاقة بالزوجة والأبناء، وألفة وأنساً ومحبة للأهل والعشيرة والأصحاب، والأحباب، وارتباطاً بهم، ورغبة في معاونتهم، وفي البقاء معهم، وإلى جانبهم.

ج: والإنسان يحب البقاء، ويكره الموت، وفراق الأحبة، حتى لو لم يصاحب هذا الموت أي ألم، أو تعب أو نصب، فكيف إذا كان موتاً بحد السيوف، وطعن الرماح، وفيه قطع الأيدي، وشدخ الرؤوس، وما إلى ذلك؟! فإن كراهة الإنسان للموت بهذه الطريقة ستكون أشد.

٣٢١ والكامل في التاريخ ج ٤ ص ٦٠ وأعيان الشيعة ج ٤ ص ٦١٢ و
٦١٣ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص ١١٣ و ١٧٧ ونهاية الأرب ج ٢٠
ص ٤٣٨ وإبصار العين ص ٦٠ و ٢٠٧ ولواعج الأشجان ص ١٢٢.

وكيف إذا كان هذا الموت باباً إلى عالم لا يعلم موقعه ومصيره فيه. بل هو يعلم أنه لم يمهد له شيئاً نافعاً، ما يكون للبلاء عنه دافعاً.

وأشد من ذلك عليه: أن يكون قد مهد ما يوجب له البلاء والشقاء، والعذاب الأليم والدائم. من خلال ما فعله بسيد شباب أهل الجنة، امتثالاً لأمر جبار آثم حرضه عليه، وزين له عدواته، والبطش به؟!!

د: كما أن الحر هو الرجل الذائع الصيت في الشجاعة، والعزة والإباء، وهو قائد ناجح، يأنف لنفسه أي شيء يضر بسمعته هذه، ويأبى أشد الإباء، أن يلحقه العار بين الأقران، والشجعان، ولاسيما إذا كان سيختار لنفسه مية تنكيل، وانتقام، وتحقير، وتنفيس عن حقد بارتكاب أعمال شنيعة، مثل قطع الأطراف، وقطع الرؤوس، والوطء بحوافر الخيل، وسبي النساء، وغير ذلك.

هـ: كما أن مما يزيد في الألم والأسى: أن ينتشر هذا الأمر بين العشائر والقبائل في طول البلاد وعرضها، وأن يتندروا به على طريقة الملامة، والإتهام، أو على نحو التشفي والشماتة.

و: ثم يتضاعف هذا الألم، وتزيد الغصة إذا كان يعرف أنه سوف يلاحق باتهامات وافتراءات قد يكون أهونها رمية بالسفه، واختلاط العقل، وسقم التفكير، وسوء التقدير، وبوار التدبير.

ز: هذا عدا ما يتوقعه من مصائب وبلايا، وكوارث ورزايا تحقيق بأهله وابنائهم، وعشيرته وأحبابه، وأصدقائه، فقد تهدم بيوتهم، وتصادر ممتلكاتهم، وقد يقتل البعض منهم، ويزج بعض آخر في

السجون، ويتعرض فريق ثالث للنفي، أو للتشريد في البلاد خوفاً من انتقام أعداء الله منهم.

ح: بل ربما كان ما يتوقعه من مصائب بعد موته أشد عليه من الموت والقتل، وسائر ما يجري عليه من مصائب ورزايا. فإن سبي حرمه، والتنكيل بأبنائه، والسطو على كل ما يملكون وتجويعهم، وإخافتهم وتشريدهم في البلاد، وغير ذلك يراه أشد عليه من أية مصيبة أخرى تنزل عليه، ولو كانت ضرب السيوف، و ورود الحتوف.

وقد رأينا في كلمات الأئمة «عليهم السلام» ما يدل على عظيم الألم الذي أوجبه سبي زينب، وسائر الحرم في كربلاء. وربما تأتي الإشارة إليه في موقعه إن شاء الله تعالى.

ط: إن اللحظة التي وجد الحر نفسه فيها أمام خيارين هي لحظة التحدي الصارم، ولحظة الهياج في المشاعر، والتوتر في الأعصاب. وهي لحظة يتدنى فيها مستوى التفكير إلى أحط المراتب، بسبب سيطرة العقل الجماعي على الإنسان، حيث إن الهياج الجماهيري يوجب انحدار مستوى التفكير لدى تلك الجماهير. فتفكر الجماهير كما يفكر أقل أفرادها..

ي: وفي لحظة التحدي والهياج هذه وبين تلك الجماهير الغفيرة، التي تعد بعشرات الألوف يغيب الإنسان عن أجواء الاستجابة لمنطق العقل، ولقضاء الوجدان، وتقوى لديه حالة العناد والتصلب في الموقف، ويبتعد عن الإنصاف، ويصعب عليه الاعتراف بالحق لغيره، ويتضاءل

فيها دور الفكر والعقل ويتجه نحو القرارات الإنفعالية والعاطفية، وفرض الرأي، وحماية الذات، وإثبات الوجود، ولو بقوة السيف.

ك: كما أن هذا الجو يسوق الإنسان إلى محاولة إظهار الشجاعة والبطولة، وكسب الأوسمة ولو كانت موهومة.

ويضعف تأثير النفس اللوامة، ليصبح أسير نفسه الأمانة، التي تطلب منه المزيد، وتطمعه بالطارف والتلبد. فيوغل في متاهات الانفعالات، ويته في حنايا الظلمات، والجهالات، والشبهات والضلالات.

ل: لقد كان خيار الحر بن يزيد الرياحي دائراً بين الموت والحياة، وحيث يتنازع حب الدنيا، وحب البقاء فيها، ليتمتع بما فيها من مغريات، وملذات، وزبارج، وبهارج، وأموال، وما يراه فيها من أمجاد، يتوارثها عنه الأبناء والأحفاد. وما تركه لهم من مآثر ومفاخر، وما يتوقعه لنفسه من المزيد من المناصب، والعطايا، والهبات والهدايا..

وإذ بالحر يختار الآخرة على الدنيا، والموت على هذه الحياة، ويختار مصافحة السيوف، وملاقات الحتوف على الأوسمة والجوائز، والعطايا، والمناصب والولايات التي يتوقعها قادة ذلك الجيش، من أسيادهم بعد ارتكاب جريمتهم في حق أهل بيت نبيهم..

مع أن أمر الآخرة كان بالنسبة إليه غير محسوس ولا ملموس، بل هو يشبه حالة التخيل والافتراض، فإنه «رحمه الله» لم ير الآخرة،

ولم يجرب من لذائذها شيئاً، بل هو قد سمع بها، وغاية ما في الأمر أن يقيس لذاتها على ما مارسه أو عاينه وأحس به في هذه الدنيا. فهو يرضى بكل هذه المصائب والبلايا من أجل أمر لم يره، ولم يجربه إلا أنه سمع به وكذلك الحال بالنسبة لخوفه من نار الآخرة..

فكأنه يقول حين يختار الجنة والآخرة: لا أريد كل ملذات الدنيا، وأموالها وكثراتها وإنما أريد أن تأكل السيوف من لحمي، وأن تنغرس الرماح في جسمي، ولا مانع لدي من سبي حريمي ومن التنكيل بأهلي وعشيرتي، وإخواني وأبنائي، وأن يقتلوا، أو يشردوا، وأن يسجنوا، وتهدم بيوتهم، وتصادر أموالهم. كل ذلك من أجل الجنة، والفوز برضى الله تعالى.

إنه يتخذ قراره هذا في لحظات إنفعالية حرجة، تفرض عليه عكس هذا القرار.

م: وهنا تتجلى عظمة هذا الرجل، فإن لم يكثرث بكل تلك المؤثرات، وحكم عقله في مصيره، فأيقظ فطرته ووجدانه، واستحضرهما إلى ساحة الصراع ليشاركاه في حلو العيش ومره، وفي آلامه وأحلامه.

وبهذا تعرف أقدار الرجال، وتتجلى مكانتهم، وقدراتهم النفسية، والعقلية، والفطرية، لتكون هي التي تتحكم بمشاعره، والمهيمنة على عواطفه، ولو كانت في أقصى درجات التوتر والهيجان.

ن: ولأجل تحرر الحر من نير العبودية للشهوات ومن العبودية

للدنيا، وللأنا، ومن العبودية للأشخاص، ومن العبودية للعصبيات العشائرية، ومن العبودية لكل ما يشده إلى الأرض. إستحق أن يمنحه الحسين «عليه السلام» أعظم وأشرف وسام، وهو وسام الحرية، فقال له: «أنت حر كما سمتك أمك، حر في الدنيا، وسعيد في الآخرة»^(١).

وبعد أن كان من أعوان الظالمين، وفي مصاف أعداء الحق والدين، كشف الله عن بصيرته، وصار ولياً للمؤمنين، ومدافعاً وناصرأ، ومجاهداً ومضحياً بنفسه في سبيل الحق والدين، وشريعة سيد المرسلين محمد وآله الطاهرين..

جعجت بك في هذا المكان:

وتقدم: أن الحر حين جاء إلى الحسين «عليه السلام» تائباً، قال للإمام «عليه السلام»: أنا الذي جعجت بك في هذا المكان. وهذا شاهد على أن الجعجة ليست هي مطلق التضيق، بل هي التضيق في المكان.

وقد صرح الحر: بأنه قد أساء للحسين «عليه السلام» في أمرين:

(١) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٣٢٥ والملهوف ص ١٠٤ و (ط سنة ١٤١٧هـ) ص ٦٢ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٤ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ١١ وكتاب الفتوح لابن أعثم ج ٥ ص ١٠٢ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٢٥٧ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٦٠٤ وج ٤ ص ٦١٤ ومقتل الحسين «عليه السلام» لأبي مخنف الأزدي ص ١٢٢.

أولهما: أنه حبسه عن الرجوع. كما قال الحر «رحمه الله»: أنا الذي حبستك عن الرجوع. وهذا شاهد آخر على أن الحسين «عليه السلام» لم يأت إلى العراق محارباً، بل جاء مغيثاً لمن استغاث به، لمساعدتهم على الصلاح والإصلاح، وليس بالضرورة أن يحصل ذلك بالحرب والقتال، إلا إن كان هناك عدد مهاجم، لا بد من التصدي له، ولا محيص عن رده..

ثانيهما: أنه قد ضيق عليه في المكان، وهذا إنما حصل بعد وصول الإمام إلى كربلاء، فضيق عليه الحر حتى اضطره للنزول فيها!!

ما اسمك؟!:

وبعد لحوق الحر «رحمه الله» تعالى بالحسين «عليه السلام»، يوم العاشر من المحرم، وأخبره: بأنه هو الذي حبسه عن الرجوع، وبأنه هو الذي جعجع به في كربلاء، وأنه قد جاءه تائباً، ويريد أن يستشهد بين يديه، فهل له من توبة؟!

قال الحسين «عليه السلام» للحر: ما اسمك؟!

فلماذا سألته عن اسمه، مع أنه قد أخبره بأنه هو الذي حبسه، وجعجع به؟! ومع أنه كان حين يسأله تحصل له معه حوارات، وأسئلة وأجوبة، وكان الحر يصلي في جماعته «عليه السلام» وغير ذلك.

ويجاب:

بأنه «عليه السلام» يريد بسؤاله هذا: أن يعلم ذلك الجيش كله بتوبة

الحر «رحمه الله»، لتكون هذه التوبة حجة عليهم..
ولعل الكثيرين في ذلك الجيش لا يعرفون الحر، أو لا يعرفون أنه
هو الذي حبسه عن الرجوع، وجعجع به في كربلاء.
كما أن في سؤاله «عليه السلام» إياه عن اسمه، وتصريحه به
توطئة لمنحه ذلك الوسام الشريف على لسان الإمام «عليه السلام»:
أنت حر كما سمتك أمك، حر في الدنيا وسعيد في الآخرة.
أو قال: أنت حر إن شاء الله في الدنيا والآخرة.
وفي هذا تعريض واضح بأن سائر ذلك الجيش الذي يعد بعشرات
الألوف كانوا عبيداً للدنيا، ولشهواتهم وأهوائهم، وللمال، والسلطان،
والجاه، والخ..

إنزل!!!:

وحين أعلن الحر «رحمه الله» توبته، قال له الإمام الحسين:
إنزل.

فيحتمل أن يكون مراده «عليه السلام» بنزوله: مجرد الانضمام إلى
صفوفهم، وقد أصبح منهم، ومقامه فيهم، ولم تكن الحرب قد بدأت بعد،
ولا أذن الحسين لأصحابه بالقتال..

ومن البعيد جداً: أن يكون مراده «عليه السلام» ما ذكره البعض،
من أنه يريد بقوله «إنزل»: أن يترك فرسه، ويحارب راجلاً.

فإنه «عليه السلام» لم يطلب من أحد من أصحابه مثل هذا الأمر،
وما الفائدة من أن يترك أي منهم فرسه، ليحارب راجلاً، مع أنه قد كان

في أصحابه إثنان وثلاثون فارساً وأربعون رجلاً، كما في النصوص التي تقدمت؟!!

فلا يعقل أن يغيب هذا الأمر عن بال الإمام المطهر المعصوم.

ولكن اللافت هنا: أن الحر قد فهم من قوله «عليه السلام»: إنزل. نفس هذا الاحتمال الثاني البعيد، وهو ترك القتال على الفرس، ولذا قال «رحمه الله»: أنا لك فارساً خير مني رجلاً الخ..

إلا أن يكون المراد: أن الحر قد فهم من كلمة «إنزل»: أنه «عليه السلام» يريد أن يجعله في الرجالة، لأن الحاجة فيهم إلى أمثال الحر كانت أظهر. ولكن الحر كان يريد أن يفوز بالشهادة قبل كل أحد ليكفر بذلك عن ذنبه الذي اقترفه في حقه «عليه السلام».

هذا الأمير، فكلمه:

وتقدم: أن الحر لما كلم ذلك الجيش، وعرض عليهم أن يقبلوا بما عرضه عليهم الإمام الحسين «عليه السلام». قالوا: هذا الأمير عمر بن سعد فكلمه.

وهذا مظهر من مظاهر العبودية بمعناها الأسوأ، والأشر والأضر، فإنهم هم الذين أخذوا القرار بمكاتبة الحسين «عليه السلام»، والاستغاثة به، كما أنهم هم الذين تخلوا طوعاً عن قرارهم، وعقدوا العزم على طاعة أسيادهم، وقرروا محاربته، وتسليمه إلى أعدائه، أو قتله، بل لو أن أسيادهم أمروهم بقتل الأنبياء، وهدم الكعبة والكفر بالله العظيم لما توانوا في ذلك.

فما معنى أن يمتنعوا هنا عن اتخاذ القرار بقبول ما عرضه الحسين «عليه السلام» عليهم، وأوكلوا الأمر إلى أعدائه «عليه السلام»؟! أليس هذا هو منتهى الذل والهوان. وألا يدل على اختلال عظيم في شخصيتهم لو كانوا يعقلون؟!

كلمات الحر مع الظالمين:

وإذا راجعنا كلمات الحر مع جيش البغي والعدوان، فإننا نلاحظ مدى الانسجام والتوافق، والتشابه بينه وبين ما كان يقوله الإمام الحسين «عليه السلام» وأصحابه في احتجاجاتهم ومناشداتهم، ومحاوراتهم مع أولئك العتاة الظالمين.

ومن ذلك: حديث الحر عن محاصرتهم الحسين «عليه السلام»، وقطع الماء عنه، حتى عطش النساء والأطفال، ومن ذلك دعوتهم إياه، ثم انقلابهم عليه، وقوله «رحمه الله» لهم: «فمنعتموه التوجه في بلاد الله العريضة، حتى يأمن، ويأمن أهل بيته».

فإنه «عليه السلام» كان قد عرض عليهم ذلك، فأبوه عليه. وهذا يدل على أنهم هم الذين يلاحقونه ليقتلوه.

أما هو فلم يأت إلى تلك البلاد مقاتلاً..

هل قتل الحر رجلين فقط؟!:

جاء في رواية هلال بن يساف المتقدمة: أن الحر «رحمه الله» قتل من جيش ابن سعد رجلين، ثم قتل.

غير أن هذا الكلام غير دقيق، وقد صرحت رواية سبط ابن الجوزي

المتقدمة: بأنه قتل جماعة^(١).

وفي رواية الصدوق عن الإمام الصادق «عليه السلام» عن آبائه: أنه قتل ثمانية عشر رجلاً^(٢).

وفي نص آخر: أنه قتل أربعين فارساً ورجالاً^(٣).

وعند ابن شهر آشوب: قتل نيفاً وأربعين رجلاً^(٤). والنييف من واحد إلى ثلاثة.

وهل أشجع أهل الكوفة كان عاجزاً وضعيفاً إلى هذا الحد؟!

(١) تذكرة الخواص ص ٢٥١ و (تحقيق الدكتور عامر النجار سنة ١٤٢٩هـ) ص ٥٢٩ والملهوف ص ١٥٩.

(٢) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣١٩ والأُمالي للصدوق ص ٢٢٣ وروضة الواعظين ص ٢٠٥ و (منشورات الشريف الرضي - قم) ص ١٨٦ وبحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣١٩ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ١٦٨.

(٣) مقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٩ و ١٠ وموسوعة الإمام الحسين «عليه السلام» ج ٤ ص ١٩٧ عنه، وعن الفتوح لابن أعمش ج ٥ ص ١٠٥ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٤ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٢٥٧ ولواعج الأشجان ص ١٤٦.

(٤) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ١٠٠ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣ ص ٢٥٠ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٤ و ١٥ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٢٥٨ ولواعج الأشجان ص ١٤٦ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٦٠٤ وج ٤ ص ٦١٤.

الحر للحسين X: لقد كاتبناك:

وفي النص المتقدم عن ابن الجوزي: أنه لما سأل الحسين «عليه السلام» قادة من جيش ابن سعد، وقال: ألم تكتبوا إلي؟!!

قالوا: ما ندري ما تقول.

فقال الحر: بلى والله لقد كاتبناك.

مع أن الحر قد قال للحسين «عليه السلام» حين لقيه في الطريق: إنه ليس ممن كاتبه، فكيف نوفق بين القولين؟!!

ويجاب:

بأن الحر إنما يتكلم هنا بلسان أهل الكوفة. وبلسان القادة الذين ناداهم «عليه السلام» بأسمائهم، فزعموا أنهم لا يدرون ما يقول. فإن الحر كان يعرف أن هؤلاء قد كتبوا إلى الحسين «عليه السلام» فعلاً، لأن الحسين «عليه السلام» كان قد أطلع الحر وأصحابه على الكتب التي جاءت من أهل الكوفة، وقلبوها، وعرفوا أسماء مرسلها. وذلك حين التقى به، قبل الوصول إلى كربلاء..

الباب الثاني:

القتال يوم العاشر..

الفصل الأول:

حتى ظهر يوم العاشر.. هكذا بدأ القتال..

إشهدوا لي عند الأمير:

ونادى عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ: يَا دُوَيْدُ، أَدْنِ رَايَتَكَ، فَأَدْنَاهَا، ثُمَّ وَضَعَ سَهْمَهُ فِي كَبِدِ قَوْسِهِ، ثُمَّ رَمَى، وَقَالَ: إِشْهَدُوا أَنِّي أَوَّلُ مَنْ رَمَى! ثُمَّ ارْتَمَى النَّاسُ وَتَبَارَزُوا^(١).

وعند الخورازمي: فَرَمَى أَصْحَابُهُ كُلُّهُمْ بِأَجْمَعِهِمْ فِي أَثَرِهِ رَشْقَةً وَاحِدَةً، فَمَا بَقِيَ مِنْ أَصْحَابِ الْحُسَيْنِ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» أَحَدٌ إِلَّا أَصَابَهُ مِنْ رَمِيَّتِهِمْ سَهْمٌ.

فَلَمَّا رَمَوْهُمْ هَذِهِ الرَّمِيَّةَ قَلَّ أَصْحَابُ الْحُسَيْنِ «عَلَيْهِ السَّلَامُ»، فَبَقِيَ فِي هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ يُذَكَّرُونَ فِي الْمُبَارَزَةِ، وَقَدْ قُتِلَ مِنْهُمْ مَا يُنِيفُ عَلَى

(١) موسوعة الإمام الحسين ج ٤ ص ١٢١ عن المصادر التالية: الإرشاد ج ٢ ص ١٠١ وإعلام الوري ج ١ ص ٤٦١ وليس فيه صدره إلى «قوسه»، وأنساب الأشراف ج ٣ ص ٣٩٨ و (طدار التعارف) ج ٣ ص ١٩٠ وتاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٢٩ عن حميد بن مسلم، والكامل في التاريخ ج ٤ ص ٦٥ نحوه. وراجع: بحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٢ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٢٥٥ والبداية والنهاية (طدار إحياء التراث) ج ٨ ص ١٩٥ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٦٠٣.

خَمْسِينَ رَجُلًا^(١).

وقال ابن أعثم:

تَقَدَّمَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ حَتَّى وَقَفَ قُبَالَةَ الْحُسَيْنِ «عليه السلام» عَلَى فَرَسٍ لَهُ، فَاسْتَخْرَجَ سَهْمًا، فَوَضَعَهُ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ! اشْهَدُوا لِي عِنْدَ الْأَمِيرِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ: أَنِّي أَوَّلُ مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ إِلَى عَسْكَرِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ.

قَالَ: فَوَقَعَ السَّهْمُ بَيْنَ يَدَيِ الْحُسَيْنِ «عليه السلام»، فَتَنَحَّى عَنْهُ رَاجِعًا إِلَى وَرَائِهِ، وَأَقْبَلَتِ السَّهْمُ كَأَنَّهَا الْمَطَرُ.

فَقَالَ الْحُسَيْنُ «عليه السلام» لِأَصْحَابِهِ: أَيُّهَا النَّاسُ! هَذِهِ رُسُلُ الْقَوْمِ إِلَيْكُمْ، فَقُومُوا إِلَى الْمَوْتِ الَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ.

قَالَ: فَوُتِّبَ أَصْحَابُ الْحُسَيْنِ «عليه السلام»، فَخَرَجُوا مِنْ بَابِ خَنْدَقِهِمْ، وَهُمْ يَوْمَئِذٍ اثْنَانِ وَثَلَاثُونَ فَارِسًا وَأَرْبَعُونَ رَاجِلًا، وَالْقَوْمُ اثْنَانِ وَعِشْرُونَ أَلْفًا، لَا يَزِيدُونَ وَلَا يَنْقُصُونَ.

فَحَمَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَاقْتَتَلُوا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ، حَمَلَةً وَاحِدَةً، [في الملهوف: حملة حملة] حَتَّى قُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ الْحُسَيْنِ «عليه السلام» نِيفٌ وَخَمْسُونَ رَجُلًا.

[في الملهوف: حتى قتل من أصحاب الحسين جماعة]^(٢).

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٨ وتسليمة المجالس ج ٢ ص ٢٧٨.

(٢) الفتوح لابن أعثم ج ٥ ص ١٠٠ و ١٠١ وموسوعة الإمام الحسين ج ٤

قال: فعندها ضرب الحسين «عليه السلام» بيده إلى لحيته، وجعل يقول: اَشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْيَهُودِ إِذْ جَعَلُوا لَهُ وَلَدًا، وَاشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى النَّصَارَى إِذْ جَعَلُوهُ ثَالِثَ ثَلَاثَةٍ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ عَلَى الْمَجُوسِ إِذْ عَبَدُوا الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دُونَهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ عَلَى قَوْمِ اتَّفَقَتْ كَلِمَتُهُمْ عَلَى قَتْلِ ابْنِ بَنْتِ نَبِيِّهِمْ.

أما والله! لا أُجِيبُهُمْ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا يُرِيدُونَ حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى وَأَنَا مُخَضَّبٌ بِدَمِي^(١).

أضاف الخوارزمي قوله: وقال في آخره: أما من مُغِيثٍ يُغِيثُنَا؟!

أما من ذابَّ يَدْبُ عَنْ حُرْمِ رَسُولِ اللَّهِ؟!^(٢).

وعند ابن نما: أنه «عليه السلام» لما قال لأصحابه: قوموا إلى الموت الذي لا بُدَّ مِنْهُ، «نهضوا جميعاً والتقى العسكران، امتاز

ص ١٢٣ عنه، وقال: وراجع: مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ١٠٠ وكشف الغمة ج ٢ ص ٢٦١ و ٢٦٢ ومطالب السؤل ص ٧٦ ولخص هذا النص في الملهوف ص ١٥٨ و (نشر أنوار الهدى) ص ٦٠ وبحار الأنوار ج ٤ ص ١٢ وراجع: مقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٨ و ٩.

(١) الملهوف ص ١٥٨ و (نشر أنوار الهدى) ص ٦٠ ويقرب منه ما في مقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ١١ و ١٢ وراجع: ج ٤ ص ١٢ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٢٥٥ ولواعج الأشجان ص ١٣٦ ومثير الأحرار ص ٤٣ .

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ١٢.

الرجالة من الفرسان، واشتد الصراع، وخفي لإثارة العثير الشعاع،
والسمهرية ترعف نجيعاً، والمشرقية يسمع لها في الهام رقيعاً»^(١).

وقال ابن شهر آشوب عن أصحاب الحسين «عليه السلام»:
«ولم يكن لهم من السلاح إلا السيف والرمح»^(٢).

العثير: التراب.

والشعاع: ضوء الشمس.

والسمهرية: القناة الصلبة.

النجيع: من الدم ما يميل إلى السواد، أو دم الجوف.

المشرقية: يقال: سيف مشرفي: نسبة إلى مشارف الشام.

ونقول:

لاحظ الأمور التالية:

شعار القتال يوم العاشر:

حيث إن الحرب قد بدأت في اليوم العاشر على النحو الذي تقدم،
فمن المناسب أن نذكر هنا شعار الحسين «عليه السلام» في هذا
القتال، فعن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن أبي
نصر، عن معاوية بن عمار: عن أبي عبد الله «عليه السلام»:

(١) مثير الأحزان ص ٥٦ و (ط المكتبة الحيدرية) ص ٤١.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ١٠٧ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣ ص ٢٤٨.

شعارنا: يا محمد، يا محمد.
 وشعارنا يوم بدر: يا نصر الله اقترب، اقترب.
 وشعار المسلمين يوم أحد: يا نصر الله اقترب.
 ويوم بني النضير: يا روح القدس أرح.
 ويوم بني قينقاع: يا ربنا لا يغلبناك.
 ويوم الطائف: يا رضوان.
 وشعار يوم حنين: يا بني عبد الله، [يا بني عبد الله].
 ويوم الأحزاب: حم. لا يبصرون.
 ويوم بني قريظة: يا سلام أسلمهم.
 ويوم المريسيع - وهو يوم بني المصطلق -: ألا إلى الله الأمر.
 ويوم الحديبية: ألا لعنة الله على الظالمين.
 ويوم خيبر، يوم القموص: يا علي آتهم من عل.
 ويوم الفتح: نحن عباد الله حقاً حقاً.
 ويوم تبوك: يا أحد، يا صمد.
 ويوم بني الملوحة: أمت، أمت.
 ويوم صفين: يا نصر الله.
 وشعار الحسين «عليه السلام»: يا محمد.
 وشعارنا: يا محمد^(١).

(١) الكافي ج ٥ ص ٤٧ وبحار الأنوار ج ١٩ ص ١٦٣ وج ٣٣ ص ٤٥٣ وراجع:

وسند هذه الرواية صحيح.

وروى السكوني، عن أبي عبد الله «عليه السلام»: أنه قدم أناس من مزينة على النبي «صلى الله عليه وآله»، فقال: ما شعاركم؟ قالوا: حرام.

قال: بل شعاركم «حلال»^(١).

وروي: أن شعار المسلمين يوم بدر: يا منصور أمت.

وشعار يوم أحد للمهاجرين: يا بني عبد الله.

وللخزرج: يا بني عبد الرحمان.

وللأوس: يا بني عبد الله^(٢).

الجعفریات ص ٨٤ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج ١٥ ص ١٣٨ و (الإسلامية) ج ١١ ص ١٠٥ والوافي ج ١٥ ص ١١٧ ومرآة العقول ج ١٨ ص ٣٨٥ ومستدرك سفينة البحار ج ٥ ص ٤١٧.

(١) الكافي ج ٥ ص ٤٧ ودعائم الإسلام ج ١ ص ٣٧٠ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج ١٥ ص ١٣٨ و (الإسلامية) ج ١١ ص ١٠٦ ومستدرك الوسائل ج ١١ ص ١١٣ والنوادر للراوندي ص ١٧١ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج ١ ص ١٤٨ وبحار الأنوار ج ١٦ ص ١١١ وج ١٩ ص ١٦٤ وج ٩٧ ص ٣٥ ومرآة العقول ج ١٨ ص ٣٨٧ والجعفریات ص ٨٤ والوافي ج ١٥ ص ١١٨.

(٢) الكافي ج ٥ ص ٤٧ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٤٤ وج ٥ ص ٢٢٨ عن ابن هشام، و ٣٣١ وراجع ص ٣٢٠ عن الواقدي، والسيرة الحلبية ج ٣

ونقول:

لا بأس بالنظر إلى ما يلي:

أولاً: إن من الممكن أن يكون شعار المسلمين في الفترة الأولى من حرب بدر هو: يا منصور أمت، ثم لما ظهرت بواخر النصر، أطلقوا شعار، يا نصر الله اقترب.

ثانياً: ربما كان من جملة أهداف شعار: يا محمد، هو التوسل به «صلى الله عليه وآله» في مثل هذه المواقف الصعبة والحساسة.

ص ٨٥ و ١١١ وإمتاع الأسماع ج ٢ ص ١٥ و ج ١ ص ١٠٦ والمغازي للواقدي ج ١ ص ٧١ وغزوات الرسول وسراياه لابن سعد ص ١٤ وراجع: بحار الأنوار ج ١٩ ص ٣٣٥ و ١٦٤ و ج ٩٧ ص ٣٥ و ج ١٦ ص ١١١ و مرآة العقول ج ١٨ ص ٣٨٧ وراجع: الدرر لابن عبد البر ص ٢١٩ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٨٦٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٦٢ و ج ٢ ص ٤١٦ وراجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ١٠٢ والسيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ١١١ والجغريات ص ٨٤ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج ١٥ ص ١٣٨ و (الإسلامية) ج ١١ ص ١٠٦ والوافي ج ١٥ ص ١١٨ ومستدرك الوسائل ج ١١ ص ١١٣ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج ١ ص ١٤٨ وشرح السير الكبير ج ١ ص ٧٤ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ١٤ والثقات لابن حبان ج ٢ ص ٧٠ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ١٠٦ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٩١ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٣ ص ٣٣٥ و ج ٤ ص ٣٤٠ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٧١.

ثالثاً: الشعار في الحرب كلمة - أو كلمات يتعارف بها الأشخاص في الاشتباك مع العدو، ويميزون بها العدو من الصديق.. وهي أيضاً تحمل معاني تناسب أغراض مطلقها، وأحوالهم، ولأجل ذلك اختلفت مضامين الشعارات باختلاف الغزوات، كما أظهرته الراوية المطولة المتقدمة، التي نحن بصدد الحديث عنها، ويكون في مضمون الشعار تشجيع، وشحن لعزائم أصحابه، أو يكون فيه تهويل على العدو، وهدم وتقويض لعزيمته، وتضييق لآفاق السلامة في وجهه، وغير ذلك من أغراض.

أهداف شعار الإمام في كربلاء:

ويلاحظ هنا: أن شعار الحسين «عليه السلام» كما ذكرته رواية الإمام الصادق «عليه السلام» كان: يا محمد، وهو شعار الأئمة من أهل البيت «عليهم السلام»..

وربما كان من أهداف إطلاق هذا الشعار:

ألف: التذكير المستمر: بأن هدف الحسين «عليه السلام» من تقبل آثار ونتائج هذه الحرب التي تشن عليه، وإنعاش الأمل برعايته «صلى الله عليه وآله»، بالإضافة إلى نيل شفاعته، ومحبته ورضاه: امتياز الحق الذي جاء به محمد «صلى الله عليه وآله» عن الأضاليل والأباطيل، التي يلقيها أهل الريب والباطل، ونصرة الحق وأهله، وإحياء دين محمد «صلى الله عليه وآله».

ب: إفهام هؤلاء المجرمين بأنهم إنما يقتلون أقرب الناس إلى

محمد، وأخص الناس به، وهم أهله، وذريته، ويسبون نساءه، ويبيرون عترته. فإن الحر وغيره كان بين ذلك الجمع غافل، فهذا الشعار يوقظه من غفلته، ولعل بعضهم يكون ممن تتداركه رحمة من ربه، ويفعل كما فعل، ويتراجع عن غيه، ويتوب عن ذنبه. ولعل بعضاً آخر منهم تثور الشكوك في نفسه حول صوابية مشاركته في هذه الحرب، وتتضاءل رغبته في القتال.. فينصرف عن المشاركة على أقل تقدير.

ج: إن هذا الشعار يربط على قلوب أصحابه، ويزيد في وضوح الرؤية لديهم، باستحضارهم عظمة وقداسة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويقوي من عزيمتهم في الدفع عن دينه، ويعطيهم جرعة من الإقدام والبرسالة، لأن من كان على بينة من ربه وفي موقع رضاه، ويرجو شفاعته نبيه «صلى الله عليه وآله».. لا يبالي أوقع على الموت، أم وقع الموت عليه..

وبعدما تقدم نقول:

لاحظ الأمور التالية:

الحسين يتحى راجعاً:

تقدم قول ابن أعثم: إن السهم الذي أطلقه عمر بن سعد قد وقع بين يدي الحسين «عليه السلام»، فتنحى عنه راجعاً إلى ورائه.

ومن المعلوم: أنه ليس في تنحي الإمام الحسين «عليه السلام» راجعاً إلى ورائه عن ذلك السهم أية حزازة أو اشكال، فإن تنحيه

«عليه السلام» ما هو إلا ابتعاد إلى مسافة لا تصل إليها السهام، وليس هذا فراراً من الزحف، كما ربما يحاول بعض المرضى عقلياً، والموبوئين نفسياً أن يوهموا به بعض المغفلين، ولا عزوفاً عن التصدي للظالمين، بل هو مصداق لقوله تعالى: (إِنَّا مُتَحَرِّفَاتٌ لِّقِتَالٍ) (١).. فإن على المقاتل أن يتحرز من أن يناله عدوه بسوء، وأن يحتاط لنفسه ليتمكن من مواصلة جهاده، وتسديد ضربات إليه.

الخروج من باب الخندق:

وقول النص المتقدم عن أصحاب الحسين «عليه السلام»: فخرجوا من باب خندقهم. يدل على أن خندقاً آخر قد استحدثوه ليلة العاشر غير الخندق الذي كان خلف بيوتهم، فكان هناك خندق من ورائهم، والبيوت المتشابكة كانت في الجوانب، ثم كان - فيما يبدو - هناك خندق آخر قد استحدث في مقابل العدو، وكان له باب.

فخرج أصحاب الحسين «عليه السلام» من باب الخندق، وأصبحوا في ساحة القتال في مواجهة العدو مباشرة.. أي أن القتال قد جرى على مسافة من البيوت، وخارج دائرتها..

ومحاولات الأعداء الالتفاف لمهاجمة البيوت من الخلف قد اصطدمت بالخندق وبالنار المضطربة فيه، فحاولوا تخريق البيوت والنفوذ إلى الداخل، فواجههم أصحاب الإمام بالكمائن، فتمكنوا من

(١) الآية ١٦ من سورة الأنفال.

قتل جماعة منهم، واحداً بعد الآخر..

وحين أمر ابن سعد أصحابه بالكف عن تخريق البيوت، وعن محاولات النفوذ إلى داخلها، وأمرهم بإضرام النار فيها، أمر الإمام الحسين «عليه السلام» أصحابه بأن يدعوه، فإنهم إذا أحرقوها منعته من الوصول إلى ما يريدون.

وهذا يدل على أن تلك البيوت كانت من النوع الذي يحترق ببطء مثل الجلود، والأخشاب وغيرها..

اشتد غضب الله:

وتقدم: أن الإمام الحسين «عليه السلام» حين رماه ابن سعد وجيشه كله بسهامهم التي كانت كأنها المطر قال: «إِشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ إِذْ جَعَلُوا لَهُ وَلَدًا.. إِلَى أَنْ قَالَ: وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ عَلَى قَوْمِ اتَّفَقَتْ كَلِمَتُهُمْ عَلَى قَتْلِ ابْنِ بَنِي نَبِيِّهِمُ الْخ.»^(١). (أو إِشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ حِينَ قَالُوا: عَزِيرُ ابْنِ اللَّهِ إِلَى أَنْ قَالَ: يُرِيدُونَ قَتْلَ ابْنِ نَبِيِّهِمْ).

ونلاحظ هنا أمرين:

(١) الملهوف ص ٤٣ و (نشر أنوار الهدى) ص ٦٠ وبحار الأنوار ج ٤ ص ١٢ ومثير الأحزان ص ٥٨ و (ط المكتبة الحيدرية) ص ٤٣ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٢٥٥ ولواعج الأشجان ص ١٣٦ والفتوح لابن أعثم ج ٥ ص ١٠١.

أولاً: إنه «عليه السلام» لا يورد كلامه هذا على سبيل الدعاء عليهم، بل يورده على سبيل الإخبار عن أن الغضب الإلهي قد وقع فعلاً..

ثانياً: يلاحظ: أن ما أوجب غضب الله على اليهود، والنصارى، والمجوس هو أمور ترجع إلى الإيمان والاعتقاد بالله تعالى، وعبادته.. وهي أمور هائلة وخطيرة جداً في نفسها.

لكن ما أوجب غضبه تعالى على هؤلاء القوم، هو اتفاق كلمتهم على قتل ابن بنت نبيهم، وهذا ليس من الاعتقادات - كما هو الحال في الطوائف التي غضب الله تعالى عليها في الأمم السالفة..

ولكنه لا يقلُّ خطورة عنها، بل ربما كان أخطر منها، أو أشرّ، وأضرّ، لسببين:

أولهما: أن نفس اتفاق كلمة قوم يعدون بعشرات الألوف مع اعترافهم بالنبوة، ومع إقرارهم بالتوحيد بأنهم يقتلون ابن بنت نبيهم: يدل على أنهم في غاية الخباثة والسوء، وأن اليهود، والنصارى والمجوس، لم يصلوا في ذلك إلى هذا الحد.. لأن الكثيرين منهم، وربما أكثرهم يكون قد أخذ على حين غفلة منه، لشبهة انطلت عليه، أو أنه انساق وراء حسن ظنه بمن ادّعوا أنهم علماء بالدين، أمناء على الحقيقة..

الثاني: إنه لا مبرر لقتل ابن بنت النبي «صلى الله عليه وآله» والإمام المنصوب لهم من قبله، سوى السعي لإطفاء نور الله، وإبطال

جهود الأنبياء، وتضييع دماء الشهداء عبر التاريخ البشري كله..

وهذا هو السبب في أن الحسين «عليه السلام» المكلف من الله بحفظ الدين يقسم على أن لا يجيبهم إلى شيء مما يريدون، لأن إجابته لهم لا يمكن إلا أن تكون تحقيقاً لأهدافهم الشريرة، وخيانة للأمانة الإلهية، وتفريطاً بحقوق البشر كلهم، وهدماً لسعادتهم ولمستقبلهم في الدنيا والآخرة..

الأعداد تحتاج إلى تدقيق:

تقدم في النص الذي نقلناه عن الفتوح: أن أصحاب الحسين «عليه السلام» كانوا اثنين وثلاثين فارساً، وأربعين راجلاً. وأن أعداءهم كانوا اثنين وعشرين ألفاً، لا يزيدون ولا ينقصون.

مع أننا ذكرنا فيما سبق: أن الاختلافات بين المؤرخين في أعداد الفريقين كثيرة، وقد رجحنا: أن يكون الذين ازدلفوا لحرب الحسين «عليه السلام» وتولوا قتله كانوا ثلاثين ألفاً. هذا عدا الذين كانوا مع عبيد الله بن زياد بالقرب من كربلاء، وكانوا أيضاً ألفاً كثيرة.

ولعله كان قد أعدّهم ليمد بهم عمر بن سعد، إن احتاج إلى المدد، يضاف إلى هؤلاء وأولئك أعداد كثيرة وجموع غفيرة كانت منتشرة في طول المنطقة وعرضها، وقد أخذت مفارق الطرق لفرض الهيبة، ولضبط حركة القبائل والأشخاص في المنطقة، وهيمنت على مداخل الكوفة، لكي لا يخرج منها أحد إلا إلى كربلاء، ولا يهرب إليها أحد من كربلاء.

سلاح أصحاب الحسين X:

إن آلات الحرب في ذلك الزمان كثيرة، ومنها: الأترسة، والحراب، والأقواس التي ترمى عنها السهام، ومنها: الدروع، وما يستفاد منه لوقاية الخيل من أن تتعرض للأذى، ومنها: الدبابات، والمنجنقات، وغير ذلك كثير.

وقد كان جيش ابن زياد ثلاثين ألفاً، وهو مجهز بمختلف أنواع الأسلحة. أما أصحاب الحسين «عليه السلام»، الذين كان عدد أفرادهم لا يزيد على العشرات، فلم يكن لديهم من أنواع الأسلحة الكثيرة سوى نوعين، هما: السيوف والرماح، كما قال ابن شهر آشوب^(١). بالإضافة إلى سلاح الإيمان، والتقوى، والبصيرة في الدين، والإخلاص لله تعالى، ولنبيه وأهل بيته الطاهرين، ونحو ذلك..

حملة، حملة، أم حملة واحدة:

وتقدم قول ابن أعثم: اقتتلوا ساعة من النهار حملة واحدة. ولكن ابن طاووس في الملهوف يقول: حملة حملة. فهل حصل تصحيف لكلمة واحدة بكلمة حملة، أو العكس، وكلمة حملة ككلمة حملة، أم أن للكلام منحى آخر؟! وقد عد ابن شهر آشوب ثمانية وعشرين رجلاً، وذكر أسماءهم،

(١) مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج ٤ ص ١٠٧ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣ ص ٢٤٨.

وقال: إنهم قتلوا في الحملة الأولى، ثم قال: وعشرة من موالي الحسين، وموليان من موالي أمير المؤمنين^(١). فيصل العدد عنده إلى أربعين.

ونجيب:

إننا وإن كنا لا نستبعد احتمال التصحيف المشار إليه في هذا المورد أيضاً، ولكننا قد نرجّح على احتمال التصحيف احتمالاً آخر، مفاده: أن من الجائز أن يكون المراد: أن هناك حملة حصلت من الأعداء على الحسين «عليه السلام» وأصحابه، وقد استمرت ساعة، ولكنها كانت على شكل موجات بشرية متتالية كان جيش الأعداء قد اعتمدها في حربه، على أمل التخلص من هؤلاء الصفوة في ساعة واحدة.. أو على أمل أن يتم إنهاك هذه القلة القليلة، وإسقاط مقاومتها، وقتل أكبر عدد منها، ثم التخلص من البقية، إن بقيت هناك بقية في هجوم لاحق. فلعله قد قتل في هذه الهجمات المتتالية: نيف وخمسون رجلاً، كما قال ابن أعثم، شريطة أن تتخلل هذه الهجمات المبارزات المعروفة بين الفرسان، والتي سيأتي الحديث عنها إن شاء الله تعالى.

إمتياز الرجالة على الفرسان:

وتقدم قول ابن نما: والتقى العسكران، وامتاز الرجالة من الفرسان. وفي هذا إشارة إلى أن الهجمات العامة، والاشتباك الشامل،

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ١١٣ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣ ص ٢٦٠ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ٦٤ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٣٤١.

يفرض امتياز الفارس من الراجل، لإفساح المجال للمقاتلين ليتحركوا بحرية، وبسرعة. فإن اختلاط الفرسان بالرجالة يربك كلا الفريقين، ويعيق كلا منهما الآخر، وخصوصاً إذا ما لوحظ اختلاف طبيعة مهمة الراجل، ومهمة الفارس، تبعاً لاختلاف التجهيزات المتوفرة، وربما تختلط على المقاتلين الأمور، فلا يميز العدو من الصديق، حين يتم الالتحام في ساحة القتال.

عدد المقتولين في الحملة الأولى:

وتقدم قول ابن أعثم: حتى قتل من أصحاب الحسين اثنان وخمسون رجلاً.

أما ابن طاووس، فقال: حتى قتل من أصحاب الحسين جماعة.

ونقول:

إذا اعتمدنا قول ابن أعثم، من أن عدد أصحاب الحسين «عليه السلام» كانوا اثنين وسبعين رجلاً، بما فيهم أهل بيته «عليه السلام»، الذين قد يصل عددهم إلى ثمانية عشر أو أكثر، فلا بد أن نستبعد أن يكون المقتولون في الحملة الأولى اثنين وخمسين رجلاً، لأن معنى ذلك: أن لا يبقى معه سوى أهل بيته، مع أن المصادر والنصوص تذكر: أن مبارزات قد حصلت بين جماعة كثيرة من أصحابه «عليه السلام» تعد بالعشرات، وبين فرسان من جيش العدو. وقد استشهد كثير من أصحاب الحسين «عليه السلام» في هذه المبارزات، قد يصل عددهم إلى أربعين.

مسار القتال يوم العاشر:

ونستطيع بملاحظة النصوص: أن نتصور المعركة قد سارت على

النحو التالي:

صرح الطبري في تاريخه، والمفيد في كتاب الإرشاد: بأن

الحملة الأولى قد بدأت برمي عمر بن سعد «لعه الله» بسهم نحو

الحسين، ثم رمى أصحابه كلهم رشقة واحدة، فما بقي أحد من أصحاب

الحسين «عليه السلام» إلا أصيب بسهم.

وقالوا: إن السهام قد انهالت على الإمام الحسين «عليه السلام»

وأصحابه كأنها المطر.

ثم حصلت بعض المبارزات، بعد هذه الرمية، كما تقدم عن

الإرشاد، والطبري، وابن أعثم، وإعلام الوري، والبلاذري، وابن

الأثير، و.. و.. كان الفلج فيها لأصحاب الحسين «عليه السلام».

فأشار بعض قادة الأعداء على عمر بن سعد - كما سيأتي - بالكف

عن المبارزات والعدول إلى الهجوم الشامل، فأمر ابن سعد بالهجوم

الشامل أيضاً. فحملوا على الحسين وأصحابه من كل جانب، واشتد

القتال، وكان أشد قتال خلقه الله على تعبير بعض النصوص.

فهاجم عمرو بن الحجاج بميمنة عمر بن سعد ميسرة الحسين

«عليه السلام»، فلم يصنع شيئاً، ثم صار عمرو بن الحجاج يحرض

على الحسين «عليه السلام»، وينسب إليه المروق من الدين.

ثم حمل ابن الحجاج مرة أخرى بميمنة ابن سعد على الحسين

«عليه السلام» وأصحابه من جهة الفرات، فصرع مسلم بن عوسجة. ثم حمل شمر بن ذي الجوشن بميسرته على الحسين وأصحابه، فباء بالفشل أيضاً. وقد تصدى زهير بن القين في عشرة من أصحابه للشمر، وكشفه عن الخيام.

فلم يفلح الأعداء في هجماتهم تلك، ووجدوا أصحاب الإمام الحسين «عليه السلام» كأنهم في حصن حصين، أو كجبال الحديد.. فأمر عمر بن سعد الرماة بعقر خيول أصحاب الإمام «عليه السلام»، وتقويض بيوتهم وتخريقها، علهم ينفذون منها إليهم، ففشلوا في ذلك أيضاً.

فأمر بتحريق البيوت بالنار، فكانت النار أيضاً مانعاً لجيش ابن سعد من التقدم. واستشهد في هذه الأثناء عمير بن عبد الله الكلبي، وزوجته أم وهب.

واستمر الأمر على هذه الحال، حتى انتصف النهار، فصلى «عليه السلام» بهم صلاة الخوف.

ثم عادت المبارزات حتى لم يبق أحد من أصحاب الحسين «عليه السلام»، إلا قتل.

وقد قتل في المبارزات ما يقرب من أربعين رجلاً، ثم استمرت حتى لم يبق أحد من بني هاشم..

وبقي الحسين «عليه السلام» وحيداً فريداً، غريباً، عطشاناً، مظلوماً. فواجه الأعداء، بما لم يخطر لهم على بال، حتى أثخن

بالجراح.. وكانت الفاجعة الكبرى بمقتله «صلوات الله وسلامه عليه».

الفصل الثاني:

فشل هجمات ومبارزات الأعداء..

الكلبي القتيل الثاني:

١ - عن أبي مخنف، عن أبي جناب: كان منّا رجلٌ يُدعى عبدُ الله بنَ عُمَيْرٍ [أو تميم]، من بني عُليمٍ، كانَ قد نَزَلَ الكوفةَ، واتَّخَذَ عِنْدَ بئرِ الجَعْدِ مِن هَمْدَانَ دَاراً، وَكَانَتْ مَعَهُ امْرَأَةٌ لَهُ مِنَ التَّيْمَرِ بْنِ قَاسِطٍ، يُقَالُ لَهَا: أُمُّ وَهْبٍ بِنْتُ عَبْدِ، فَرَأَى الْقَوْمَ بِالنُّخَيْلَةِ يُعَرِّضُونَ لِيُسَرَّحُوا إِلَى الْحُسَيْنِ «عليه السلام».

قَالَ: فَسَأَلَ عَنْهُمْ، فَقِيلَ لَهُ: يُسَرَّحُونَ إِلَى حُسَيْنِ بْنِ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ «صلى الله عليه وآله».

فَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ عَلَى جِهَادِ أَهْلِ الشَّرِّكَ حَرِيصاً، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَلَّا يَكُونَ جِهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَغْزُونَ ابْنَ بِنْتِ نَبِيِّهِمْ أَيْسَرَ ثَوَاباً عِنْدَ اللَّهِ مِنْ ثَوَابِهِ إِيَّايَ فِي جِهَادِ الْمُشْرِكِينَ.

فَدَخَلَ إِلَى امْرَأَتِهِ فَأَخْبَرَهَا بِمَا سَمِعَ، وَأَعْلَمَهَا بِمَا يُرِيدُ.

فَقَالَتْ: أَصَبْتُ. أَصَابَ اللَّهُ بِكَ أَرْشَدَ أُمُورِكَ، أَفْعَلْ، وَأَخْرِجْنِي مَعَكَ.

قَالَ: فَخَرَجَ بِهَا لَيْلاً حَتَّى أَتَى حُسَيْناً «عليه السلام»، فَأَقَامَ مَعَهُ،

فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ، وَرَمَى بِسَهْمٍ ارْتَمَى النَّاسُ.

فَلَمَّا ارْتَمَوْا خَرَجَ يَسَارُ مَوْلَى زِيَادِ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، وَسَلَامُ مَوْلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ، فَقَالَا: مَنْ يُبَارِزُ؟ لِيُخْرِجَ إِلَيْنَا بَعْضُكُمْ.

قَالَ: فَوَتَّبَ حَبِيبُ بْنُ مُظَاهِرٍ، وَبُرَيْرُ بْنُ حُضَيْرٍ.

فَقَالَ لَهُمَا حُسَيْنٌ «عليه السلام»: اجلسا.

فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَيْرِ الْكَلْبِيِّ، فَقَالَ: أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، رَحِمَكَ اللَّهُ، ائْذَنْ لِي فَلَاخْرُجَ إِلَيْهِمَا.

فَرَأَى حُسَيْنٌ «عليه السلام» رَجُلًا آدَمَ، طَوِيلًا، شَدِيدَ السَّاعِدَيْنِ، بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكَبَيْنِ.

فَقَالَ حُسَيْنٌ «عليه السلام»: إِنِّي لَأَحْسَبُهُ لِلْأَقْرَانِ قَتْلًا، أَخْرُجْ إِنْ شِئْتَ.

قَالَ: فَخَرَجَ إِلَيْهِمَا، فَقَالَا لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟

فَانْتَسَبَ لَهُمَا.

فَقَالَا: لَا نَعْرِفُكَ، لِيُخْرِجَ إِلَيْنَا زُهَيْرُ بْنُ الْقَيْنِ، أَوْ حَبِيبُ بْنُ مُظَاهِرٍ، أَوْ بُرَيْرُ بْنُ حُضَيْرٍ، وَيَسَارُ مُسْتَنْتِلُ أَمَامَ سَالِمٍ.

فَقَالَ لَهُ الْكَلْبِيُّ: يَا ابْنَ الزَّانِيَةِ، وَبِكَ رَغْبَةٌ عَنْ مُبَارَزَةِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ؟ وَمَا يَخْرُجُ إِلَيْكَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا وَهُوَ خَيْرٌ مِنْكَ!! ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهِ فَضْرَبَهُ بِسَيْفِهِ حَتَّى بَرَدَ، فَإِنَّهُ لَمُشْتَغَلٌّ بِهِ يَضْرِبُهُ بِسَيْفِهِ إِذْ شَدَّ عَلَيْهِ سَالِمٌ، فَصَاحَ [أَيُّ النَّاسِ] بِهِ: قَدْ رَهَقَكَ الْعَبْدُ.

قَالَ: فَلَمْ يَأْبَهُ لَهُ حَتَّى غَشِيَهُ قَبْدَرُهُ الضَّرْبَةَ، فَاتَّقَاهُ الْكَلْبِيُّ بِيَدِهِ

اليُسرى، فَأَطَارَ أَصَابِعَ كَفِّهِ اليُسرى، ثُمَّ مَالَ عَلَيْهِ الْكَلْبِيُّ فَضَرَبَهُ حَتَّى قَتَلَهُ.

وَأَقْبَلَ الْكَلْبِيُّ مُرْتَجِزاً وَهُوَ يَقُولُ، وَقَدْ قَتَلَهُمَا جَمِيعاً:

إِنْ تُنْكِرُونِي فَأَنَا ابْنُ كَلْبٍ حَسْبِي بَيْتِي فِي عَلِيمٍ حَسْبِي
إِنِّي امْرُؤٌ ذُو مِرَّةٍ وَعَصَبٍ وَلَسْتُ بِالْخَوَّارِ عِنْدَ النَّكَبِ
إِنِّي زَعِيمٌ لَكَ أَمْ وَهَبٍ بِالطَّعْنِ فِيهِمْ مُقَدِّمًا وَالضَّرْبِ

ضَرْبِ غُلَامٍ مُؤْمِنٍ بِالرَّبِّ

فَأَخَذَتْ أُمُّ وَهَبٍ امْرَأَتَهُ عَمُوداً، ثُمَّ أَقْبَلَتْ نَحْوَ زَوْجِهَا تَقُولُ لَهُ: فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي! قَاتِلْ دُونَ الطَّيِّبِينَ، ذُرِّيَّةَ مُحَمَّدٍ «صلى الله عليه وآله».

فَأَقْبَلَ إِلَيْهَا يَرُدُّهَا نَحْوَ النِّسَاءِ، فَأَخَذَتْ تُجَاذِبُ ثَوْبَهُ، ثُمَّ قَالَتْ: إِنِّي لَنْ أَدْعَكَ دُونَ أَنْ أَمُوتَ مَعَكَ.

فَنَادَاهَا حُسَيْنٌ «عليه السلام»، فَقَالَ: جُزَيْئُكُمْ مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ خَيْرٌ، أَرْجِعِي رَحِمَكَ اللَّهُ إِلَى النِّسَاءِ فَاجْلِسِي مَعَهُنَّ، فَإِنَّهُ لَيْسَ عَلَى النِّسَاءِ قِتَالٌ.

فَانصَرَفَتْ إِلَيْهِنَّ..(١).

(١) موسوعة الإمام الحسين ج ٤ ص ٢٢٦ و ٢٢٩ عن: تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٢٩ - ٤٣٠ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٢٦ - ٣٣٣ والكامل في التاريخ ج ٤ ص ٦٥ - ٦٩ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٨ وفيه من «فلماً دنا» إلى

٢ - قال أبو مخنف: حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ عُقْبَةَ الْمُرَادِيُّ: قَالَ الزُّبَيْدِيُّ: ..وَحَمَلَ شِمْرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ فِي الْمَيْسَرَةِ عَلَى أَهْلِ الْمَيْسَرَةِ، فَتَبَتُوا لَهُ فُطَاعَنُوهُ وَأَصْحَابُهُ.

وَحُمِلَ عَلَى حُسَيْنٍ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» وَأَصْحَابِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَقُتِلَ الْكَلْبِيُّ، وَقَدْ قُتِلَ رَجُلَيْنِ بَعْدَ الرَّجُلَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ.

وَقَاتَلَ قِتَالًا شَدِيدًا، فَحَمَلَ عَلَيْهِ هَانِيُّ بْنُ ثُبَيْتِ الْحَضْرَمِيِّ، وَبُكَيْرُ بْنُ حَيٍّ التَّمِيمِيُّ، مِنْ تَيْمِ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ فَقَتَلَاهُ، وَكَانَ الْقَتِيلَ الثَّانِيَ مِنْ أَصْحَابِ الْحُسَيْنِ «عَلَيْهِ السَّلَامُ»..^(١). أي بعد قتل مسلم بن عوسجة.

عن أبي مخنف، عن ثُمَيْرُ بْنُ وَعْلَةَ قَالَ: ..وَحَرَجَتِ امْرَأَةُ الْكَلْبِيِّ تَمْشِي إِلَى زَوْجِهَا حَتَّى جَلَسَتْ عِنْدَ رَأْسِهِ تَمْسَحُ عَنْهُ الثَّرَابَ وَتَقُولُ:

«فَضْرِبْهُ حَتَّى قَتْلَهُ» وكلاهما نحوه. وراجع: البداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج ٨ ص ١٩٦ و ١٩٧ وقاموس الرجال ج ١٢ ص ٢٢٢ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص ١٢٣.

واختصره البلاذري في أنساب الأشراف ج ٣ ص ٣٩٨ - ٤٠١ و (ط دار التعارف) ج ٣ ص ١٩٠ وكذا في الإرشاد للمفيد ج ٢ ص ١٠١ وإعلام الوری ج ١ ص ٤٦١ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٦ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٢٦٠ وراجع أيضاً: الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) ج ١ ص ٤٧٠ وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣٠٢ ومثير الأحرار ص ٥٦ ونهاية الأرب ج ٢٠ ص ٤٤٦.

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٣٦ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٣٢ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص ١٣٨ وراجع: الإرشاد ج ٢ ص ١٠٤.

هَنِيئًا لَكَ الْجَنَّةُ.

فَقَالَ شِمْرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ لِلْعَلَامِ يُسَمَّى رُسْتَمَ: إِضْرِبْ رَأْسَهَا بِالْعَمُودِ، فَضْرَبَ رَأْسَهَا فَشَدَخَهُ، فَمَاتَتْ مَكَانَهَا^(١).

ونقول:

استنتل: تقدم واستعد.

المرة - بكسر الميم -: القوة.

العصبة: الأقارب.

الخوار: الضعيف.

لفت نظر:

قول النص المتقدم: «وَحَمَلَ شِمْرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ فِي الْمَيْسَرَةِ عَلَى أَهْلِ الْمَيْسَرَةِ». لعله سهو من الراوي، فإن ميسرة العدو تقابل ميمنة الإمام الحسين «عليه السلام»، فيفترض أن تكون حملتها على هذه الميمنة.

إلا أن تكون كثرة جيش العدو جعلتهم يحاولون أن يحسموا الأمر بهجوم تلك الأعداد الكثيرة على هذه الجماعة القليلة العدد، ظناً منهم: أنهم قادرون على حسم الأمر، فخاب فآلهم، وطاش سهمهم.

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٣٨ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٣٤ وقاموس الرجال ج ١٢ ص ٢٢٣ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص ١٤١ ونهاية الأرب ج ٢٠ ص ٤٥٠ وإبصار العين ص ١٨١.

الإسنان المتوازن:

رأينا في كربلاء نموذجين من الناس:

النموذج الأول:

ذلك الفريق الذي يمثل الإنسان المجرم، والحقير، والتافه، والشره، والطامع، والضعيف، والفاقد للإيمان، والميت الوجدان، والمشلول الضمير، والغارق في بحر الخيانات، والجنايات، والرذائل والضلالات، والغوايات، ولا يبالي بسحق الأطفال والنساء، والعجزة بحوافر الخيل، والتلذذ بالأمهم، والشعور بالزهو والسعادة، وهو يراهم يموتون عطشاً.

يضاف إلى ذلك كله: أنه يقصد كربلاء من مسافات بعيدة لكي يسفك دماء الأبرياء، والأئمة والأولياء، وأبناء الأنبياء، على أمل أن يحصل على رأس أقدس، وأشرف، وأعلم، وأفضل البشر، وأحبهم إلى الله ورسوله.. ليقدمه هدية لجبار خبيث، رجاء أن يحصل منه على حفنة دراهم مغموسة بالسم القاتل للإنسانية، ومغمورة باللعنات، والخزايات في الدنيا والآخرة.

فالحق - بنظرهم - هو ما تأمرهم به أنفسهم الأماراة بالسوء، وتدعوهم إليه غرائزهم وشهواتهم، ولو كان هو الإبادة لجميع الأحياء، وقتل الأنبياء والأوصياء.

والباطل - عندهم - هو كل ما عدا ذلك.

فهؤلاء ليسوا بشراً، وإن كانوا على صورة البشر، وليسوا أنعاماً،

بل هم أضل، وليسوا سباعاً ووحوشاً، بل أشر وأضر، فقد خرجوا عن فطرتهم، وعن إنسانيتهم، وتخلوا عن سائر سماتها وصفاتها، وراحو يسعون في الأرض فساداً، في حين أن الفساد والإفساد ليس من مقاصد الحيوان، بل هو يتحرك ويتصرف بمقتضى فطرته وجبلته، وبحسب طبعه وغريزته..

وهذا الفريق تجده في الجيش الأموي الذي جاء ليسفك دماء الحسين وأصحابه في كربلاء، بعد خيانة ظاهرة وخزاية سافرة، من دون أن يقدم سبباً لخيانته، ولا لإصراره الصارم على ارتكاب جريمته، ومن دون أن يستجيب لنداء العقل، أو العاطفة أو الوجدان، أو الشرع، أو أي نداء آخر..

النموذج الثاني:

أناس ليس لهم همٌّ، ولا مأرب، ولا مطلب لأنفسهم، بل هم يسعون لإحقاق الحق، وإبطال الباطل من خلال ما يريده الله تعالى، ويحقق رضاه وما يفرضه عليهم حب الله ورسوله، وحب الحق من تضحية، وفداء، وإيثار. ثم ما يدعو إليه الشرع والدين، والقيم الإلهية، والأخلاق والفضائل الإنسانية، ويحقق لهم الفوز في الدنيا، ومرافقة الأولياء والصالحين، والأوصياء، والنبیین، في جنات النعيم يوم الدين.

ثم ما تحكم به عقولهم ويرضاه لهم ضميرهم ويقنع به وجدانهم، وينسجم مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وتجد هؤلاء هم الحسين «عليه السلام»، وجميع شهداء كربلاء..

وكلماتهم «رضوان الله تعالى عليهم» طافحة بهذه المعاني وزاخرة بهذه الدلالات، فلسنا بحاجة إلى إيراد الشواهد، بعد ما سبق وما سيأتي في هذا الكتاب منها، فراجع كلمات زهير بن القين وحبیب بن مظاهر، ومسلم بن عوسجة، وبرير، ونافع بن هلال، والحر الرياحي، وكثيرين غيرهم..

وهنا يجب لفت النظر إلى ظاهرة تجلت لنا على النحو التالي:

١ - تقدم: أن عبد الله بن عمير الكلبي «رضوان الله تعالى عليه» حين رأى الناس يعرضون للمسير لقتال الحسين «عليه السلام». لم يفكر في اغتنام الفرصة للحصول على حفنة من المال، أو كسب جاه، أو منصب ومقام لدى الطغاة والجبارين، ولم يرغب في قتل الحسين «عليه السلام» ليأتي برأسه إلى ابن زياد طمعاً بالجائزة.

بل فكر فيما يمنحه الله تعالى إياه من ثواب على نصرته الحق، وأهله، والجهاد في سبيله، ولم يحفل بما يمكن أن يناله من أذى قد يصل إلى حد القتل، وبما يترتب على ذلك من احتمال أذى السلطان لأهل بيته، وعشيرته، وأبنائه، وأحبائه. بل رأيناه لا يمانع في أن تصحبه زوجته في هذا الوجه، وهو يعلم أن ذلك يجعلها في معرض السبي أو القتل، أو غير ذلك من الشدائد التي يمارسها الأعداء في مثل هذه الحالات..

٢ - إن زوجة عبد الله بن عمير الكلبي، لم تتأفف من هذا القرار الخطر، ولم تمنع، بل شجعت عليه، وصوبت رأيه، ودعت له. ولم تهتم باحتمال ترملها، ولا ما يمكن أن يواجهها من مصائب، وبلايا،

ومشقات، وأذايا.

ويذكرنا هذا بموقف الحر الرياحي الذي كان من قادة جيش الظالمين، ثم ساقه حسن التوفيق، وهذاه عقله، ووجدانه، وضميره إلى الحق، وإلى سبيل النجاة..

كما أن هذا الموقف يذكرنا بموقف الرجلين الذين كانا من الخوارج، وقد جاء إلى كربلاء ليحاربا الحسين بن علي «عليهما السلام» الذي كان أبغض الناس إلى الخوارج، وإذ بهما يهتديان في اللحظات الأخيرة، التي هي الأشد حراجة، إلى الحق، ويميلان إلى الحسين، ليستشهدا معه..

الحسين بن فاطمة بنت الرسول ﷺ :

وفي النص المتقدم: أن الكلبي لما رأى الناس يعرضون، وسأل عن السبب، قيل له: «يُسَرَّحُونَ إلى الحسين بن فاطمة بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله»..». فنسب الحسين إلى فاطمة «عليهما السلام».

ثم رأيناهم في كربلاء أيضاً يخاطبون الحسين «عليه السلام» بنسبته إلى أمه أو يقولون له: يا حسين، من دون نسبة، فقد قالوا له: ما تقول يا ابن فاطمة؟! الخ..

وكان بغضهم لعلي «عليه السلام»، أو خوفهم من السلطان يمنعهم من إيراد اسم علي «عليه السلام» على ألسنتهم.. مع أن نسبته إلى فاطمة، ثم إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» تدينهم، وتثبط الناس

عن المشاركة في حربه. وبه تقوم الحجة على الغافل، وعلى العالم والجاهل، وبيوء المعاند الجاحد بالخيبة، والذل الشامل، والخسران في العاجل والآجل..

أول من طلب المبارزة:

١ - لقد رأينا: أن طلب المبارزة الأول قد جاء من قبل جيش الطغاة، وبالتحديد من مولي زياد وابنه عبيد الله، وكأنهما يريدان المباهاة بقتل الأبرار، والحصول على الزلفى، والمقام الرفيع عند الأشرار، فخاب فآلهما، وكان الموت الذليل مصيرهما، وإلى الجحيم مسيرهما..

٢ - رأينا أيضاً: أن أول من طلب المبارزة هما رجلان من الموالي، وأن أحدهما كان مولى لزياد، والآخر مولى لعبيد الله بن زياد..

وهذا يشير إلى أن للعيش في أجواء الظلم والفساد، والانحراف أثراً في النفوس، ولاسيما إذا صاحب ذلك إعلام مسموم، وإشاعات للأباطيل والأضاليل، وأكثر من يتأثر ويتضرر في هذه الأجواء هم الموالي الذين يكونون في العادة في أيدي الظالمين مجرد دمي، يحركها صاحبها كيفما يشاء، ويلقيها حيث أراد.. ولا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً..

٣ - يلاحظ: أن النص المتقدم يقول: «خرج يسار مولى زياد بن أبي سفيان». وهذا تعبير خبيث، وفيه جرأة على الله ورسوله «صلى الله

عليه وآله»، فإن المعيار في نسبة الأشخاص هو القاعدة الثابتة في دين الإسلام عن النبي «صلى الله عليه وآله»، والتي تقول: «الولد للفراس، وللعاهر الحجر».

ومن المعلوم: أن أم زياد كانت زوجة لعبيد الرومي. وقد ولدت زياداً على فراشه..

ومجرد أن يكون أبو سفيان قد زنى بأم زياد لا يعني جواز نسبة مولودها إليه، بل يجب أن ينسب إلى عبید الذي هو صاحب الفراش، فإن هذا يعد نقضاً للحكم الثابت عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» في هذه الموارد..

منع الحسين × رجلين، وأنن لواحد:

وقد رأينا في النص المتقدم: أن الإمام الحسين «عليه السلام» منع بريراً وحبيباً من مبارزة الرجلين، وسمح لعبد الله بن عمير الكلبي بأن يبارزهما معاً وحده، بعد أن نظر إليه نظرة المتفحص، ثم أعلن رأيه فيه، حيث قال: «إني لأحسبه للأقران قتالاً».

ويمكن هنا تسجيل الملاحظات التالية:

ألف: إن منع حبيب وبرير من مبارزة الرجلين لا يدل على عجزهما عن ملاقاتهما، فلعلهما لو برزا لهما يقتلانهما.

إلا أن يقال: لعل بريراً كان يريد مبارزة الرجلين معاً، وكذلك الحال بالنسبة لحبيب «رحمه الله». وقد أظهرت الروايات: شدة بأس حبيب وبرير من الأعداد الكثيرة التي قتلوها في يوم عاشوراء.

ب: إن منعه لحبيب وبرير من مبارزة الرجلين، واستبدالهما برجل واحد، ثم تكون النتيجة هي: أن يقتلها معاً وحده، لعله من أجل أن يظهر من بدايات المعركة أن لديه رجالاً غير عاديين.

فإن كان بروز سالم ويسار إلى وسط الميدان، وطلبهما المبارزة، يشير إلى مزيد من الثقة لديهما بأنفسهما، كما أنه يدل على الشعور بالقوة، وبالاعتزاز بما يجيدانه من فنون الحرب، حتى إنهما يريدان عرض بعض من ذلك أمام عشرات الألوف..

وهذا هدف استعراضي دنيوي، يدل على مزيد من الأنانية، وحب الذات، والتعلق بالشهوات، ويشير إلى أن هذين الرجلين لا يقيمان وزناً لأرواح الناس حتى لو كانوا أقدس البشر في سبيل انتفاخ موهوم، وغير ذي قيمة في نفسه.

ويؤكد لنا وجود الهدف الاستعراضي لدى هذين الرجلين: أنهما كانا يضعان أنفسهما في مصاف الكبار من الفرسان، وأن مبارزة من هم أقل من هذا المستوى لا تليق بهما.. كما أظهرته محاولة رفض مبارزة الكلبي، وطلب مبارزة من هو أعلى كعباً، وأشرف موقفاً.

ج: إن تفرُّسه «عليه السلام» في ذلك الرجل، وملاحظة حالته وملامحه وتكوينه الجسدي قد جعله يتخذ قراره بأن يكون هذا الرجل هو المبارز لهما معاً.

وليكن من حق الناظر أن يقول: إن الإمام الحسين «عليه السلام» لا يمكن أن يخاطر بحياة رجل مسلم إذا لم يكن يعتقد جازماً بصحة ما

يجده فيه.

وبعبارة أوضح: إن الحسين «عليه السلام» لا يقدم على أمر من هذا القبيل، إلا إذا كانت النتائج واضحة لديه، ولا تكون كذلك إلا إذا كانت لديه دلالات حاسمة عليها، وتخوله استبدال شخصين بواحد في موقف كهذا، فإن هذه مجازفة لا يقدم عليها أحد من أهل الفضل والدين والتقوى، إذا لم يتيقن بصوابيتها، وحصول ما يتوخاه منها.

د: والأهم من ذلك قوله «عليه السلام»: «إِنِّي لَأَحْسَبُهُ لِلْأَقْرَانِ قِتَالًا» فقد أكد مضمون كلامه بأن وبالللام.. واستفاد من صيغة المبالغة، وهي كلمة «قتال» الدالة على أنه «عليه السلام» ليس فقط يرجح أن يتمكن من قتل قرنه، بل هو يرى أنه قادر على إكثار القتل في أقرانه، وإن تعددوا، وتعاوروا عليه في ساحة القتال..

هـ: إن هذا يؤكد مضمون الحديث المروي عن النبي «صلى الله عليه وآله»: اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله^(١). ويمكن تأييد

(١) بحار الأنوار ج ٢٤ ص ١٢٣ و ١٢٨ و ١٣١ و ج ٢٥ ص ١٣٤ و ج ٣٨ ص ٧٩ و ج ٦٤ ص ٦١ و ٧٤ و ٧٥ والدر المنثور، في تفسير آية سورة الحجر عن البخاري في تاريخه، والترمذي وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن السني، وابن مردويه، والخطيب عن أبي سعيد الخدري، عن النبي «صلى الله عليه وآله». وراجع: موسوعة الإمام الحسين «عليه السلام» ج ٢٠ ص ٥٣٢ ومعاني الأخبار ص ٣٥٠ و علل الشرايع ج ١ ص ٢٠٦ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ١ ص ١٧٤ و غاية المرام ج ٤ ص ٣١٢ و ج ٦ ص ٢٨٢ والأربعون حديثاً للشهيد الأول ص ٧٠ والبرهان (تفسير) ج ٤

هذا المعنى بقوله تعالى: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ)^(١).

و: إن هذا يؤكد على ضرورة أن يكون القائد قادراً على فهم الشخصيات التي يتعامل معها، وأن يكون قادراً على تلمُّس الصفات التي يمتاز بها هذا الجندي عن ذاك، وأن يكون لديه إلمام بكل ما يشير إلى الصفات التي يريد أن تتوفر في من هم بإمرته..

فقد ورد في تفسير آية: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ): إنهم المتفرسون^(٢).

ز: إن كلمة «الأقران» جمع قَرْن، فهل يريد «عليه السلام»: أنه يقتل قرنه إذا برز إليه وحده، ثم يقتل القرن الآخر إذا برز إليه بعد

ص ٤٠٨ باب ١٣٩ و (ط مؤسسة البعثة) ج ٣ ص ٥٧٦ - ٥٧٨ وج ٥ ص ٨٥ وينايع المودة ج ١ ص ٤٢٣. وروضة المتقين ج ١٣ ص ٩٤ والوافي ج ٣ ص ٥٤٠ وبصائر الدرجات ص ٣٧٥ والكافي ج ١ ص ٢١٨ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج ١٢ ص ٣٨ و (الإسلامية) ج ٨ ص ٤٢٤ ومستدرك الوسائل ج ٨ ص ٣٤١ والإختصاص للشيخ المفيد ص ١٤٣ و ٣٠٧ والمسائل العكبرية ص ١٣٣ ومدينة المعاجز ج ٦ ص ١٥٦ وج ٧ ص ١٥٠ وينايع المعاجز ص ٨٣ و ٨٩ و ٩٢ و ١٦٩ ومراة العقول ج ٣ ص ٢.

(١) الآية ٧٥ من سورة الحجر.

(٢) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ج ٤ ص ٢٩٩ وميزان الحكمة ج ٣ ص ٢٣٩٤ وتفسير الميزان ج ١٢ ص ١٨٦ والدر المنثور ج ٤ ص ١٠٣ وأضواء البيان ج ٢ ص ٢٨٧ وإرشاد القلوب ج ١ ص ١٣٠.

الانتهاء من الأول.. أو أن مراده أنه يقتلهم، ولو اجتمعوا على حربه؟!!

ونجيب:

بأن قرينة الحال تشهد على أنه «عليه السلام» يريد أنه قتال للأقران سواء أكانوا أفراداً أو متفرقين، انضم بعضهم إلى بعض، كما هو الحال في انضمام هذين الرجلين إلى بعضهما في منازلته.

لا يخرج إليك أحد إلا وهو خير منك:

وتقدم: أن عبد الله بن عمير، تعجب من استنكاف ذلك المجرم الذي جاء لحرب أقدس الناس، وأبان بذلك عن كفره وطغيانه، فإنه لا يحق له أن يستنكف عن مبارزة من هو خير منه، والخيرية هنا هي لمن ينصر الحق، وأهله، ويعمل بما يرضي ربه، وليست الخيرية لمن ينتصر في الحرب، ولا لمن يملك الأموال، ولا هي لصاحب النسب العريق، كأبي لهب الذي كان عم الرسول ولديه الأموال الطائلة، والجاه العريض، وقد أنزل الله تعالى سورة بذمه في القرآن الكريم..

كما أن الشجاعة والفروسية لا تعني الخيرية، ولا الأفضلية والتقدم إذا لم يكن معها تقوى وعلم، وخلق، ومزايا إنسانية، ودين، وجهاد في سبيل الله وما إلى ذلك. ولذلك قال عبد الله بن عمير الكلبي لذلك العتل الزنيم: «وما يخرجُ إليكَ أحدٌ منَ النَّاسِ إلَّا وهوَ خَيْرٌ مِنكَ».

وهذا هو السمو في التفكير، والوعي الرائد، ووضع الأمور في نصابها.

طاعة أم وهب لإمامها:

وما ينبغي أن تؤخذ منه الفكرة الصائبة، والعبرة المؤثرة هو هذا التأثير القوي لكلمات الإمام الحسين «عليه السلام» في أم وهب التي لم تستجب لطلب زوجها منها: أن ترجع إلى النساء، وجاذبته ثوبه، وأخذت تحثه على القتال، وتقول له: إني لن أدعَكَ دونَ أن أموتَ مَعَكَ.

وإذ بها بمجرد سماعها قول الإمام «عليه السلام» لها: «ارجعي رَحِمَكَ اللهُ إلى النساء، فَاجِلِسِي مَعَهُنَّ، فَإِنَّهُ لَيْسَ عَلَى النِّسَاءِ قِتَالٌ». «فَانصَرَفَتْ إِلَيْهِنَّ...».

فهذه الطاعة تدلنا على أنها لا تتصرف استجابة لانفعال عاطفي، بل هي ممن يزن الأمور بموازين الحق والعدل، ويضعها في مواضعها.. فهي حين كانت تجاذب زوجها ثوبه، وتأبى الرجوع كانت ترى أنها تفعل ما يجب عليها في الشرع، والعقل، والدين..

وحين يأمرها الحسين «عليه السلام» بالرجوع تعرف أن الوجوب قد سقط عنها، فما عليها إذا رجعت جناح. بل هو ما يجب أن يحصل لما فيه من حسن الأدب مع إمامها، مع ما فيه من الثواب على حسن طاعته «عليه السلام»، ومن تقديم النموذج الأمثل لأهل الحق والخير..

ويلاحظ: أن الإمام الحسين «عليه السلام» لم يكتف بإصدار الأمر لها، انطلاقاً من موقع الرئاسة والإمامة، بل خاطبها كما

يخاطب أهل الإيمان الصادق، وأهل الفكر والمعرفة، حيث ذكر لها سبب أمره لها بالرجوع، فقال: فَإِنَّهُ لَيْسَ عَلَى النِّسَاءِ قِتَالٌ. فهو إذن، لم يسقط الواجب عنها، بل أخبرها بسقوطه من الأساس.

نذالة الشمر:

وما أشد نذالة الشمر «لعنه الله» حين يأمر الغلام بضرب رأس هذه المرأة المجاهدة بالعمود، مع أن الناس كانوا حتى في أيام الجاهلية يكفون عن النساء، ولا يقتلونهن. وأم وهب لم تزدد على أن جاءت إلى زوجها الشهيد وهنأته بالجنة، فبماذا استساغ الشمر قتلها إن لم يكن ذلك بدافع من حقه، ونذالته ورذالته؟!.

هجوم فاشل للميمنة:

١ - عن أبي جناب: حَمَلَ عَمْرُو بْنُ الْحَجَّاجِ - وَهُوَ عَلَى مَيْمَنَةِ النَّاسِ - فِي الْمَيْمَنَةِ، فَلَمَّا أَنْ دَنَا مِنْ حُسَيْنٍ «عليه السلام» جَنَّا لَهُ عَلَى الرُّكْبِ، وَأَشْرَعُوا الرِّمَاحَ نَحْوَهُمْ، فَلَمْ تُقَدِّمْ خَيْلُهُمْ عَلَى الرِّمَاحِ، فَذَهَبَتِ الْخَيْلُ لِتَرْجِعَ، فَرَشَقُوهُمْ بِالنَّبْلِ، فَصَرَعُوا مِنْهُمْ رَجَالًا، وَجَرَحُوا مِنْهُمْ آخَرِينَ^(١).

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٣٠ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٢٧ والكامل في التاريخ ج ٤ ص ٦٦ والإرشاد ج ٢ ص ١٠٢ وإعلام الوری ج ١ ص ٤٦١ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٣ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٢٥٦ ولواعج الأشجان ص ١٤٠ وأنساب الأشراف (ط دار التعارف)

٢ - عن أبي جناب: حَمَلَ عَمْرُو بْنُ الْحَجَّاجِ أَمِيرُ مَيْمَنَةِ جَيْشِ ابْنِ زِيَادٍ، وَجَعَلَ يَقُولُ: قَاتِلُوا مَنْ مَرَقَ مِنَ الدِّينِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ. فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ «عليه السلام»: وَيْحَكَ يَا حَجَّاجُ! أَعَلَيْ تَحَرِّضُ النَّاسَ! أَنَحْنُ مَرَقْنَا مِنَ الدِّينِ وَأَنْتَ تُقِيمُ عَلَيْهِ؟! سَتَعْلَمُونَ إِذَا فَارَقْتَ أَرْوَاحَنَا أَجْسَادَنَا مَنْ أَوْلَى بِصِلَى النَّارِ^(١).

ونقول:

١ - يظهر هذا النص: أن لدى أصحاب الإمام الحسين «عليه السلام» خبرة قتالية عالية، وأنهم بخبرتهم هذه، وشجاعتهم، وعدم اكتراثهم بكثرة عدوهم، قد سجلوا على قلة عددهم أروع الانتصارات، التي لا يتوقعها، بل لا يحتمل أحد من البشر حصولها على يد أفراد قد لا يصل عددهم إلى بضع عشرات على جيش يعد بعشرات الألوف، التي تصل إلى الثلاثين ألفاً، أو تزيد.

٢ - إنه حين يجثوا المقاتلون على الركب لصد المهاجمين، فذلك إشارة إلى التصميم الأكيد والشديد على عدم التراجع عن مواقفهم قيد

ج ٣ ص ١٩٠ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص ١٢٥ ونهاية الأرب ج ٢٠ ص ٤٤٧ و ٤٤٨.

(١) البداية والنهاية ج ٨ ص ١٨٢ و (ط دار إحياء التراث) ج ٨ ص ١٩٧ وراجع: بحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٩ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٢٦٣ وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٣١ والكامل في التاريخ ج ٤ ص ٦٧ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص ١٣٦.

أنملة، ما دام فيهم عرق ينبض، أو نفس يتردد.

وهذا يرعب العدو، ويكسر شوكته وإرادته، ويكبح جماحه، ويقيد حركته، ويضعها بالرغم عنه في دائرة محدودة.

أضاف بعض الإخوة الأكارم قوله:

الظاهر: أن الجثو على الركب هنا هو من ضرورات هذه الخطوة الحربية، فإن مواجهة الفرسان بغاية ثابتة من الرماح تؤدي إلى إعطاب خيله، أو إلى تراجع الخيل، كما حصل في مفروض الواقعة.

٣ - إن أصحاب الإمام لم يكونوا من الكثرة بحيث يقسمون الوظائف والمهام فيما بينهم، ليكون منهم الرماة، ومنهم المقاتلون بالأسلحة الأخرى. بل كان الرماة هم أنفسهم الذين أشرعوا الرماح، وانتقلوا من الوضعية القتالية للرماحة إلى الوضع القتالي للرماة، فالموقف حرج جداً يحتاج إلى سرعة حركة بالغة..

كما أنه يحتاج إلى صمود، وإلى تخطيط دقيق، وإعداد صحيح للأسلحة التي يراد استعمالها، وتيسير الوصول إليها بسرعة وسهولة..

٤ - إن نتيجة هجوم ميمنة جيش ابن سعد على أصحاب الحسين «عليه السلام»، حيث قتل من المهاجمين رجال، وجرح آخرون، تدل على مدى وعي أصحاب الحسين «عليه السلام» للواقع الذي يتعاملون معه، وأن قلة عددهم، وتوقعهم نيل درجة الشهادة، وسبي حرمهم وأطفالهم بعد ذلك، لم يربك حركتهم، ولم يؤثر على هدوء أعصابهم، ودقتهم في رسم الخطط، وفي تنفيذها على أحسن وجه

وأتمه.

٥ - إن عمرو بن الحجاج قد أعطى لنفسه صفة الحكم، الذي يعرف أقدار الناس، ويضعهم في المواقع اللاتقة بهم.. وقد حكم على سيد شباب أهل الجنة بنص الرسول، والمطهر المعصوم بنص آية التطهير - حكم عليه -: بأنه قد مرق من الدين.

وبذلك يكون عمرو بن الحجاج قد حكم على نفسه بالمروق من الدين، لتكذيبه القرآن، والرسول «صلى الله عليه وآله».

ولذلك قال له الإمام «عليه السلام» - متعجباً -: «أَنْحُنْ مَرْقَا مِنْ الدِّينِ وَأَنْتَ تُقِيمُ عَلَيْهِ؟!»

٦ - إن الإمام عدل عن خطاب عمرو بن الحجاج ليخاطب ذلك الجمع كله، بأن العيان ليس كالخبر، فإذا فارقت أرواحهم أجسادهم، فإنهم سيعلمون - علم اليقين - من هو الأولى بصلي النار كما قال تعالى: (لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَيْنَ الْيَقِينِ * ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) (١).. والنعيم هو ولاية علي «عليه السلام» كما ورد (٢).

(١) الآيات ٦ - ٨ من سورة التكاثر.

(٢) راجع: بحار الأنوار ج ٣٥ ص ٤٢٦ وج ٢٤ ص ٥٦ و ٥٨ والتبيان في تفسير القرآن ج ١٠ ص ٤٠٣ والبرهان (تفسير) ج ٥ ص ٧٤٨ وكنز الدقائق (تفسير) ج ١٤ ص ٤٢٤ ونور الثقلين (تفسير) ج ٥ ص ٦٦٢ وتفسير فرات الكوفي ص ٦٠٦ وشواهد التنزيل ج ٢ ص ٤٧٦ و ٤٧٧ وتأويل الآيات الظاهرة ج ٢ ص ٨٥٠ و ٨٥١ وغاية المرام ج ٣ ص ٨١ و

٧ - يلاحظ: أن الذي كان يقود الميمنة المهاجمة، ويحرّض أصحابه على الإمام «عليه السلام» ناسباً إياه إلى المروق من الدين.. هو عمرو بن الحجاج، وليس الحجاج. وهذا يدل على أن ما ورد في الرواية، من أن الإمام «عليه السلام» قال له: «ويحك يا حجاج»!! قد تعرض لسقطٍ، فليلاحظ ذلك.

حملة أخرى لعمرو بن الحجاج:

وحين فشلت حملة عمرو بن الحجاج المتقدم ذكرها، حاول أن يحمل على الحسين «عليه السلام» وأصحابه مرة أخرى من ناحية الفرات، ففشلت هذه الحملة أيضاً.

وإليك ما جرى حسبما ذكرته النصوص:

ابن عوسجة أول الشهداء:

عن الزبيدي: إِنَّ عَمْرَو بْنَ الْحَجَّاجِ حَمَلَ عَلَى الْحُسَيْنِ «عليه السلام» فِي مَيْمَنَةِ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ مِنْ نَحْوِ الْفُرَاتِ، فَاضْطَرَبُوا سَاعَةً، [فِي الْمَلْهُوفِ: خَرَجَ مُسْلِمُ بْنُ عَوْسَجَةَ، فَبَالِغٌ فِي قِتَالِ الْأَعْدَاءِ، وَصَبَرَ عَلَى أَهْوَالِ الْبَلَاءِ]، فَصُرِعَ مُسْلِمُ بْنُ عَوْسَجَةَ الْأَسَدِيُّ أَوَّلَ أَصْحَابِ الْحُسَيْنِ «عليه السلام».

ثُمَّ انْصَرَفَ عَمْرُو بْنُ الْحَجَّاجِ وَأَصْحَابُهُ، وَارْتَفَعَتِ الْغَبْرَةُ، فَإِذَا

٨٥ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣ ص ٤٠٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٤ ص ٤٦٢.

هُم بِهِ صَرِيحٌ، فَمَشَى إِلَيْهِ الْحُسَيْنُ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» [في الملهوف: ومعه حبيب بن مظاهر] فَإِذَا بِهِ رَمَقٌ، فَقَالَ: رَحِمَكَ رَبُّكَ يَا مُسْلِمَ بْنَ عَوْسَجَةَ (فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا) (١) ..

وَدَنَا مِنْهُ حَبِيبُ بْنُ مُظَاهِرٍ، فَقَالَ: عَزَّ عَلَيَّ مَصْرَعُكَ يَا مُسْلِمُ، أَبْشِرْ بِالْجَنَّةِ.

فَقَالَ لَهُ مُسْلِمٌ قَوْلًا ضَعِيفًا: بَشَّرَكَ اللَّهُ بِخَيْرٍ.

فَقَالَ لَهُ حَبِيبٌ: لَوْلَا أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي فِي أَثَرِكَ لَأَحِقُّ بِكَ مِنْ سَاعَتِي هَذِهِ، لِأَحْبَبْتُ أَنْ تَوْصِيَنِي بِكُلِّ مَا أَهَمَّكَ، حَتَّى أَحْفَظَكَ فِي كُلِّ ذَلِكَ بِمَا أَنْتَ أَهْلٌ لَهُ فِي الْقَرَابَةِ وَالدِّينِ.

قَالَ: بَلْ أَنَا أَوْصِيكَ بِهَذَا رَحِمَكَ اللَّهُ - وَأَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى الْحُسَيْنِ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» - أَنْ تَمُوتَ دُونَهُ.

قَالَ: أَفْعَلُ وَرَبَّ الْكَعْبَةِ. [في الملهوف قال: لأنعمناك عينا].

قَالَ: فَمَا كَانَ بِأَسْرَعَ مِنْ أَنْ مَاتَ فِي أَيْدِيهِمْ، وَصَاحَتْ جَارِيَةٌ لَهُ فَقَالَتْ: يَا ابْنَ عَوْسَجَتَاهُ، يَا سَيِّدَاهُ! فَنَنَادَى أَصْحَابُ عَمْرُو بْنِ الْحَجَّاجِ: قَتَلْنَا مُسْلِمَ بْنَ عَوْسَجَةَ الْأَسَدِيَّ.

فَقَالَ شَبَبْتُ لِبَعْضِ مَنْ حَوْلَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ: تَكَلَّمْتُمْ أُمَّهَاتِكُمْ، إِنَّمَا تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ بِأَيْدِيكُمْ، وَتُذَلِّلُونَ أَنْفُسَكُمْ لِغَيْرِكُمْ، تَفْرَحُونَ أَنْ يُقْتَلَ مِثْلُ

(١) الآية ٢٣ من سورة الأحزاب.

مُسْلِمُ بْنُ عَوْسَجَةَ!

أما والذي أسلمتُ له، لرُبَّ مَوْقِفٍ لَهُ قَدْ رَأَيْتُهُ فِي الْمُسْلِمِينَ كَرِيمٍ،
لَقَدْ رَأَيْتُهُ يَوْمَ سَلَقَ أَذْرَبِيحَانَ قَتَلَ سَيِّئَةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَبْلَ نَتَامِ خِيُولِ
الْمُسْلِمِينَ، أَفَيُقْتَلُ مِنْكُمْ مِثْلُهُ وَتَفْرَحُونَ؟!

قال: وكان الذي قَتَلَ مُسْلِمَ بْنَ عَوْسَجَةَ مُسْلِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الضَّبَّابِيُّ
وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي خُشْكَارَةَ الْبَجَلِيُّ^(١).

وقال ابن شهر آشوب: بَرَزَ مُسْلِمُ بْنُ عَوْسَجَةَ مُرْتَجِزاً:

إِنْ تَسْأَلُوا عَنِّي فَإِنِّي ذُو لِبَدٍ مِنْ فُرْعِ قَوْمٍ فِي ذُرَى بَنِي أَسَدٍ
فَمَنْ بَغَانَا حَايِدٌ عَنِ الرَّشَدِ وَكَافِرٌ بَدِينِ جَبَّارِ صَمَدٍ

(١) موسوعة الإمام الحسين ج ٤ ص ٢٤٢ - ٢٤٤ عن المصادر التالية: تاريخ الأمم
والملوك ج ٥ ص ٤٣٥ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٣١ والكامل في التاريخ ج ٤
ص ٦٧ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ١٥ والإرشاد ج ٢ ص ١٠٣ وليس
فيه ذيله من «حتّى أحفظك» وكلها نحوه، والأماشي للشجري ج ١ ص ١٧٢ وفيه
«مسلم بن عوسجة السعدي من بني سعد بن ثعلبة، قتله مسلم بن عبد الله وعبيد
الله بن أبي خشكارة» فقط، وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٩ وراجع: أنساب
الأشراف ج ٣ ص ٤٠٠ و (ط دار التعارف) ج ٣ ص ١٩٣ وراجع: الملهوف
ص ١٦١ و (نشر أنوار الهدى) ص ٦٤ والبداية والنهاية ج ٨ ص ١٨٢ و (ط
دار إحياء التراث) ج ٨ ص ١٩٧ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٢٦٣
ولواعج الأشجان ص ١٥٢ وقاموس الرجال ج ١٠ ص ٦٩ وأعيان الشيعة ج ١
ص ٦٠٥ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص ١٣٦ وإعلام الوری ج ١
ص ٤٦٢ ونهاية الأرب ج ٢٠ ص ٤٤٨.

فَقَاتَلَ حَتَّى قَتَلَهُ مُسْلِمُ الضَّبَّابِيُّ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ الْبَجَلِيُّ^(١).

وفي جواهر المطالب: حَمَلَ ابْنُ سَعْدٍ، وَحَمَلَ النَّاسُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ قُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ الْحُسَيْنِ «عليه السلام» مُسْلِمُ بْنُ عَوْسَجَةَ «رَحِمَهُ اللَّهُ»^(٢).

وفي زيارة الناحية:

وكننت أول من شرى نفسه، وأول شهيد من شهداء الله قضى نحبه، ففزت وربّ الكعبة، شكر الله استقدامك، ومواساتك إمامك، إذ مشى إليك وأنت صريع، فقال: يرحمك الله يا مسلم بن عوسجة! وقرأ: (فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا)^(٣).. لعن الله المشتركين في قتلك، عبد الله الضبابي، وعبد الله بن خشكارة البجلي^(٤).

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ١٠٢ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣ ص ٢٥١ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٩ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٢٦٢ ولواعج الأشجان ص ١٥٢ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٦٠٥ والفتوح لابن أعثم ج ٥ ص ١٠٥ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ١٤ وليس فيه ذيله «فقاتل الخ..». وراجع: إِبْصَارُ الْعَيْنِ ص ١١٠.

(٢) جواهر المطالب لابن الدمشقي ج ٢ ص ٢٨٦ وأخبار الدول ج ١ ص ٣٢٢.

(٣) الآية ٢٣ من سورة الأحزاب.

(٤) إقبال الأعمال ج ٣ ص ٧٦ والمزار لابن المشهدي ص ٤٩٢ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ٦٩ وج ٩٨ ص ٢٧٢ وقاموس الرجال ج ١٠ ص ٦٨ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٣٣٧ وموسوعة الإمام الحسين ج ٨ ص ٢٣٠.

ونقول:

نود التذكير هنا ببضعة نقاط، هي التالية:

الإمام × يتلو الآية ويدعو لمسلم:

إن دعاء الإمام «عليه السلام» لمسلم يُنظر إليه من أكثر من زاوية، فهو:

١ - دعاء له، من إمام مطهر معصوم، مستجاب الدعوة بلا ريب..

٢ - إن دعاءه له بالرحمة ليس مجاملة له ولا لغيره، فليس الوقت وقت مجاملات، ولا يجامل الإمام بما لا حقيقة له عنده. فيكون هذا الدعاء منه «عليه السلام» له دليلاً على رضى الإمام «عليه السلام» عنه، ومحبته له «رحمه الله».

٣ - إن هذا الدعاء يدخل السرور على قلب مسلم بن عوسجة، ويؤنسه.

أما تلاوته «عليه السلام» للآية المباركة، فهي:

١ - من أسباب طمأنينة قلب مسلم بن عوسجة إلى أن إخوانه سوف يواصلون المسير على نهج الاستشهاد في سبيل الحق والدين.. وأنه لا تردد ولا تراجع عن هذا الأمر، مهما غلت التضحيات..

٢ - إن الإمام قد تلا هذه الآية لسمعها القاصي والداني، ليعرفوا أن الثبات على المبدأ من شيم وسمات وخصائص أهل الإيمان..

٣ - إنه تلا هذه الآية ليعرف العدو والصديق: أن قتل الأخيار،

وكبار القادة الأبرار لن يفت في عضد المؤمنين، ولن يغيّر من قرارهم شيئاً، ولن يوهن عزيمتهم، ولن يغير من أسلوب قتالهم، بل سيزداد حدة وشدة، وضراوة، تبعاً للممارسات البشعة التي يواجههم بها عدوهم.

أوصيك بهذا:

تقدم: أن مسلم بن عوسجة قال لحبيب بن مظاهر: «أوصيك بهذا»، وأشار إلى الإمام الحسين «عليه السلام». ثم مات مسلم «رحمه الله».

ونحن.. لا نجد الكلمات التي تليق بهذا الموقف النبيل والجليل من مسلم بن عوسجة في آخر لحظات حياته، فهو لم يكن قلقاً على مصير أهله وأبنائه، وأحبائه، وعشيرته، مع أن الأخطار الجسام كانت تحيق بهم، ولاسيما من قبل العتاة والجباريين، والمجرمين والظالمين.

كما أنه لم يكن مهتماً لمصير أمواله، وبساتينه وأراضيه، إن كان لديه منها شيء معتد به، ولم يهتم لما قيل، أو ما قد يقال عنه من ترهات وأباطيل، وما يثار من شائعات، بل كان يفكر في شيء واحد، هو: حفظ الإمام الحسين «عليه السلام»، والوفاء له، وخدمة أهدافه الجليلة، وتأييد دعوته الجميلة.

إن هذه الوصية من مسلم لحبيب تدل على مدى إخلاص ابن عوسجة للحسين «عليه السلام»، ودرجة تفاعله وانسجابه مع أهدافه التي سعى إليها، ومع القيم التي آمن وبشر بها، وعوّل عليها..

فرح الأعداء بمقتل ابن عوسجة:

إن تنادي أصحاب عمرو بن الحجاج: قتلنا مسلم بن عوسجة الأسدي،

على سبيل الفرح والاستبشار بقتله، ثم اعتراض شيبث بن ربعي على ذلك، يدل على:

ألف: إن مسلماً كان شخصية معروفة، ومتميزة، ويُحسب لها حساب، حتى لدى الأعداء.

ب: إن هذا الاستبشار يدل على أنهم كانوا يخشون سطوته، وصولته في الحرب.

ج: إن اعتراض شيبث بن ربعي على استبشارهم بقتل مسلم لا يدل على حبه بقاء مسلم من أجل قناعته بآرائه، أو حبه لدين مسلم وتقواه، بل هو يحب بقاءه من أجل الدنيا، وانطلاقاً من مفاهيم غبية وبغيضة عند أهل الدين، والمحبين للحق وأهله. بل ليكون من مفاخر العرب بشجعانهم، وأبطالهم، ولو كانوا أكفر الناس، وأسوأهم، أدباً وأخلاقاً، وسلوكاً، أو كانوا من فراعنة هذه الأمة، وعتاتها وطغاتها.

فإن شيبثاً كان بصدد قتل أقدس البشر، ومن يدافع عن الحسين «عليه السلام» ويقتل معه لا يمكن أن يحبه شيبث لدينه، أو لفضله، وتقواه، بل يريد أن ليفتخر به في نطاق الاهتمامات التي يرتضيها أمثاله، من الفسقة الفجرة، وأهل الباطل لأنفسهم.

قتلة مسلم بن عوسجة:

وقد رأينا في النصوص المتقدمة: أن ثمة اختلافاً في أسماء الذين شاركوا في قتل مسلم، ففي بعضها: أن الذي قتله رجلاًن، هما: مسلم بن عبد الله الضبابي، وعبد الرحمان بن أبي خشكارة البجلي.

وفي زيارة الناحية: قتله: عبد الله الضبابي، وعبد الله بن خشكاره البجلي.

مسلم أول شهيد:

تقدم: أن مسلم بن عوسجة أول شهيد في أصحاب الإمام الحسين «عليه السلام» وقد ورد ذلك في العديد من المصادر. بل في زيارة الناحية قوله: وكنت أول من شرى نفسه، وأول شهيد من شهداء الله قضى نحبه.

ثم كان الشهيد الثاني - كما ذكره الطبري - هو: عبد الله بن عمير الكلبي. كما سيأتي.

أما الحر الرياحي «رحمه الله»، فإن النصوص وإن ذكرت أنه طلب من الإمام: أن يكون أول شهيد بين يديه كما سيأتي.. ولكن سيأتي أيضاً: أنه استشهد بعد حبيب بن مظاهر الأسدي «رضوان الله تعالى عليهما»، وذلك قبيل صلاة الظهر..

كلام الباعوني:

وتقدم قول الباعوني في كتابه جواهر المطالب: حمل ابن سعد، وحمل الناس من كل جانب، فكان أول من قتل من أصحاب الحسين مسلم بن عوسجة.

ونقول:

إن مسلماً، إنما قتل في حملة اليمينة بقيادة عمرو بن الحجاج،

ولكن بما أن عمر بن سعد كان قائد الجيش كله، فيصح أن يقال عن حملة ميمنة جيشه: بأنها حملته. والمراد بالناس الذين حملوا، هم: الميمنة. كما قلنا.

كما أن من الواضح: أن قتل مسلم بن عوسجة كان في الهجوم الثاني للميمنة، بقيادة عمرو بن الحجاج، والتي حصلت من جهة الفرات..

الميسرة تهاجم أيضاً:

قالوا: وحملَ شمرٌ في الميسرةِ حتَّى طعنَ فسطاطَ الحسين «عليه السلام» برُمحه، ونادى: عليّ بالنار حتَّى أحرَقَ هذا البيتَ على أهله، فصَحَنَ النساءُ وولولنَ، وخرجنَ مِنَ الفسطاطِ.

قال: وصاحَ به الحسينُ «عليه السلام»: يا ابنَ ذي الجوشن! أنتَ تدعو بالنارَ لِتُحرَّقَ بيتي على أهلي؟ حرَّقَكَ اللهُ بالنار!

قال أبو مخنف: حدَّثني سليمانُ بنُ أبي راشدٍ، عن حميدِ بنِ مسلمٍ، قال: قلتُ لشمرِ بنِ ذي الجوشن: سبحانَ الله! إنَّ هذا لا يصلحُ لك، أتريدُ أن تجمَعَ على نفسك خصلتين، تُعَذَّبُ بعذابِ الله، وتقتلُ الولدانَ والنساء؟ والله، إنَّ في قتلِكَ الرجالَ لما تُرضي به أميرَكَ.

قال: فقال: مَنْ أنتَ؟

قال: قلتُ: لا أخبرُكَ مَنْ أنا.

قال: وخشيتُ والله، أن لو عرَفَني أن يضرَّني عندَ السلطان.

قال: فجاءهُ رجلٌ كانَ أطوعَ له مِنِّي، شَبَّتُ بنُ ربيعيٍّ، فقال: ما رأيتُ مَقالاً أسوأَ مِن قولِكَ، ولا موقِفاً أقبحَ مِن موقِفِكَ، أمرُ عِبا للنساءِ

صِرت؟

قال: فَأَشْهَدُ أَنَّهُ اسْتَحْيَا، فَذَهَبَ لِيَنْصَرِفَ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ زُهَيْرُ بْنُ الْقَيْنِ فِي رَجَالٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَشْرَةَ، فَشَدَّ عَلَى شِمْرِ بْنِ ذِي الْجَوْشَنِ وَأَصْحَابِهِ، فَكَشَفَهُمْ عَنِ الْبُيُوتِ حَتَّى ارْتَفَعُوا عَنْهَا، فَصَرَ عُوا أَبَا عَزَّةَ الضَّبَّابِيَّ فَقَتَلُوهُ، فَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ شِمْرِ (١).

زاد المفيد هنا قوله:

وعطف عليهم شمر بن ذي الجوشن، فقتل من القوم ورد الباقيين إلى مواضعهم، وأنشأ زهير بن القين يقول مخاطباً للحسين «عليه السلام»:

اليوم نلقى جدك النبيا وحسنا والمرضى عليا

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٣٨ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٣٤ والإرشاد ج ٢ ص ١٠٤ والكامل في التاريخ ج ٤ ص ٦٩ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص ١٤١ وراجع: الملهوف ص ١٧٣ و (نشر أنورا الهدى) ص ٧٢ وبحار الأنوار ج ٤ ص ٥٤ وإعلام الوري ج ١ ص ٤٦٣ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ١٦ وإبصار العين ص ١٦٦ وأنساب الأشراف (ط دار التعارف) ج ٣ ص ١٩٤ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٣٤٠ وراجع: موسوعة الإمام الحسين ج ٤ ص ١٣٥ و ١٣٦.

وذا الجناحين الفتى الكمي^(١).

الكمي: الرجل الشجاع، أو لابس السلاح.

ونقول:

هذه هي المرحلة الخامسة:

عرفنا: أن الحركة القتالية قد سارت وفق المراحل التالية:

- ١ - مرحلة رمي ابن سعد وجيشه سهام حقدهم وبغيهم على الإمام الحسين «عليه السلام» وأصحابه.
- ٢ - بعض المبارزات التي صرح المؤرخون بحصولها فور انتهاء الرمي، مثل: مبارزة عبد الله بن عمير الكلبي ليسار وسالم مولي زياد، وابنه عبيد الله.
- ٣ - هجوم ميمنة ابن سعد بقيادة عمرو بن الحجاج على ميسرة الحسين «عليه السلام»، أو على جميع أصحاب الحسين «صلوات الله وسلامه عليه».
- ٤ - هجوم ثانٍ لميمنة ابن سعد، بقيادة عمرو بن الحجاج على الحسين وأصحابه من ناحية الفرات، فقتل مسلم بن عوسجة. وهو أول شهيد من الأصحاب «رضوان الله عليهم».
- ٥ - ثم هجوم ميسرة ابن سعد بقيادة شمر بن ذي الجوشن على

(١) الإرشاد ج ٢ ص ١٠٤ و ١٠٥ ولواعج الأشجان ص ١٥٥ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٦٠٦.

ميمنة الحسين «عليه السلام»، أو على جميع أصحابه، وهي هذه الحملة التي ذكرت في هذا النص المتقدم.

زهير.. في عشرة أشخاص:

وتقدم: أن زهير بن القين في عشرة أشخاص فقط قد كشفوا شمر بن ذي الجوشن، ومعه ميسرة جيش ابن سعد، التي قد لا يقل عددها عن عشرة آلاف مقاتل - كشفوهم - عن بيوت الحسين «عليه السلام»، وأعادوا إلى النساء والولدان الأمن والسكينة.

وهذا إنجاز عظيم، بل لعلنا لا نجد له نظيراً في الحروب في طول التاريخ. بل إن نفس أن يفكر هؤلاء العشرة بالتصدي للألف والألفين يعد من الغرائب والعجائب، فما بالك إذا كان عدد المهاجمين يناهز العشرة آلاف؟!!

وكيف يمكن أن نتصور غلبة هذه العدة اليسيرة على تلك الجموع الغفيرة؟!!

وكيف، وعلى أي حال، تمت هزيمة هذه الألوف؟!!

وهل يمكن رسم صورة للحظة حصول هذه الهزيمة؟

وما هي الخطة الحربية التي مكنت عشرة أشخاص من هذا الإنجاز الهائل؟! والعجيب؟!!

وسؤال آخر محير أيضاً يطرح هنا، عن أعداد القتلى في صفوف الأعداء المهاجمين، ولماذا لم يذكر في عداد قتلى أصحاب الشمر، سوى أبي عزة الضبابي؟ فإن المفروض أن لا يتحقق إنجاز كهذا إلا بقتل

مئات أو على الأقل عشرات من المهاجمين؟

ولماذا لم يذكر أن أحداً من جماعة زهير قد أصيب بمكروه؟! ولماذا؟! ولماذا؟!

ولماذا؟!

وقاحة وبغي.. مقابل نبيل وأدب:

رأينا فيما سبق: أن شمر بن ذي الجوشن لا يتورع عن طلب إتيانه بنار ليحرق بيت الحسين على أهله، مع أن الجميع يعلم: أن فيه حرم أهل بيت النبوة، وأن فيه أطفالاً ونساءً وليس على هؤلاء جناح.. وكان الناس حتى في الجاهلية يرون التعرض للنساء مجلبة للعار. والكل يعلم أيضاً: أن حرب جيش يزيد ضد الحسين «عليه السلام» مبنية على الخيانة والغدر.. وأنها قائمة على مقابلة الجميل بالقبيح، والإحسان بالإساءة.

وأنها إساءة إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وتوجب غضب الله وانتقامه، ولعنته، ولعنة الملائكة والناس أجمعين.

هذا في جانب.. وفي الجانب الآخر نجد الإمام الحسين «عليه السلام» يقابل هذه الإساءة الوقحة من الشمر «لعنه الله»، بمجرد الدعاء عليه: بأن يبتليه الله تعالى بمثل ما يريد فعله بأهل بيت النبي «صلى الله عليه وآله»، ولم نره قد شتمه، أو وصفه بوصف قد يقال: إنه جارح، ولم ينسب، إليه أي أمر يشعر بأنه «عليه السلام» يقصد التشفي به. وهذا هو الأدب الجميل، من رجل نبيل تربي في مهبط الوحي والتنزيل..

منطق شبت أولى بالقبول عند الشمر:

وقد لاحظنا: أن حميد بن مسلم حين كلم الشمر لم يؤثر كلامه فيه، ربما لأنه لم يكلمه بمنطق أهل الطغيان. بل لعل كلامه ربما كان قد شجع الشمر على مواصلة الفعل القبيح الذي كان بصدد، فقد احتج عليه حميد: بأنه ليس له أن يعذب بعذاب الله.. مع أن الشمر لا يرى في هذا الأمر محذوراً، بل هو يفرح إن فهم الناس أنه يتشبه بالله تعالى..

كما أن قول حميد له: «إن في قتلك الرجال ما يرضي أميرك». لا يعني أن قتل النساء والولدان لا يرضي أميره، بل هو يعلم: أن ذلك سوف يفرح ذلك الأمير المجرم والفاجر، الذي هو من الشجرة الملعونة في القرآن..

أما منطق شبت بن ربعي، فلا يختلف عن منطق الشمر وعبيد الله، ويزيد «لعنهم الله». ولذا نرى أنه قد اقتصر على تذكيره: بأن ما يفعله أمر معيب عند الناس، الذين كان شمر وأضرابه يخطبون ودّهم، ويهمهم أمرهم، ورأيهم، حقاً كان أو باطلاً..

رجز زهير:

ونلاحظ هنا: أن مضمون رجز زهير بن القين، ما هو إلا التعبير الصادق عن الأمنيات القلبية لهذا الرجل التقي والمخلص في حبه وولائه للنبي وأهل بيته.. فهو لم يذكر اشتياقه إلى الجنة ونعيمها، وما فيها من حور وقصور، وملذات. بل كانت أمنيته الأعلى، ونعيمه الأعلى هو لقاء

النبي «صلى الله عليه وآله» وعلي والحسن، وجعفر ذي الجناحين «صلوات الله عليهم».

من شهداء أول القتال:

١ - قال ابن طاووس: برز عمرو بن خالد الصيداوي، فقال للحسين «عليه السلام»: يا أبا عبد الله، جعلت فداك! قد هممت أن ألحق بأصحابي، وكرهت أن أتخلف فأراك وحيداً فريداً بين أهلِكَ قتيلاً.

فقال له الحسين «عليه السلام»: تقدّم، فإنّا لاحقون بك عن ساعة. فتقدّم، فقاتل حتى قُتل «رضوان الله عليه»^(١).

٢ - عن فضيل بن خديج الكندي: فأما الصيداوي عمر بن خالد، وجابر بن الحارث السلمي، وسعد مولى عمر بن خالد، ومجمع بن عبد الله العائذي، فإنهم قاتلوا في أول القتال، فشددوا مقدمين بأسيا فهم على الناس.

فلما وغلوا عطف عليهم الناس، فأخذوا يحوزونهم، وقطعواهم من أصحابهم غير بعيد.

فحمل عليهم العباس بن علي فاستنقذهم، فجأؤوا قد جرحوا.

(١) موسوعة الإمام الحسين ج ٤ ص ٢٣٦ عن: الملهوف ص ١٦٣ ومثير الأحران ص ٦٤ نحوه، وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ٢٣ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٢٤ وفيه «عمر بن خالد الصيداوي».

فَلَمَّا دَنَا مِنْهُمْ عَدُوُّهُمْ شَدَّوْا بِأَسْيَافِهِمْ فَقَاتَلُوا فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ، حَتَّى قُتِلُوا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ^(١).

ونقول:

المدهشات في عاشوراء:

١ - إن مما يحار فيه اللبيب، ويدهش فيه العاقل والعارف الأريب: أن ترى جيشاً هو كالبحر المتلاطم، وقد غصت به الصحراء المترامية الأطراف يواجه أربعة رجال، ولا يتمكن من السيطرة عليهم، أو إيصال الأذى إليهم، إلا ببعض الجراح التي نالتهم، حتى مع كونهم قد غاصوا في أوساط ذلك الجيش، وانقطعت صلتهم بأصحابهم..

٢ - ولكن الأغرب والأعجب من ذلك كله: أن نرى رجلاً واحداً، وواحداً فقط يبادر إلى مهاجمة ذلك الجيش، ويفك الحصار عن أولئك الأربعة، ويستنقذهم.

٣ - وأهم وأعجب من هذا وذاك: أن نجد بعض المتحلقين يحاول التشكيك، وإثارة الشبهة حول ما يقال عن أعداد الذين سقطوا من الأعداء بسيفوف أصحاب الحسين «عليه السلام» في كربلاء، بادعاء

(١) موسوعة الإمام الحسين ج ٤ ص ٢٣٦ عن: تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٤٦ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٥٦٩ وفيه: «جبار بن الحارث السلماني» و «مجمع عبيد الله العائذي».

أنها من المبالغات التي أنشأها القصاصون، أو قراء العزاء، أو غيرهم،
لأهداف غير سليمة ولا حكيمة.

بل إنه بالرغم من وجود نصوص كثيرة تذكر أعداداً كبيرة قتلهم
فرسان الهيجا من أصحاب الإمام «عليه السلام» يوم عاشوراء، نجد
أن بعض الرواة يستبدل هذه الأرقام العالية التي تعد بالعشرات لبعض
حماة أصحاب الحسين «عليه السلام» بأعداد زهيدة، فيدّعي أنه إنما
قتل رجلاً، أو رجلين مثلاً، أو أكثر بقليل.

٤ - ثم نرى هؤلاء النوادر، والأفذاذ من البشر، الذين ذاقوا لتوهم
من أهوال الحرب المرارات الشديدة والأكيدة، وقد تركت في أجسادهم
جراحاً، تضج بالألم، وتزيد في المعاناة - نراهم - بمجرد أن دنا منهم
عدوهم يشدون عليه بأسيافهم من جديد، ولا يبرحون حتى ينالوا درجة
الشهادة والسعادة في مكان واحد.

الفصل الثالث:

الهجوم الشامل.. واستشهاد حبيب والحر..

عقر الخيول وإحراق البيوت:

وبعد فشل هجومي الميمنة، وهجوم، أو هجومي الميسرة بادر ابن سعد إلى الهجوم الشامل، فلاحظ ما يلي:

١ - قال الشيخ المفيد «رحمه الله»:

وقَاتَلَ أَصْحَابُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» الْقَوْمَ أَشَدَّ قِتَالٍ حَتَّى انْتَصَفَ النَّهَارُ، فَلَمَّا رَأَى الْحُصَيْنُ بْنُ نُمَيْرٍ - وَكَانَ عَلَى الرُّمَاءِ - صَبَرَ أَصْحَابُ الْحُسَيْنِ «عَلَيْهِ السَّلَامُ»، تَقَدَّمَ إِلَى أَصْحَابِهِ - وَكَانُوا خَمْسَمِئَةَ نَابِلٍ الْخ. (١).

٢ - وفي الطبري، عن الزبيدي: وقَاتَلَهُمْ أَصْحَابُ الْحُسَيْنِ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» قِتَالًا شَدِيدًا، وَأَخَذَتْ خَيْلُهُمْ تَحْمِلُ، وَإِنَّمَا هُمُ اثْنَانِ وَثَلَاثُونَ فَارِسًا، وَأَخَذَتْ لَا تَحْمِلُ عَلَى جَانِبٍ مِنْ خَيْلِ أَهْلِ الْكُوفَةِ إِلَّا كَشَفَتْهُ (٢).

(١) الإرشاد ج ٢ ص ١٠٤ وإعلام الوري ج ١ ص ٤٦٣ وراجع: نهاية الأرب ج ٢٠ ص ٤٤٩.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٣٦ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٣٢ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص ١٣٩ وإعلام الوري ج ١ ص ٤٦٣ والكامل في التاريخ ج ٤ ص ٦٨ والإرشاد ج ٢ ص ١٠٤.

فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عَزْرَةُ [في الإرشاد: عروة] بَنُ قَيْسٍ - وَهُوَ عَلَى خَيْلِ
أَهْلِ الْكُوفَةِ - أَنَّ خَيْلَهُ تَتَكَشَّفُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، بَعَثَ إِلَى عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ عَبْدِ
الرَّحْمَنِ بْنِ حِصْنٍ، فَقَالَ: أَمَا تَرَى مَا تَلْقَى خَيْلِي مُدُّ الْيَوْمِ مِنْ هَذِهِ
الْعِدَّةِ الْيَسِيرَةِ؟ إِبْعَثْ إِلَيْهِمُ الرِّجَالَ وَالرُّمَاهُ.

فَبَعَثَ إِلَيْهِمُ بِالرُّمَاهُ، فَعُوِّرَ بِالْحُرِّ بْنِ يَزِيدَ فَرَسُهُ، فَنَزَلَ عَنْهُ وَجَعَلَ
يَقُولُ:

إِنْ تَعْقِرُوا بِي فَأَنَا ابْنُ الْحُرِّ أَشْجَعُ مِنْ ذِي لِبَدٍ هَزْبِرٍ.

وَيَضْرِبُهُمْ بِسَيْفِهِ، وَتَكَاثَرُوا عَلَيْهِ، فَأَشْتَرَكَ فِي قَتْلِهِ أَيُّوبُ بْنُ مُسَرَّحٍ
وَرَجُلٌ آخَرُ مِنْ فُرْسَانَ أَهْلِ الْكُوفَةِ.

[في الإرشاد: وجرحوا الرجال، وأرجلوه. واشتد القتال بينهم
ساعة] (١).

ثم ذكر المفيد هنا: هجوم الشمر، وردّه من قبل زهير بن القين
وجماعته، حسبما قدمناه.

الهزير: من أسماء الأسد.

(١) موسوعة الإمام الحسين ج ٤ ص ١٣٤ و ١٣٥ عن تاريخ الأمم والملوك
ج ٥ ص ٤٣٦ (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٣٢ والكامل في التاريخ ج ٤ ص ٦٨
و ٦٩ نحوه، وفيه «الحسين بن نمير». وراجع: المنتظم في تاريخ الأمم
 والملوك ج ٥ ص ٣٣٩ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص ١٣٩ وراجع:
الإرشاد ج ٢ ص ١٠٤ وإعلام الوري ج ١ ص ٤٦٣ ومثير الأحزان ص ٥٩
و ٦٠.

اللبدة: الشعر المتركب بين كتفي الأسد.

٣ - قالوا أيضاً: رَكِبَ الْحُسَيْنُ «عليه السلام» دَابَّةً لَهُ، وَوَضَعَ الْمُصْحَفَ فِي حِجْرِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَمَا زَادَهُمْ ذَلِكَ إِلَّا إِقْدَاماً عَلَيْهِ.

في مقتل الخوارزمي وتاريخ الطبري: «فَاقْتَتَلَ أَصْحَابُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ قِتَالاً شَدِيداً»^(١).

٤ - وقالوا أيضاً: وَدَعَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ الْحُصَيْنَ بْنَ ثَمِيمٍ، فَبَعَثَ مَعَهُ الْمُجَفَّةَ، وَخَمْسَمِئَةَ مِنَ الْمُرَامِيَةِ، فَرَشَقُوا الْحُسَيْنَ «عليه السلام» وَأَصْحَابَهُ بِالنَّبْلِ حَتَّى عَفَرُوا خِيُولَهُمْ، فَصَارُوا رَجَالَهُ كُلَّهُمْ.

وَاقْتَتَلُوا نِصْفَ النَّهَارِ أَشَدَّ قِتَالٍ وَأَبْرَحَهُ، [وفي الطبري والخوارزمي: أَشَدَّ قِتَالٍ خَلَقَهُ اللَّهُ] وَجَعَلُوا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى إِتْيَانِهِمْ إِلَّا مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ؛ لِاجْتِمَاعِ أَبْنِيَّتِهِمْ وَتَقَارُبِهَا، وَلِمَكَانِ النَّارِ الَّتِي أَوْقَدُوهَا خَلْفَهُمْ.

وَأَمَرَ عُمَرُ بِتَخْرِيقِ أَبْنِيَّتِهِمْ وَبُيُوتِهِمْ، فَأَخَذُوا يُخْرِقُونَهَا بِرِمَاحِهِمْ وَسُيُوفِهِمْ، [في الخوارزمي: فَأَرْسَلَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ الرِّجَالَ لِيُقَوِّضُوا الْأَبْنِيَّةَ مِنْ عَن شَمَائِلِهِمْ وَأَيْمَانِهِمْ، لِيُحِيطُوا بِهَا].

وَأَخَذَ الثَّلَاثَةُ وَالْأَرْبَعَةَ مِنْ أَصْحَابِ الْحُسَيْنِ «عليه السلام» يَتَخَلَّلُونَ

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ١٦ وراجع تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٢٣ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٢١ وتجارب الأمم ج ٢ ص ٧٦ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص ١١٥.

بَيْنَهَا، فَيَشْتُونَ عَلَى الرَّجُلِ وَهُوَ يُقَوِّضُ، وَيَنْهَبُ فَيْرْمُونَهُ عَنْ قَرِيبٍ،
فَيَصْرَعُونَهُ وَيَقْتُلُونَهُ.

فَأَمَرَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ أَنْ يُحْرِقُوهَا بِالنَّارِ، [فِي الطَّبْرِيِّ قَالَ لَهُمْ: وَلَا
تَدْخُلُوا بَيْتًا وَلَا تُقَوِّضُوهُ].

فَقَالَ الْحُسَيْنُ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» لِأَصْحَابِهِ: دَعَوْهُمْ فَلْيُحْرِقُوهَا، فَإِنَّهُمْ
لَوْ فَعَلُوا لَمْ يَجُوزُوا إِلَيْكُمْ مِنْهَا، فَأَحْرَقُوهَا، وَكَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ^(١).

وبعد أن ذكروا هجوم الشمر في الميسرة، وقتل أبي عزة الضبابي
«لعنه الله»، قالوا: وَتَعَطَّفَ النَّاسُ عَلَيْهِمْ فَكَثَرُوا، فَلَا يَزَالُ الرَّجُلُ مِنْ
أَصْحَابِ الْحُسَيْنِ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» قَدْ قُتِلَ، فَإِذَا قُتِلَ مِنْهُمْ الرَّجُلُ
وَالرَّجُلَانِ نَبَّيْنِ فِيهِمْ، وَأُولَئِكَ كَثِيرٌ لَا يَنْبَيِّنُ فِيهِمْ مَنْ يُقَتَّلُ مِنْهُمْ^(٢).

(١) راجع المصادر التالية: أنساب الأشراف ج ٣ ص ٤٠١ و (ط دار التعارف)
ج ٣ ص ١٩٤ وتاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٣٧ و ٤٣٨ و (ط الأعلمي)
ج ٤ ص ٣٣٢ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص ١٤١ وراجع: المنتظم في
تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٣٤٠ والكامل في التاريخ ج ٤ ص ٦٩ ومقتل
الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ١٦ ونهاية الأرب ج ٢٠ ص ٤٤٩.

(٢) موسوعة الإمام الحسين ج ٤ ص ١٣٥ و ١٣٦ عن تاريخ الأمم والملوك
ج ٥ ص ٤٣٨ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٣٤ والكامل في التاريخ ج ٤
ص ٦٩ و ٧٠ نحوه. وراجع: الملهوف ص ١٧٣ و (نشر أنوار الهدى)
ص ٧٢ وبحار الأنوار ج ٤ ص ٥٤ والإرشاد ج ٢ ص ١٠٤ وإعلام
الورى ج ١ ص ٤٦٣ وراجع: مقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ١٦ ومقتل

ويتابع المفيد، فيقول:

«وَأَشَدُّ الْقِتَالِ وَالنَّحْمَ، وَكَثُرَ الْقَتْلُ وَالْجِرَاحُ فِي أَصْحَابِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ «عليه السلام» إِلَى أَنْ زَالَتْ الشَّمْسُ، فَصَلَّى الْحُسَيْنُ «عليه السلام» بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الْخَوْفِ»^(١).

ونقول:

لنا مع ما تقدم وقفات هي التالية:

لا يخفى أن هذه هي المرحلة، أو قل: التدبير السابع لجيش الظالمين ضد أهل الحق والدين.

وهي مرحلة صعبة، ولكنها تُظهر كيف أن هذا الصمود الهائل للحسين وأصحابه يعطي: أن المراد من النص المروي عن الأئمة الطاهرين، من أن النصر قد رُفِرَ فوق رأس الحسين «عليه السلام»، فاختار «عليه السلام» لقاء الله على النصر، شوقاً له تعالى، واختياراً لأفضل الأعمال.. هو أن كل هذا الصبر، وهذا الجهاد لا يأتي بالنصر بنفسه، بل يحتاج إلى تدخل إلهي، ولكنه قد جعل النصر بحيث لو اختاره الإمام «عليه السلام» لمنحه الله إياه، ولو عن طريق الإمداد بالملائكة، والمعجزة، أو غير ذلك. ولكنه أراد «عليه السلام» أن ينال

الحسين لأبي مخنف ص ١٤٢.

(١) الإرشاد ج ٢ ص ١٠٤ و ١٠٥ وراجع: إعلام الوري ج ١ ص ٤٦٤ والدر
النظيم ص ٥٥٤.

المزيد من درجات القربى، المرهونة بقاء الله، الذي يزيد الدين قوة وصلاحه في مواجهة الباطل.

من عقر فرس الحر؟!:

عن نمير بن ولة: إنَّ أيوبَ بنَ مشرَحَ الخيوانيِّ كانَ يَقولُ: أنا واللهِ عَقَرْتُ بالحرِّ بنَ يزيدَ فَرَسَهُ، حَسَّائُهُ سَهْمًا، فَمَا لَبِثَ أَنْ أُرْعِدَ الفَرَسَ، وَأَضْطَرَبَ وَكَبَا، فَوَتَّبَ عَنْهُ الحُرُّ كَأَنَّهُ لَيْثٌ، وَالسَّيْفُ فِي يَدِهِ، وَهُوَ يَقولُ:

إِنْ تَعْقِرُوا بِي فَأَنَا ابْنُ الحُرِّ أَشْجَعُ مِنْ ذِي لِبَدٍ هَزْبِر

قال: فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا قَطُّ يَفْرِي فَرِيَهُ.

قال: فقال لَهُ أَشِيَاخُ مِنَ الحَيِّ: أَنْتَ قَتَلْتَهُ؟

قال: لا واللهِ ما أَنَا قَتَلْتُهُ، وَلَكِنْ قَتَلَهُ غَيْرِي، وَمَا أَحْبَبُّ أَنِّي قَتَلْتُهُ.

فَقَالَ لَهُ أَبُو الوَدَّاعِ: وَلِمَ؟

قال: إِنَّهُ كَانَ - زَعَمُوا - مِنَ الصَّالِحِينَ، فَوَاللَّهِ لَنْ كَانَ ذَلِكَ إِثْمًا، لَأَنْ أَلْقَى اللَّهَ بِإِثْمِ الجَرَاخَةِ وَالْمَوْقِفِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَاهُ بِإِثْمِ قَتْلِ أَحَدٍ مِنْهُمْ.

فَقَالَ لَهُ أَبُو الوَدَّاعِ: مَا أَرَاكَ إِلَّا سَتَلْقَى اللَّهَ بِإِثْمِ قَتْلِهِمْ أَجْمَعِينَ، أَرَأَيْتَ لَوْ أَلَّاكَ رَمَيْتَ ذَا فَعَقَرْتَ ذَا، وَرَمَيْتَ آخَرَ، وَوَقَفْتَ مَوْقِفًا، وَكَرَرْتَ عَلَيْهِمْ، وَحَرَّضْتَ أَصْحَابَكَ، وَكَثَّرْتَ أَصْحَابَكَ، وَحُمِلَ عَلَيْكَ، فَكْرَهْتَ أَنْ تَفِرَّ، وَفَعَلَ آخَرُ مِنْ أَصْحَابِكَ كَفَعْلِكَ، وَآخَرُ، وَآخَرُ، كَانَ هَذَا وَأَصْحَابُهُ يُقَتِّلُونَ؟

أَنْتُمْ شُرَكَاءُ كُلُّكُمْ فِي دِمَائِهِمْ.

فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا الْوَدَّاعِ، إِنَّكَ لَتُقْتَلُنَا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ! إِنْ كُنْتَ وَلِيَّ
حِسَابِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَا غَفَرَ اللَّهُ لَكَ إِنْ غَفَرْتَ لَنَا!

قَالَ: هُوَ مَا أَقُولُ لَكَ^(١).

حشاته سهماً: إذا أدخلته جوفه.

ونقول:

١ - إن قول أيوب بن مشرح الخيواني: فما رأيت أحداً قط يفري
فريه. يدل على كثرة من أرداهم الحر «رحمه الله» بسيفه، فمحاولة
تقليل أعدادهم تصبح غير ذات جدوى، ويشهد لذلك: ما روي عن
الإمام الصادق «عليه السلام»، من أنه قتل أربعين فارساً وراجلاً كما
سيأتي.

٢ - رأينا: أن الخيواني يكره قتل الحر، وغيره من الأصحاب..
وذكر أن سبب ذلك: أنه سمع أنه من الصالحين. بل ظاهر كلامه: أن
صلاح أصحاب الحسين «عليه السلام» كان متداولاً بين الناس،
ولذلك هو لا يريد أن يلقي الله بإثم قتل أحد منهم، وهذه حجة أخرى
على هذا الرجل، تضاف إلى مثيلاتها.. مما يوجب له الإثم العظيم،
والعذاب الأليم..

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٣٧ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٣٣ ومقتل
الحسين لأبي مخنف ص ١٤٠.

ومما يشهد على ما نقول:

١ - أنه وجميع أفراد ذلك الجيش كانوا يعلمون أنهم إنما يشاركون في قتل مسلمين، وقد رأوهم بأمر العين يصلون صلاة الظهر - صلاة الخوف - وسط ميدان القتال..

٢ - أنهم يعلمون: أن بينهم أهل بيت نبيهم، وأقدس الناس على وجه الأرض، وسيد شباب أهل الجنة..

ومناشدات واحتجاجات الإمام الحسين وأصحابه عليهم لم تدع لأي منهم سبيلاً لادعاء الجهل، أو الشبهة في أمرهم، أو أي شيء يمكن أن يكون سبيل نجاة من الحساب والعقاب يوم القيامة..

٣ - إن ما ذكره أبو الوداك كان من الواضح والبداهة بحيث لم يستطع الخيواني أن يقابله بشيء سوى الإصرار الغبي، الذي لا مبرر له.. لاسيما وأنهم يحاربون الإمام المنسوب من قبل رسول الله «صلى الله عليه وآله» في قوله: الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا، بالإضافة إلى نصوص أخرى.

ومناوأة الإمام المنسوب، والسعي في قتله، والمساعدة على ذلك يخرج الإنسان من دائرة الإيمان والإسلام.

وقد تقدم: أن الإمام الحسين «عليه السلام» ألمح إلى كفر هؤلاء الذين جاؤوا لحربه.. وربما سيأتي بعض من ذلك أيضاً..

٤ - وقد كان الجيش يعلم: أن الحسين «عليه السلام» لم يأت لحرب أحد، وإنما جاء استجابة لاستغاثة طائفة كبيرة من الناس، فلما

لَبَّاهَا انقلبت عليه، وأرادت أسره وتسليمه إلى عدوه، أو قتله.

كما أن الجميع يعلمون أنه «عليه السلام»، وكذلك أصحابه لم يقترفوا أي جرم يبيح قتلهم، فهم لم يقتلوا أحداً، ولم يستولوا على مال أحد، كما أنهم لم يفسدوا في الأرض، ولا ابتدعوا في الدين، ولا.. ولا.. الخ..

ولنفترض أنهم فعلوا شيئاً من ذلك - على سبيل فرض المحال، وهو ليس بمحال -، فإن الله لم يخول يزيد، ولا ابن زياد، ولا عمر بن سعد، ولا الشمر، ولا أحداً من ذلك الجيش كله أن يحاسب ويعاقب أحداً من الناس. وادّعاء الحاكمية لهؤلاء لا مبرر له، بل هم ظلمة جبارون، ومتغلبون على أهل الحق، وغاصبون، ولا تجوز لهم الإمرة على أحد.

وهل يوكل الله حساب عباده وعقابهم إلى الفجار والأشرار، الذين لم يدعوا مأثماً إلا فعلوه، ولا جرماً إلا ارتكبوه..

من بطولات الحر الرياحي:

عن النضر بن صالح، أبي زهير العبسي: إِنَّ الْحُرَّ بْنَ يَزِيدَ لَمَّا لَحِقَ بِحُسَيْنٍ «عليه السلام»، قَالَ رَجُلٌ مِّنْ بَنِي تَمِيمٍ مِّنْ بَنِي شَقْرَةَ، وَهُمْ بَنُو الْحَارِثِ بْنِ تَمِيمٍ، يُقَالُ لَهُ: يَزِيدُ بْنُ سُفْيَانَ: أَمَا وَاللَّهِ، لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ الْحُرَّ بْنَ يَزِيدَ حِينَ خَرَجَ لِاتَّبَعْتُهُ السَّنَانَ.

قَالَ: فَبَيْنَا النَّاسُ يَتَجَاوَلُونَ وَيَقْتَتِلُونَ، وَالْحُرُّ بْنُ يَزِيدَ يَحْمِلُ عَلَى الْقَوْمِ مُقَدِّمًا، وَيَنْمَلُّ قَوْلَ عَنَتَرَةَ:

مَا زِلْتُ أَرْمِيهِمْ بِثَغْرَةِ نَحْرِهِ وَلِبَائِهِ حَتَّى تَسْرِبَلَ بِالدَّمِّ

قَالَ: وَإِنَّ فَرَسَهُ لَمَضْرُوبٌ عَلَى أُذُنَيْهِ وَحَاجِبِهِ، وَإِنَّ دِمَاءَهُ لَتَسِيلُ، فَقَالَ الْحُصَيْنُ بْنُ تَمِيمٍ - وَكَانَ عَلَى شُرْطَةِ عَبِيدِ اللَّهِ، فَبَعَثَهُ إِلَى الْحُسَيْنِ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» وَكَانَ مَعَ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ، فَوَلَّاهُ عُمَرُ مَعَ الشُّرْطَةِ الْمُجَقَّفَةِ - لِيَزِيدَ بْنِ سُفْيَانَ: هَذَا الْحُرُّ بْنُ يَزِيدَ الَّذِي كُنْتَ تَتَمَتَّى.

قَالَ: نَعَمْ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: هَلْ لَكَ يَا حُرُّ بْنُ يَزِيدَ فِي الْمُبَارَزَةِ؟

قَالَ: نَعَمْ، قَدْ شِئْتُ.

فَبَرَزَ لَهُ.

قَالَ: فَأَنَا سَمِعْتُ الْحُصَيْنَ بْنَ تَمِيمٍ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَأُبْرُزُ لَهُ فَكَأَنَّمَا كَانَتْ نَفْسُهُ فِي يَدِهِ، فَمَا لَبَّيْتُ الْحُرَّ حِينَ خَرَجَ إِلَيْهِ أَنْ قَتَلَهُ^(١).

زاد في رواية عن الإمام الصادق «عليه السلام» قوله: «فَمَا لَبِثَ الْحُرُّ أَنْ قَتَلَهُ وَقَتَلَ أَرْبَعِينَ فَارِسًا وَرَاجِلًا»^(٢).

(١) موسوعة الإمام الحسين ج ٤ ص ١٩٢ و ١٩٣ وتاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٣٤ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٣٠ والكامل في التاريخ ج ٤ ص ٦٩ وراجع: أنساب الأشراف ج ٣ ص ٤٠٠ و (ط دار التعارف) ج ٣ ص ١٩٢ والإرشاد ج ٢ ص ١٠٢ و ١٠٣ وإعلام الوری ج ١ ص ٤٦٢ و ٤٦٣ وراجع: مثير الأحزان ص ٥٩ و ٦٠ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص ١٣٢.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٩ والفتوح لابن أعثم ج ٥ ص ١٠١ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٣ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٢٥٧

ونقول:

١ - إن نفس طلب هذا الشقي يزيد بن سفيان المبارزة من الحر هو من البغي الممقوت عند الله تعالى.

وقد عرفنا فيما سبق: أن القرار الذي كان يلتزم به النبي «صلى الله عليه وآله»، وعلي والحسين «عليهما السلام»، وكذلك شيعتهم حتى أصبح ذلك من صفاتهم، وسماتهم، - إن هذا القرار - هو أن لا يبدأوا أحداً بقتال..

وقد لقي هذا الشقي جزاء بغيه على يد الحر نفسه، كما ذكرته الرواية..

٢ - وكلام الحصين بن تميم في آخر الرواية لا يخلو من إبهام، واضطراب.

ويبدو لنا: أن الحصين كان بصدد إكمال كلام يزيد بن سفيان، وأن يزيد كان يقول: وَاللَّهِ لَأُبْرُزُ لَهُ.
فبرز يزيد للحر، فقتله الحر، حتى لكأنما كانت نفس يزيد بيد الحر..

متى استشهد الحر؟!&:

يفهم من النص المتقدم برقم [٢]: أن الحر بن يزيد الرياحي «رحمه الله» قد استشهد بعد عقر خيول أصحاب الحسين «عليه

السلام»..

فإذا كان عقر خيولهم قد حصل قبل صلاة الظهر كما قد يستظهر أيضاً من النصوص.. وإذا كان حبيب بن مظاهر «رحمه الله» قد صلى صلاة الظهر مع الحسين «عليه السلام»، وقد استشهد «رحمه الله» بعد هذه الصلاة. وإذا كان الحر قد استشهد بعد استشهاد حبيب كما سنرى. فذلك كله يدلنا على أن القول باستشهاد الحر قبل الظهر غير سديد.

ولكن سيأتي:

أولاً: إنه لا دليل على أن حبيباً قد صلى صلاة الظهر مع الحسين..

ثانياً: يصرح الطبري: بأنه قتل قبيل الظهر.

ثالثاً: سيأتي في رثاء الحر قول الإمام الحسين، أو علي بن الحسين «عليهما السلام» عن الحر: إنه قتل صباح يوم عاشوراء:

وَنِعَمَ الْحُرُّ إِذْ نَادَى حُسَيْنًا فَجَادَ بِنَفْسِهِ عِنْدَ الصَّبَاحِ

أما رواية ابن أعثم والخوارزمي التي تقول: «الصياح» بالياء المثناة، فالظاهر أنها من تصحيفاتهم، لا خصوصية لقتله عند الصياح.. بل هو يريد أن يقول: إنه قد بگر في الخروج لنصرة الحسين «عليه السلام»، فقتل في صباح اليوم العاشر قبل كثيرين آخرين.

الخطبة الحكيمة:

وهي مرحلة صعبة، ولكنها تظهر كيف أن الوصف المتقدم لما

جرى يظهر مدى صحة وإحكام وصلابة الخطة التي اعتمدها الإمام الحسين «عليه السلام» في حربه، فإنها كانت متوافقة مع عزيمة وروحية، وشجاعة، وصبر واندفاع أصحابه «عليه السلام»، ومع المهارات القتالية لتلك الثلة المجاهدة، والمؤمنة بربها وبدينها، والمحبة للأنبياء والأوصياء والصلحاء والأبرار.. حيث لم يقدر الأعداء أن يأتوهم إلا من وجه واحد، بسبب اجتماع أبنيتهم، وتقاربها، ولمكان النار التي أوقدوها خلفهم..

وحتى حين حاولوا تخريق أبنيتهم وبيوتهم ليأتوهم عن أيمنهم، وعن شمائلهم، فإن الكمائن كانت بانتظارهم، وأحبطت مساعدهم.

ثم كان إحراقهم لتلك البيوت من أسباب زيادة البلاء على من أحرقها، ومن موجبات انقطاع أملهم بالوصول إليها، تماماً كما أخبر الإمام «عليه السلام» أصحابه..

إستشهاد حبيب بن مظاهر:

وجاء في موسوعة الإمام الحسين «عليه السلام» ج ٤ ص ١٨٢

و: ١٨٣

١ - عن أبي مخنف، عن سليمان بن أبي راشد، عن حميد بن مسلم قال: قال [الحسين «عليه السلام» في ظهر عاشوراء] سَلَوْهُمْ أَنْ يَكُونُوا عَنَّا حَتَّى نُصَلِّيَ.

فَقَالَ لَهُمُ الْحُصَيْنُ بْنُ نَمِيمٍ: إِنَّهَا لَا تُقْبَلُ.

فَقَالَ لَهُ حَبِيبُ بْنُ مُظَاهِرٍ: لَا تُقْبَلُ! زَعَمَتِ الصَّلَاةُ مِنْ آلِ رَسُولِ

الله «صلى الله عليه وآله» لا تُقبل، وتُقبل منك يا حمار؟!!

قال: فحمل عليهم حصين بن تميم، وخرج إليه حبيب بن مظاهر،
فضرب وجه فرسه بالسيف، فشب ووقع عنه، وحمله أصحابه
فاستنقذوه، وأخذ حبيب يقول:

أقسم لو كنا لكم أعداداً أو شطركم وليتم أكتاداً^(١)
يا شر قوم حسباً وآداً^(٢)

قال: وجعل يقول يومئذ:

أنا حبيب وأبي مظاهر فارس هيجاء وحرب تسعر
أنتم أعد عدة وأكثر ونحن أوفى منكم وأصبر
ونحن أعلى حجة وأظهر حقاً وأتقى منكم وأعذر

وقاتل قتالاً شديداً، فحمل عليه رجل من بني تميم فضربه بالسيف
على رأسه فقتله - وكان يقال له: بديل بن صريم من بني عققان -.

وحمل عليه آخر من بني تميم، قطعته، فوقع، فذهب ليقوم،
فضربه الحصين بن تميم على رأسه بالسيف، فوقع، ونزل إليه
التميمي فاحتز رأسه.

(١) أكتاد: أي جماعات. راجع: القاموس المحيط ج ١ ص ٣٣٢ مادة «كتد».

وقيل: أكتاد: جمع كتد، وهو ما بين الكاهل إلى الظهر «منه».

(٢) الأد: الصُّلب. راجع: القاموس المحيط ج ١ ص ٢٧٥ «أد».

كأنه أراد أن أصلاب آبائهم التي خرجت منها نطفهم خبيثة.

فَقَالَ لَهُ الْحُصَيْنُ: إِنِّي لَشَرِيكَكَ فِي قَتْلِهِ.

فَقَالَ الْآخَرُ: وَاللَّهِ مَا قَتَلَهُ غَيْرِي.

فَقَالَ الْحُصَيْنُ: أَعْطِنِيهِ أُعَلِّقُهُ فِي عُنُقِ فَرَسِي كَيْمَا يَرَى النَّاسُ وَيَعْلَمُوا أَنِّي شَرَكْتُ فِي قَتْلِهِ، ثُمَّ خَذَهُ أَنْتَ بَعْدَ قَامِضٍ بِهِ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ، فَلَا حَاجَةَ لِي فِيمَا تُعْطَاهُ عَلَى قَتْلِكَ إِيَّاهُ.

قَالَ: فَأَبَى عَلَيْهِ، فَأَصْلَحَ قَوْمُهُ فِيمَا بَيْنَهُمَا عَلَى هَذَا.

فَدَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَ حَبِيبِ بْنِ مُظَاهِرٍ، فَجَالَ بِهِ فِي الْعَسْكَرِ قَدْ عُلِّقَهُ فِي عُنُقِ فَرَسِهِ، ثُمَّ دَفَعَهُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَيْهِ.

فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى الْكُوفَةِ أَخَذَ الْآخَرُ رَأْسَ حَبِيبٍ، فَعَلَّقَهُ فِي لُبَانٍ^(١) فَرَسِهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ بِهِ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ فِي الْقَصْرِ، فَبَصُرَ بِهِ ابْنُهُ الْقَاسِمُ بْنُ حَبِيبٍ، وَهُوَ يَوْمِئِذٍ قَدْ رَاهَقَ، فَأَقْبَلَ مَعَ الْفَارِسِ لَا يُفَارِقُهُ، كُلَّمَا دَخَلَ الْقَصْرَ دَخَلَ مَعَهُ، وَإِذَا خَرَجَ خَرَجَ مَعَهُ.

فَارْتَابَ بِهِ، فَقَالَ: مَا لَكَ يَا بُنَيَّ تَتَّبَعْنِي؟

قَالَ: لَا شَيْءَ.

قَالَ: بَلَى، يَا بُنَيَّ أَخْبِرْنِي.

قَالَ لَهُ: إِنَّ هَذَا الرَّأْسَ الَّذِي مَعَكَ رَأْسُ أَبِي، أَقْنَعُطِينِيهِ حَتَّى أُدْفِنَهُ؟

(١) اللبان: الصدر من ذي الحافر خاصة. راجع: لسان العرب ج ١٣ ص ٣٧٧ مادة «لبن».

قال: يا بُنَيَّ، لا يَرْضَى الأميرُ أن يُدْفَنَ، وأنا أريدُ أن يُثْبِنَنِي الأميرُ عَلَى قَتْلِهِ ثَوَاباً حَسَنًا.

قالَ لَهُ العُلامُ: لَكِنَّ اللَّهَ لا يُثْبِتُكَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا أَسْوَ الثَّوَابِ، أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ قَتَلْتَ خَيْرًا مِنْكَ، وَبَكَى.

فَمَكَثَ العُلامُ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَ لَمْ يَكُنْ لَهُ هِمَّةٌ إِلَّا اتِّبَاعُ أَثَرِ قَاتِلِ أَبِيهِ لِيَجِدَ مِنْهُ غِرَّةً^(١) فَيَقْتُلُهُ بِأَبِيهِ.

فَلَمَّا كَانَ زَمَانُ مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَغَزَا مُصْعَبُ بَاجِمِيرَى^(٢)، دَخَلَ عَسْكَرَ مُصْعَبٍ، فَإِذَا قَاتِلُ أَبِيهِ فِي فُسطاطِهِ^(٣)، فَأَقْبَلَ يَخْتَلِفُ فِي طَلَبِهِ، وَالتَّماسَ غِرَّتِهِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ قَاتِلُ نِصْفِ النَّهَارِ، فَضَرَبَهُ بِسَيْفِهِ حَتَّى بَرَدَ.

قالَ أَبُو مِخْنَفٍ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ قَيْسٍ.

قالَ: لَمَّا قُتِلَ حَبِيبُ بْنُ مُظَاهِرٍ هَذَا ذَلِكَ حُسَيْنًا «عليه السلام» وَقَالَ عِنْدَ ذَلِكَ: أَحْتَسِبُ نَفْسِي وَحُمَاةَ أَصْحَابِي^(٤).

(١) الغِرَّة: الغفلة. راجع: المصباح المنير ص ٤٤٤ مادة «غِرَّة».

(٢) باجميرى: موضع دون تكريت. راجع: معجم البلدان ج ١ ص ٣١٤.

(٣) الفُسطاط: بيت من الشعر راجع: الصحاح ج ٣ ص ١١٥ مادة «فسط».

(٤) موسوعة الإمام الحسين ج ٤ ص ١٨٢ عن: تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٣٩ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٣٤ والكامل في التاريخ ج ٤ ص ٧٠ نحوه، وليس فيه من «أقسم» إلى «أعذر» وراجع: أنساب الأشراف ج ٣ ص ٤٠٢ و (ط دار التعارف) ج ٣ ص ١٩٥ ومقتل الحسين للخوارزمي

٢ - وعند ابن شهر آشوب: أن حبيب بن مظاهر قتل اثنين وستين رجلاً، فقتله الحصين بن تميم، وعلق رأسه في عنق فرسه^(١).

٣ - عن عبد الله بن منصور، عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، عن أبيه، عن جدّه [زين العابدين] «عليهم السلام»: ثَمَّ بَرَزَ حَبِيبُ بْنُ مُظَهَّرٍ الْأَسَدِيُّ «رَضَوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ»، وَهُوَ يَقُولُ:

أَنَا حَبِيبٌ وَأَبِي مُظَهَّرٌ لَنَحْنُ أَزْكَى مِنْكُمْ وَأَطْهَرُ

نَنْصُرُ خَيْرَ النَّاسِ حِينَ يُذَكَّرُ

فَقَتَلَ مِنْهُمْ أَحَدًا وَثَلَاثِينَ رَجُلًا، ثَمَّ قُتِلَ «رَضَوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ»^(٢).

ونقول:

ج ٢ ص ١٧ - ١٩ ومثير الأحران ص ٦٢ و ٦٥.

وراجع: الفتوح لابن أعمش ج ٥ ص ١٠٧ ومناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ١٠٣ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣ ص ٢٥٢ وبحار الأنوار ج ٥ ص ٢٦ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج ٨ ص ١٩٧ و ١٩٨ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص ١٤٢.

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ١٠٧ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣ ص ٢٥٢.
(٢) الأمالي للصدوق ص ٢٢٤ وبحار الأنوار ج ٥ ص ٢٦ و ٣١٩ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ١٦٩ وروضة الواعظين ص ٢٠٦ و (منشورات الشريف الرضي) ص ١٨٦ و ١٨٧ ولم يسنده إلى أحد من أهل البيت. وراجع: أنساب الأشراف (ط دار التعارف) ج ٣ ص ١٩٥ وإبصار العين ص ١٠٥.

متى استشهاد حبيب؟!:

قد يقال: إن الشجار الذي حصل بين حبيب بن مظاهر والحصين بن تميم من أجل الصلاة، وقول حبيب للحصين: إنه حمار، أو خمار - كما تقدم - يدل على أن قتل حبيب كان بعد صلاة الخوف، لا قبلها.

ويمكن أن يناقش في ذلك بما يلي:

أولاً: إن هذا لا يكفي للدلالة على بقاء حبيب إلى ما بعد الصلاة.. ولعل سياق الرواية يشير إلى أنه بمجرد أن حصل الحوار العالي النبرة بين حبيب وبين الحصين حصل الإشتباك بينهما، وتمكن حبيب من إسقاط الحصين عن فرسه، فبادر أصحاب الحصين إلى مساعدة صاحبهم، فاستنقذوه..

ثم استمر القتال بين حبيب، وبين جيش عمر بن سعد، حتى استشهاد «رضوان الله تعالى عليه»..

إلا أن يدعى: أن من الممكن أن تكون قد فصلت بين مواجهته مع الحصين، وبين استشهاد حبيب «رحمه الله» جولة أخرى من القتال، حصلت بين صلاتي الظهر والعصر. فقد ذكروا: أن قتالاً حصل في هذه الفترة، وكان قتالاً شديداً كما تقدم.

ثانياً: صرح الطبري: بأن قتل حبيب كان قبيل الظهر^(١). وهذا

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٤٠ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٣٥ و ٣٣٦ والكامل في التاريخ ج ٤ ص ٧١ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث

كافٍ في المطلوب.

ثالثاً: سيأتي: أن الحر الرياحي قد قتل بعد حبيب، وقد رثاه الإمام الحسين «عليه السلام»، أو علي بن الحسين «عليه السلام»، فقال:

وَنِعَمَ الْحُرُّ إِذْ نَادَى حُسَيْنًا فَجَادَ بِنَفْسِهِ عِنْدَ الصَّبَاحِ

فإذا كان الحر قد قتل عند الصباح، فذلك يعني: أن حبيباً الذي قتل قبل الحر، قد قتل عند الصباح أيضاً. مما يعني: أنه قتل قبل صلاة الخوف، سواء أكانت الظهر أو العصر، أو كليهما.

إلا أن يؤخذ برواية ابن أعثم والخوارزمي وبحار الأنوار، من أنه قال: «عند الصباح» بالياء المثناة، لا بالباء الموحدة، لكن الرواية في كثير من المصادر هي بالموحدة، والتصحيح في مثل هذه الموارد متوقع.

وقد ذكرنا فيما سبق: أن الأقرب والأنسب، بالمعنى: هو أن تكون بالباء الموحدة.

الذين قتلهم حبيب بن مظاهر:

اختلفت النصوص حول عدد الذين قتلهم حبيب بن مظاهر يوم عاشوراء. ولكنها تتفق على أنه قد قتل عدداً كبيراً من ذلك الجيش الغادر

(العربي) ج ٨ ص ١٩٨ و ١٩٩ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص ١٤٧ و

والبಾಗಿ، فقد تقدم قول ابن شهر آشوب: إنه «رحمه الله» قتل اثنين وستين رجلاً.

لكن الرواية التي رواها الصدوق «رضوان الله تعالى عليه» عن الإمام الصادق «عليه السلام» تقول: إنه «رحمه الله» قتل أحداً وثلاثين رجلاً.

وقد يدور بخلد البعض أن يقول: ربما كان الذين قتلهم حبيب في مبارزاته قد بلغوا أحداً وثلاثين رجلاً. ولما اشتد القتال، واختلطت الرجال بالرجال، قتل أحداً وثلاثين رجلاً مرة أخرى، فصار المجموع اثنين وستين رجلاً، ثم استشهد «رضوان الله تعالى عليه»..

وكثرة قتلى حبيب تعطينا السبب في أن مصرعه «رحمه الله» قد هذّ الحسین «عليه السلام». كما أنه يؤكد المعنى الذي يرمي إليه اعتباره «عليه السلام»: أنه من حماة أصحابه.

ثقافة وسلوك أصحاب الأئمة:

وقالوا:

عن فضيل بن الزبير: مرّ ميثم التمار على فرس له، فاستقبل حبيب بن مظاهر الأسدي عند مجلس بني أسد، فنحّدتا حتى اختلفا أعناق فرسيهما.

ثم قال حبيب: لكأني بشيخ أصلع، ضخم البطن، يبيع البطيخ عند دار الرزق، قد صلب في حبّ أهل بيت نبيّه «صلى الله عليه وآله»،

وَيُبْقَرُ بَطْنُهُ عَلَى الْخَسْبِ.

فَقَالَ مَيْثَمٌ: وَإِنِّي لَأَعْرِفُ رَجُلًا أَحْمَرَ، لَهُ ضَفِيرَتَانِ، يَخْرُجُ لِيَنْصُرَ ابْنَ بَنْتِ نَبِيِّهِ، فَيُقْتَلُ وَيُجَالُ بِرَأْسِهِ بِالْكُوفَةِ.

ثُمَّ افْتَرَقَا، فَقَالَ أَهْلُ الْمَجْلِسِ: مَا رَأَيْنَا أَحَدًا أَكْذَبَ مِنْ هَذَيْنِ!
قَالَ: فَلَمْ يَفْتَرِقْ أَهْلُ الْمَجْلِسِ حَتَّى أَقْبَلَ رُشَيْدُ الْهَجَرِيِّ، فَطَلَبَهُمَا
فَسَأَلَ أَهْلَ الْمَجْلِسِ عَنْهُمَا، فَقَالُوا: افْتَرَقَا، وَسَمِعْنَاهُمَا يَقُولَانِ كَذَا وَكَذَا.
فَقَالَ رُشَيْدٌ: رَحِمَ اللَّهُ مَيْثَمًا! نَسِيَ: وَيُزَادُ فِي عَطَاءِ الَّذِي يَجِيءُ
بِالرَّأْسِ مِنْهُ دِرْهَمٌ، ثُمَّ أَدْبَرَ.

فَقَالَ الْقَوْمُ: هَذَا وَاللَّهِ أَكْذَبُهُمْ!!

فَقَالَ الْقَوْمُ: وَاللَّهِ مَا ذَهَبَتْ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي حَتَّى رَأَيْنَاهُ مَصْلُوبًا
عَلَى بَابِ دَارِ عَمْرِو بْنِ حُرَيْثٍ، وَجِيءَ بِرَأْسِ حَبِيبِ بْنِ مُظَاهِرٍ قَدْ
قُتِلَ مَعَ الْحُسَيْنِ «عَلَيْهِ السَّلَامُ»، وَرَأَيْنَا كُلَّ مَا قَالُوا.

وَكَانَ حَبِيبٌ مِنَ السَّبْعِينَ الرَّجَالِ الَّذِينَ نَصَرُوا الْحُسَيْنَ «عَلَيْهِ
السَّلَامُ»، وَلَقُوا جِبَالَ الْحَدِيدِ، وَاسْتَقْبَلُوا الرَّمَا حَ بِصُدُورِهِمُ وَالسُّيُوفَ
بِوُجُوهِهِمْ، وَهُمْ يُعَرِّضُونَ عَلَيْهِمُ الْأَمَانَ وَالْأَمْوَالَ فَيَأْبُونَ، وَيَقُولُونَ: لَا
عُذْرَ لَنَا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» إِنْ قُتِلَ الْحُسَيْنُ «عَلَيْهِ
السَّلَامُ» وَمِنَّا عَيْنٌ تَطْرَفُ، حَتَّى قُتِلُوا حَوْلَهُ (١).

(١) إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ج ١ ص ٢٩٢ الرقم ١٣٣ و (نشر
مؤسسة آل البيت لإحياء التراث) ج ١ ص ٢٩٢ وبحار الأنوار ج ٤٥

ونقول:

لكل مأموم إمام يقتدي به:

من المعلوم: أن صاحب يأخذ من صاحبه، والصديق يتأثر بصديقه، حتى قيل: قل لي من تعاشر، أقل لك من أنت. فكيف لو تجاوز الأمر موضوع الصحبة والصدقة لتكون العلاقة هي علاقة الإنسان بنبيه، أو بإمامه، الذي يرى وجوب طاعته، والأخذ منه، ويراه أعلم الناس، وأفضلهم، وأتقاهم، وأطهرهم، ويرى أنه معلمه ومربيه، ومؤدبه، وحلال مشاكله، والساعي في حاجاته، وعليه أن يحضه حبه، وولاءه، وعهده، ووفاءه..

ومن المعلوم أيضاً: أن هناك أئمة كفر وضلالة، وهناك أئمة إيمان وهدى، وقد أشار القرآن إلى هذين الصنفين أيضاً..

وقد ألمح الإمام أمير المؤمنين علي «عليه السلام» إلى هذا التأثير بالقائد، وبالإمام بقوله: «ألا وإن لكل مأموم إماماً يقتدي به، ويستضيء بنور علمه الخ..»^(١).

ص ٩٢ الرقم ٣٣ ومدينة المعاجز ج ٣ ص ١٨٦ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٣٣٤ وشجرة طوبى ج ١ ص ٨١ وإبصار العين ص ١٠١.
(١) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج ٣ ص ٧٠ ومختصر بصائر الدرجات ص ١٥٤ ومستدرك الوسائل ج ١٢ ص ٥٤ وج ١٦ ص ٣٠٠ والخرائج والجرائح ج ٢ ص ٥٤٢ وبحار الأنوار ج ٣٣ ص ٤٧٤ وج ٤٠ ص ٣١٨ و ٣٤٠ وج ٦٧ ص ٣٢٠ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٤ ص ٣٤ وج ٢٣

ومن كان يرى في الأنبياء، وأوصيائهم، أنهم مثله الأعلى، وقدوته وأسوته، فيتوقع أن يأخذ من صفاتهم وميزاتهم، ومن علمهم، وأدبهم، وفضلهم، وتقواهم، وأخلاقهم ما يقدر عليه، ويحتاج إليه.

ومن كان يرى في الظالمين والجبارين، والمنحرفين، والضالين: أنهم أسوته، وقدوته، ومثله الأعلى، فيتوقع أن ينشبه بهم، ويمارس أعمالهم، ويقع في المحاذير التي وقعوا فيها..

وهذا يفسر لنا ما نراه من تميز الشيعة «رضوان الله تعالى عليهم» بالاجتهاد في العبادة، والفقه في الدين، والشجاعة في الحرب، والوعي، والتقوى، والوفاء، والعاطفة الصادقة، والرقّة، وحب الفقراء، ومعوّنة الضعفاء، والمعرفة بكثير من الأسرار والغيوب التي سمعوها من أئمتهم، ومنها علوم المنايا والبلايا، وما إلى ذلك..

وامتاز خصومهم وأتباع الظلمة بالمكر والغدر، وقسوة القلوب، وقلة التدبر، وقصور النظر، وسوء الخلق، والغلظة، والانكباب على المحرمات والشهوات، والعصبيات القبلية، والعزوف عن العبادة، والاستغراق في حب الدنيا، والظلم، وجمع الأموال، وعدم المبالاة بكونها من حل أو حرام، وما إلى ذلك..

وهذه الأخبار بالغيوب التي سمعناها من ميثم، وحبيب، ورشيد،

ص ٢٧٢ ونهج السعادة ج ٤ ص ٣٢ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٦
ص ٢٠٥ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج ٢ ص ١٣٩ وينايع المودة ج ١
ص ٤٣٩.

هي من الأمثلة الحية على هذا التأسي، والتأثر، والأخذ للعلوم حتى الغيبية منها، واكتساب التقوى والإخلاص، والطهر، والفضائل وسواها من الأحوال والأخلاق، والصفات والسمات..

عرض الأمان والأموال:

غير أن هذا النص قد تضمن كذبة ودعوى:

فالكذبة هي ادّعاء: أن الأمان كان يعرض على أصحاب الحسين «عليه السلام» فيأبون قبوله.

وكأنهم يريدون أن ينسبوا لهؤلاء الصفوة: أنهم كانوا متعطشين لسفك الدماء، وأنهم هم الذين أوقدوا نار الحرب.

بل يريدون أن يظهروهم في صورة أناس متوحشين، لا عقول ولا ألباب لهم، بل هم - بناء على هذا - من أشد الناس حمقاً، وخسراناً، وضلالاً، ما بعده ضلال.

إلا أن يكون المقصود: هو ما يشبه عرض الشمر الأمان على العباس وإخوته. فكانوا يعرضون الأمان على الأشخاص ليفرقوهم عن الإمام الحسين «عليه السلام»، وليتلافوا سلبيات استعداد القبائل بقتل أفراد منها يعرفهم الناس بالصلاح والعبادة..

فكان أصحاب الحسين «عليه السلام» يرفضون هذه العروض المسمومة، ويصرون على نصره إمامهم. وهذا ما أشار إليه بعض الإخوة الأكارم.

وأما الدعوى، فهي زعمهم: أن ابن سعد وأصحابه كانوا

يحاولون بذل الأموال لأصحاب الحسين «عليه السلام» ليتلافوا الحرب وويلاتها، ولكن أصحاب الحسين «عليه السلام» كانوا يرفضون ذلك، ويقولون: لا عذر لنا عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» إن قتل الحسين «عليه السلام» ومنا عين تطرف.

ويفهم من هذا الكلام: أن أصحاب ابن سعد كانوا يحاولون إبعاد أصحاب الحسين «عليه السلام» عن الحسين «عليه السلام»، عن طريق إغرائهم بالعطايا والأموال، فكانوا يرفضون ذلك، ويصرون على الوفاء للرسول «صلى الله عليه وآله»، وعدم خيانة العهد للإمام.

وهذا الأسلوب في الإغواء والإغراء متوقع من الجيش اليزيدي الذي يخون ويغدر، ويمكر ويفجر، ويأمر الناس بفعل ذلك. ولكن ثبوت وقوع هذا يحتاج إلى التأييد بالنصوص الحاكية للأحداث العملية، والشواهد في الممارسات الفعلية.

أنت الحر كما سمّتك أمك:

١ - وفي الرواية عن الإمام الصادق «عليه السلام»: أن الحر قال للحسين «عليه السلام»:

يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ! أَتَأْذُنُ لِي فَأُقَاتِلَ عَنْكَ؟

فَأَذِنَ لَهُ، فَبَرَزَ وَهُوَ يَقُولُ:

أضربُ في أعناقكم بالسيفِ عَنْ خَيْرِ مَنْ حَلَّ بِلَادَ الْخَيْفِ

فَقَتَلَ مِنْهُمْ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ رَجُلًا ثُمَّ قُتِلَ.

فَأَتَاهُ الْحُسَيْنُ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» وَدَمُّهُ يَشْخَبُ، فَقَالَ: بَخَ يَا حُرُّ،
أَنْتَ حُرٌّ كَمَا سُمِّيتَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، ثُمَّ أَنْشَأَ الْحُسَيْنُ «عَلَيْهِ السَّلَامُ»
يَقُولُ:

لِنِعَمِ الْحُرِّ حُرُّ بَنِي رِيَّاحٍ وَنِعَمَ الْحُرِّ مُخْتَلَفُ الرِّمَاحِ
وَنِعَمَ الْحُرِّ إِذَا نَادَى حُسَيْنًا فَجَادَ بِنَفْسِهِ عِنْدَ الصَّبَاحِ^(١)

٢ - عن محمد بن قيس: لَمَّا قُتِلَ حَبِيبُ بْنُ مُظَاهِرٍ هَدَّ ذَلِكَ حُسَيْنًا
«عَلَيْهِ السَّلَامُ»، وَقَالَ عِنْدَ ذَلِكَ: أَحْتَسِبُ نَفْسِي، وَحُمَاةَ أَصْحَابِي.

قَالَ: فَأَخَذَ الْحُرُّ يَرْتَجِزُ وَيَقُولُ:

أَلَيْتُ لَا أَقْتُلُ حَتَّى أَقْتُلَا وَلَنْ أَصَابَ الْيَوْمَ إِلَّا مُقْبِلَا
أَضْرِبُهُمُ بِالسَّيْفِ ضَرْبًا لَا نَاجِيَ عَنْهُمْ وَلَا مُهْلًا
وَأَخَذَ يَقُولُ أَيْضًا:

أَضْرِبْ فِي أَعْرَاضِهِمُ بِالسَّيْفِ عَنْ خَيْرِ مَنْ حَلَّ مِنِّي وَالْخَيْفِ
فَقَاتَلَ هُوَ وَزُهَيْرُ بْنُ الْقَيْنِ قِتَالًا شَدِيدًا، فَكَانَ إِذَا شَدَّ أَحَدُهُمَا، فَإِنْ

(١) موسوعة الإمام الحسين ج ٤ ص ١٩٤ و ١٩٥ عن: الأمالي للصدوق
ص ٢٢٣ ح ٢٣٩ وروضة الواعظين ص ٢٠٥ و (منشورات الشريف
الرضي) ص ١٨٦ من دون إسنادٍ إلى أحدٍ من أهل البيت «عليهم السلام»،
وليس فيه صدره إلى «تاب الله عليك»، وبحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣١٩ ح ١
والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ١٦٨.

اسْتُلْحِمَ شَدَّ الْآخِرُ حَتَّى يُخْلَصَهُ، فَفَعَلَا ذَلِكَ سَاعَةً، ثُمَّ إِنَّ رَجَالَهُ شَدَّتْ عَلَى الْحُرِّ بْنِ يَزِيدَ، فَقُتِلَ^(١).

٣ - قال الخوارزمي: فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ تَقَدَّمَ إِلَى بَرَارِ الْقَوْمِ الْحُرُّ بْنُ يَزِيدَ الرِّيَّاحِيُّ، فَأَنْشَدَ فِي بَرَارِهِ:

إِنِّي أَنَا الْحُرُّ وَمَأْوَى الضَّيْفِ أَضْرِبُ فِي أَعْنَاقِكُمْ بِالسَّيْفِ

عَنْ خَيْرِ مَنْ حَلَّ بِوَادِي أَضْرِبُكُمْ وَلَا أَرَى مِنْ حَيْفِ

وَلَمْ يَزَلْ يُقَاتِلُ حَتَّى عُرِقَ قَرَسُهُ، وَبَقِيَ رَاجِلًا، فَجَعَلَ يُقَاتِلُ وَهُوَ يَقُولُ:

إِنْ تَعَقَرُوا بِي فَأَنَا ابْنُ الْحُرِّ أَشْجَعُ مِنْ ذِي لِبْدَةٍ هَزَبَرِ

وَلَسْتُ بِالْخَوَّارِ عِنْدَ الْكَرِّ لَكِنِّي النَّابِتُ عِنْدَ الْفَرِّ

ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يُقَاتِلُ حَتَّى قُتِلَ، فَاحْتَمَلَهُ أَصْحَابُ الْحُسَيْنِ «عليه السلام» حَتَّى وَضَعُوهُ بَيْنَ يَدَيِ الْحُسَيْنِ «عليه السلام» وَبِهِ رَمَقٌ، فَجَعَلَ الْحُسَيْنُ «عليه السلام» يَمْسَحُ التُّرَابَ عَنْ وَجْهِهِ، وَهُوَ يَقُولُ لَهُ: أَنْتَ الْحُرُّ كَمَا سَمَّيْتُكَ بِهِ أُمُّكَ، أَنْتَ الْحُرُّ فِي الدُّنْيَا، وَأَنْتَ الْحُرُّ فِي الْآخِرَةِ.

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٤٠ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٣٥ و ٣٣٦ والكامل في التاريخ ج ٤ ص ٧١ وليس فيه قال: نأخذ، إلى «الخيف» والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٨ ص ١٩٨ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص ١٤٧ وإبصار العين ص ٢١٠ وراجع: أنساب الأشراف ج ٣ ص ٤٠٣ و (ط دار التعارف) ج ٣ ص ١٩٥.

ثُمَّ رثاهُ بعضُ أصحابِ الحُسَيْنِ «عليه السلام» - وقالَ الحاكمُ
الجُشميُّ: بَلْ رثاهُ عَلِيُّ بْنُ الحُسَيْنِ «عليه السلام» - بِقَوْلِهِ:

لِنِعَمِ الحُرِّ حُرُّ بَنِي رِياحٍ صَبُورٌ عِنْدَ مُشْتَبِكِ الرِّمَاحِ
وَنِعَمِ الحُرِّ إِذْ نَادَى حُسَيْنٌ فَجَادَ بِنَفْسِهِ عِنْدَ الصَّيَاحِ
وَرُويَ أَنَّهُ كَانَ يُنْشِدُ عِنْدَ مُكَافَحَتِهِ:

أَلَيْتُ لَا أَقْتُلُ حَتَّى أَقْتُلَا وَلَا أَصَابُ اليَوْمَ إِلَّا مُقْبِلًا
أَضْرِبُهُم بِالسَّيْفِ ضَرْبًا لَا نَاجِيَ فِيهِمْ وَلَا مُهْلًا^(١)
٥ - قال ابن شهر آشوب عن الحر: «فقتل نيفاً وأربعين
رجلاً»^(٢).

٦ - وقال ابن طاووس:

ثُمَّ قَالَ: فَإِذَا كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ خَرَجَ عَلَيْكَ، فَأَذِّنْ لِي أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ قَتِيلٍ
بَيْنَ يَدَيْكَ، لَعَلِّي أَكُونُ مِمَّنْ يُصَافِحُ جَدَّكَ مُحَمَّدًا «صلى الله عليه وآله»
غَدًا فِي الْقِيَامَةِ.

(١) موسوعة الإمام الحسين ج ٤ ص ١٩٦ و ١٩٧ عن: مقتل الحسين
للخوارزمي ج ٢ ص ٩ والفتوح لابن أعثم ج ٥ ص ١٠١ وفيه: «الصباح»
بدل «الصياح»، ومثله في بحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٤ وراجع: مطالب
السؤال ص ٧٦ وكشف الغمّة ج ٢ ص ٢٦٢.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ١٠٠ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣ ص ٢٥٠
وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٥.

فَأَذِنَ لَهُ، فَجَعَلَ يُقَاتِلُ أَحْسَنَ قِتَالٍ، حَتَّى قَتَلَ جَمَاعَةً مِنْ شُجْعَانٍ وَأَبْطَالٍ، ثُمَّ اسْتَشْهَدَ، فَحُمِلَ إِلَى الْحُسَيْنِ «عليه السلام»، فَجَعَلَ يَمْسَحُ التُّرَابَ عَنْ وَجْهِهِ، وَيَقُولُ: أَنْتَ الْحُرُّ كَمَا سَمَتَكَ أُمُّكَ، حُرٌّ فِي الدُّنْيَا وَحُرٌّ [فِي] الْآخِرَةِ^(١).

ونقول:

الحسين X يرثي الحر:

١ - ذكرت بعض النصوص المتقدمة: أن علي بن الحسين «عليه السلام» رثى الحر الرياحي، فقال:

لِنِعْمِ الْحُرُّ حُرُّ بَنِي رِيَّاحٍ صَبُورٌ عِنْدَ مُشْتَبَكِ الرِّمَّاحِ
وَنِعْمُ الْحُرُّ إِذْ نَادَى حُسَيْنٌ فَجَادَ بِنَفْسِهِ عِنْدَ الصَّبَّاحِ

وهذا ما ذكره ابن أعثم والخوارزمي، والمجلسي، وغيرهم.

لكن رواية الأُمالي للصدوق عن الإمام الصادق «عليه السلام» قد نسبت هذين البيتين مع بعض الاختلاف في الألفاظ إلى الإمام نفسه..

وهذا يشبه مدح أمير المؤمنين «عليه السلام» لحضين بن المنذر في صفين بقصيدة أولها:

لِمَنْ رَايَةَ بَيَضَاءَ يَخْفِقُ ظِلُّهَا إِذَا قِيلَ قَدَمُهَا حُضَيْنُ تَقَدَّمَ

(١) الملهوف ص ١٥٩ و (نشر أنوار الهدى) ص ٦٢ ولواعج الأشجان ص ١٤٤ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٦٠٤ وج ٤ ص ٦١٣.

ومدح الرئيس لمروؤوسه بقصائد الشعر أمر نادر، والمعروف
المألوف من ذلك هو العكس.

وبناءً على هذا: يكون هذا أيضاً من أدلة استشهاد الحر «رحمه الله»
قبل ظهر يوم عاشوراء.

الذين قتلهم الحر:

تقدم في فصل «توبة الحر»: أن الروايات اختلفت في عدد الذين
قتلهم الحر «رحمه الله» من جيش يزيد، ففي رواية الصدوق المتقدمة
عن الإمام الصادق «عليه السلام»: أنه «رحمه الله» قتل ثمانية عشر
رجلاً.

وعند ابن أعثم وآخرين: قتل منهم أربعين رجلاً.

وعند شهر آشوب: أنه قتل نيفاً وأربعين رجلاً.

أما ابن طاووس وسبط ابن الجوزي: فلا يحددان عدداً، بل اكتفيا
بالقول: إنه قتل جماعة من شجعان وأبطال، ثم استشهد..

والأغرب والأعجب هنا هو قول هلال بن يساف: إن الحر قتل
رجلين فقط.

وأياً كان عدد المقتولين بسيف الحر، فمن الواضح: أن هذا يدل على
مزيد شجاعة فيه، امتاز بها عن أقرانه.

كما أن قتل هذا العدد من الجيش الذي كان الحر من قاداته يشهد
بصدق نية الحر، وصحة بصيرته في دينه، وأنه قد تحرر من كل ما
يشده إلى الأرض، وتمحض في العبودية لله تعالى، ورفض العبودية

لكل ما في هذه الدنيا من ملذات، ومغريات، فاستحق من الإمام وسام الحرية، الذي هو الأعلى، والأعلى من أي وسام، فقال له: «أنت حر كما سمتك أمك، حر في الدنيا والآخرة»، أو نحو ذلك..

ثم إنه «عليه السلام» قد استحق ممن هو خير من حلّ منى والخيف، أن يكون هو أو ولده أول من يرثيه، ويبين مزاياه.

وقد تحدثنا عن موقف الحر، وعن قول الإمام الحسين «عليه السلام» فيه في فصل سابق، بعنوان: «توبة الحر» ذكرنا فيه كيفية توبته والتحاقه بالحسين «صلوات الله وسلامه عليه»، وغير ذلك، فلا حاجة للإعادة..

الفصل الرابع:

صلاة الخوف..

صلاة الخوف يوم العاشر:

وقالوا:

١ - فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَبُو ثَمَامَةَ، عَمَرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الصَّائِدِيُّ، قَالَ
لِلْحُسَيْنِ «عَلَيْهِ السَّلَامُ»: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ! نَفْسِي لَكَ الْفِدَاءُ، إِنِّي أَرَى
هُؤُلَاءِ قَدْ اقْتَرَبُوا مِنْكَ، وَلَا وَاللَّهِ لَا نُقَتِّلُ حَتَّى أَقْتَلَ دُونَكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ،
وَأَحِبُّ أَنْ أَلْقَى رَبِّي وَقَدْ صَلَّيْتُ هَذِهِ الصَّلَاةَ الَّتِي دَنَا وَقَتُّهَا!!

قال: فَرَفَعَ الْحُسَيْنُ رَأْسَهُ ثُمَّ قَالَ:

ذَكَرْتَ الصَّلَاةَ، جَعَلَكَ اللَّهُ مِنَ الْمُصَلِّينَ الدَّاكِرِينَ، نَعَمْ! هَذَا أَوَّلُ
وَقْتِهَا.

ثُمَّ قَالَ: سَلَوْهُمْ أَنْ يَكْفُوا عَنَّا حَتَّى نُصَلِّيَ.

فَقَالَ لَهُمُ الْحُصَيْنُ بْنُ نَمِيمٍ: إِنَّهَا لَا تُقْبَلُ!!

فَقَالَ لَهُ حَبِيبُ بْنُ مُظَاهِرٍ: لَا تُقْبَلُ؟! زَعَمَتِ الصَّلَاةُ مِنْ آلِ
رَسُولِ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» لَا تُقْبَلُ، وَتُقْبَلُ مِنْكَ يَا حِمَار.

وفي نص ابن نما: [وتقبل منك وأنت شارب الخمر].

وقتل أبو تمامة الصائدي ابن عم له كان عدواً له، ثم صلوا الظهر،
صلّى بهم الحسين «عليه السلام» صلاة الخوف، ثم اقتتلوا بعد الظهر،

فاشتد قتالهم^(١).

قال ابن نما: وقيل: صلى الحسين «عليه السلام» وأصحابه فرادى بالإيماء^(٢).

٢ - وقال ابن طاووس «رحمه الله»:

حَضَرَتْ صَلَاةُ الظُّهْرِ، فَأَمَرَ الْحُسَيْنُ «عليه السلام» زُهَيْرَ بْنَ الْقَيْنِ وَسَعِيدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْحَنْفِيَّ أَنْ يَتَقَدَّمَا أَمَامَهُ بِنِصْفِ مَنْ تَخَلَّفَ مَعَهُ، ثُمَّ صَلَّى بِهِمْ صَلَاةَ الْخَوْفِ.

فَوَصَلَ إِلَى الْحُسَيْنِ «عليه السلام» سَهْمٌ، فَتَقَدَّمَ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَنْفِيُّ، وَوَقَفَ يَقِيهِ بِنَفْسِهِ، مَا زَالَ وَلَا تَخْطَى حَتَّى سَقَطَ إِلَى الْأَرْضِ، وَهُوَ يَقُولُ:

اللَّهُمَّ الْعَنَّهُمْ لَعَنَ عَادٍ وَثَمُودَ، اللَّهُمَّ أبلغ نَبِيَّكَ عَنِّي السَّلَامَ، وَأبلغه

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٣٩ - ٤٤١ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٣٤ - ٣٣٦ والكامل في التاريخ ج ٤ ص ٧٠ و ٧١ بزيادة «ففعّلوا» بعد «حتى نصلي»، مقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ١٦ نحوه، وليس فيه ذيله من «وقتل»، وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ٢١ و ٢٢ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٢٦٤ وراجع: مثير الأحزان ص ٦٥ و (ط المكتبة الحيدرية) ص ٤٨ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص ١٤٢ وعن الدمعة الساكبة ج ٤ ص ٣٠١.

(٢) مثير الأحزان ص ٦٥ و (ط المكتبة الحيدرية) ص ٤٩ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ٢٢ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٢٦٥ ولواعج الأشجان ص ١٥٦ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٦٠٦.

ما لَقِيتُ مِنْ أَلَمِ الْجِرَاحِ؛ فَإِنِّي أَرَدْتُ ثَوَابَكَ فِي نَصْرِ دُرِّيَّةِ نَبِيِّكَ،
[وعند ابن نما: اللهم لا يعجزك شيء تريده، فأبلغ محمداً «صلى الله
عليه وآله» نصرتي، ودفعي عن الحسين، وارزقني مرافقته في دار
الخلود].

ويتابع ابن طاووس كلامه، فيقول: ثُمَّ قَضَى نَحْبَهُ «رضوانُ الله
عليه»، فَوُجِدَ بِهِ ثَلَاثَةُ عَشَرَ سَهْمًا سِوَى مَا بِهِ مِنْ ضَرْبِ السُّيُوفِ
وَطَعْنِ الرَّمَامِ (١).

كيفية صلاة الخوف:

ويحسن بنا هنا: أن نبين للقارئ الكريم كيفية صلاة الخوف،
فنقول:

إن صلاة الخوف تكون قصراً إذا كانت رباعية، وصورتها: أن يقوم
الإمام، فيصلي ببعض أصحابه ركعة، ثم يقوم ويقومون معه، ليمثل
قائماً، ويصلون هم الركعة الثانية، ويخفون، ثم يسلمون، وينصرفون.
ويأتي أصحابهم الباقيون، فيصلون معه الركعة الثانية له، وتكون

(١) الملهوف ص ١٦٥ و (نشر أنوار الهدى) ص ٦٦ ومقتل الحسين للخوارزمي
ج ٢ ص ١٧ و ٢٠ و ٢١ وتسليمة المجالس ص ٢٩١ وبحار الأنوار ج ٤٥
ص ٢١ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٢٦٤ و ٢٦٥ وراجع: تاريخ الأمم
 والملوك ج ٥ ص ٤٤١ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٣٦ والكامل في التاريخ ج ٤
 ص ٧١ ومثير الأحزان ص ٦٦ و (ط المكتبة الحيدرية) ص ٤٨ وعن الدفعة
 الساكبة ج ٤ ص ٣٠٢.

الركعة الأولى لهم، فإذا قعد في التشهد، قاموا فصلوا الثانية لأنفسهم، ثم يقعدون، فيتشهدون معه، ثم يسلم، وينصرفون.

وإذا كانت الصلاة هي المغرب، فإنه يصلي بالطائفة الأولى ركعة، ثم يمثل الإمام قائماً، ثم يصلون الركعتين. ثم تأتي الطائفة الثانية، فيصلون معه الركعة التي يقرأ فيها، ثم يجلس فيتشهد، ثم يقوم ويقومون معه، ويصلي بهم ركعة أخرى ثم يجلس وينتظرهم، ويقومون، فيتمون ركعة أخرى، ثم يسلم عليهم..

الصلاة بالإيماء:

إن ابن نما يقول: وقيل: صلى الحسين «عليه السلام»، وأصحابه فرادى بالإيماء^(١).

ولكن أكثر المؤرخين يقولون: إنه «عليه السلام» قد صلى بأصحابه صلاة الخوف^(٢).

(١) مثير الأحزان ص ٦٥ و (ط المكتبة الحيدرية) ص ٤٩ وبحار الأنوار ج ٤٥

ص ٢٢ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٢٦٥ ولواعج الأشجان ص ١٥٦ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٦٠٦.

(٢) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٣٩ و ٤٤١ و (ط الأعلمي) ج ٤

ص ٣٣٦ والكامل في التاريخ ج ٤ ص ٧١ ومقتل الحسين للخورازمي ج ٢

ص ١٦ و ١٧ والملهوف ص ١٦٥ و (ط أنوار الهدى) ص ٦٦ وأنساب

الأشراف ج ٣ ص ١٠٤ و (ط دار التعارف) ج ٣ ص ١٩٥ والمنتظم في

تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٣٤٠ وإعلام الوري ج ١ ص ٤٦٤ ومناقب

ومع ذلك نقول:

إن من الممكن أن يكون الأعداء قد شددوا من هجومهم على المصلين، صلاة الخوف إلى الحد الذي اضطروا معه أحياناً إلى الإيماء إلى الركوع والسجود، فإن ذلك مما يجوز في صلاة الخوف عند اشتداد الأمور، ولعل هذا هو ما أُلح إليه ابن شهر آشوب بقوله: صلى بهم صلاة شدة الخوف^(١).

صلاة الخوف تكون قصراً:

قال السيد عبد الرزاق المقرم «رحمه الله»: ..والذي أراه صلاة الحسين قصراً، لأنه نزل كربلاء في الثاني من المحرم، ومن أخبار جده الرسول «صلى الله عليه وآله»، مضافاً إلى علمه بأنه يقتل يوم عاشوراء لم يستطع أن ينوي الإقامة إذا لم تكمل له عشرة أيام. وتخيّل

آل أبي طالب ج ٤ ص ١٠٣ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣ ص ٢٥٢ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٨ ص ١٩٩ والعوالم ج ١٧ ص ٢٦٥ ومثير الأحزان ص ٦٥ و (ط المكتبة الحيدرية) ص ٤٨ والإرشاد ج ٢ ص ١٠٥ والدر النظيم ص ٥٥٥ ونهاية الأرب ج ٢٠ ص ٤٥١ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ٢١ والمختصر في أخبار البشر ج ١ ص ١٩١ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص ١٤٨ والدر النظيم ص ٥٥٥.
(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ١٠٣ و (ط دار الأضواء) ج ٤ ص ١١٢ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣ ص ٢٥٢.

من لا معرفة له بذلك أنه صلى صلاة الخوف^(١).

ونقول:

هل نفهم من كلامه «رحمه الله» أن صلاة الخوف لا تصح من المسافرين، باعتبار أنه يرى أن هذه الصلاة لا بد فيها من قصر الصلاة الرباعية، ولا يتحقق ذلك في صلاة المسافرين، لأنها ثنائية لوجوب القصر في السفر..

فإن كان هو مراده، كما هو مقتضى حديثه عن أن الحسين لم يستطع أن ينوي الإقامة في كربلاء، لعلمه بأنه مقتول فيها - كما أخبر النبي «صلى الله عليه وآله» - ولا يدري متى يحصل ذلك، هل يحصل بعد يوم، أو خمسة، أو أكثر أو أقل؟!

فنقول:

إن صلاة الخوف هي من موارد قصر الصلاة، فقد روى زرارة «رحمه الله»، قال: قلت له: صلاة الخوف وصلاة السفر، تقصران جميعاً؟!

قال: نعم. وصلاة الخوف أن تقصر من صلاة السفر، لأن فيها خوفاً^(٢).

(١) مقتل الحسين هامش ص ٢٢٣ (نشر مؤسسة التاريخ العربي - بيروت) سنة ١٤٢٩ هـ. ق.

(٢) من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٢٩٤ و (ط جماعة المدرسين) ج ١ ص ٤٦٤ وتهذيب الأحكام ج ٣ ص ٣٠٢ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج ٨ ص ٤٣٣ و

وعن الإمام الصادق «عليه السلام» في قول الله عز وجل: (وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا)^(١)، فقال: هذا تقصير ثان، وهو أن يرد الرجل الركعتين إلى الركعة^(٢).

وفي نص آخر قال «عليه السلام» عن الآية: في الركعتين تنقص منهما واحدة^(٣).

وعن أبي عبد الله «عليه السلام» قال: فرض الله على المقيم أربع ركعات، وفرض على المسافر ركعتين تمام، وفرض على الخائف ركعة، وهو قول الله عز وجل: (فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا)^(٤) يقول: من الركعتين

٥١٧ و (الإسلامية) ج ٥ ص ٤٧٨ و ٥٣٨ والبرهان (تفسير) ج ٢ ص ١٦٢ ومنتقى الجمان ج ٢ ص ٢٠٤.

(١) الآية ١٠١ من سورة النساء.

(٢) من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٢٩٥ و (ط جماعة المدرسين) ج ١ ص ٤٦٤ وهداية الأمة ج ٣ ص ٤٠٣ وملاذ الأخيار ج ٥ ص ٥٧٤ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج ٨ ص ٤٣٣ و (الإسلامية) ج ٥ ص ٤٧٨.

(٣) الكافي ج ٣ ص ٤٥٨ وتهذيب الأحكام ج ٣ ص ٣٠٠ ووسائل الشيعة (آل

البيت) ج ٨ ص ٤٣٤ و (الإسلامية) ج ٥ ص ٤٧٨ ومرآة العقول ج ١٥ ص ٤٢٨ و ٤٢٩ والبرهان (تفسير) ج ٢ ص ١٦٢.

(٤) الآية ١٠١ من سورة النساء.

فتصير ركعة^(١).

قال الشيخ الحر العاملي «رحمه الله»: لا يخفى أن رد الركعتين إلى ركعة يراد به رد الأربع إلى ركعتين لما يلي..^(٢).
ومراد به بما يلي: هو الأخبار التي ذكرت كيفية صلاة الخوف، وفق ما شرحناه آنفاً.
وهناك نصوص أخرى تدل على ذلك، فراجع^(٣).

الهدفية في صلاة الخوف:

وقد كان يمكن للإمام الحسين «عليه السلام» أن يصلي فرادى في مكان بعيد عن أنظار الأعداء، وكذلك أصحابه، ولو بصورة تدريجية، لا توجب الإخلال بحالة المنعة والتصدي السائدة في ساحة القتال..

-
- (١) تفسير العياشي ج ١ ص ٢٧١ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج ٨ ص ٤٣٤ و (الإسلامية) ج ٥ ص ٤٧٩ وهداية الأمة ج ٣ ص ٤٠٤ وبحار الأنوار ج ٨٦ ص ١١٤ والبرهان (تفسير) ج ٢ ص ١٦٤.
(٢) وسائل الشيعة (آل البيت) ج ٨ ص ٤٣٤ و (الإسلامية) ج ٥ ص ٤٧٩.
(٣) راجع: وسائل الشيعة (آل البيت) ج ٨ ص ٤٣٥ - ٤٣٩ و (الإسلامية) ج ٥ ص ٤٧٩ - ٤٨٢ عن المصادر التالية: الكافي ج ٣ ص ٤٥٦ و ٤٥٥ ومن لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٢٩٣ وتهذيب الأحكام ج ٣ ص ١٧١ و ١٧٢ و ٣٠١ وتفسير العياشي ج ١ ص ٢٧٢ والمقنع ص ٣٩ ومسائل علي بن جعفر ص ١٠٧ وقرب الإسناد ص ٩٩ والإستبصار ج ١ ص ٤٥١.

ولكنه «عليه السلام» أراد أن يراه جيش الأعداء كله، وهو يصلي صلاة الخوف في وسط الميدان لأسباب كثيرة..

١ - أن يعلن لهم ولغيرهم بصورة عملية عن أن هدف هذه الحرب، هو إقامة الصلاة، وحفظ دين الله، وإبقاء مفهوم التوحيد الإلهي حياً في وجدان الناس، وعدم قبول العبودية لسواه سبحانه..

٢ - إن هذه الصلاة تذكر الأعداء بالله القادر القاهر، الذي يحب أوليائه، ويعادي أعداءهم ويمقتهم، وينتقم منهم. ليكونوا على بينة من أمرهم فيما يرتبط بعاقبة ما يقدمون عليه.

٣ - أن يعطي شحنة روحية عملية لأصحابه، تجعلهم أكثر رضا بما يرضي الله، وأشد اندفاعاً للقائه، ومرافقة أنبيائه، وأوصيائهم، وأوليائه الأبرار، وأهل بيته الأطهار.

٤ - أراد «عليه السلام» للأجيال أن لا تنساق مع الشائعات المغرضة، ولا تتطلي عليها الأباطيل والأضاليل والترهات التي سوف يتنزع بها المجرمون، وينتحلها لهم محبوبهم..

٥ - إن الكيفية التي تؤدي بها هذه الصلاة لم يكن أكثر الناس قد رأوها، فضلاً عن أن يكونوا قد مارسوها، أو شاركوا فيها. ولذا فهي ستكون جاذبة للأنظار، مثيرة للاهتمام، وموجبة لبلبلة الأفكار.. فكيف إذا صاحب ذلك أحداث غير عادية، كما سنوضحه إن شاء الله تعالى؟!!

٦ - وضع الأهداف السامية التي ترمز إليها الصلاة، وتدعو إليها،

نصب أعين المجاهدين. وهذا من شأنه أن يقيهم من الانسياق وراء المشاعر الثائرة، والأحاسيس الملهية، والعصبيات القبلية، والإستجابة لدواعي الغرور والعنجهية، والاعتزاز بالشجاعة والإقدام، وحب الظهور في ميدان الحرب.

كما أنه يعيد الإنسان المؤمن إلى أجواء الطهر، والنقاء، والصدق والوفاء، والإخلاص والخوف من رب الأرض والسماء..

المقارنة والإستنتاج:

عرفنا فيما تقدم: أن الحصين بن تميم (نمير) زعم أن صلاة الحسين وأصحابه لا تقبل. فقال له حبيب بن مظاهر: لا تقبل - زعمت - الصلاة من آل الرسول «صلى الله عليه وآله» وتقبل منك يا حمار؟!

ونلاحظ:

ألف: إن الحصين بن تميم (أو نمير) لا يعلم الغيب، فما معنى أن يدعي أن صلاة سيد شباب أهل الجنة لا تقبل؟! وقد قال تعالى: (اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ) (١).

ب: إن حبيب بن مظاهر قد أجرى مقارنة بين أمرين مختلفين، إلى حد التناقض لتأتي النتيجة على درجة من الوضوح تصل إلى حد البداهة، ولا يقصر عن إدراكها كبير أو صغير، عالم أو جاهل، امرأة أو رجل، مسلم أو كافر.. الخ..

وهذه المقارنة هي: أنه إذا كان هناك شخصان: أحدهما: مؤمن

(١) الآية ٥٩ من سورة يونس.

يخبر الله ورسوله عنه بأنه سيد شباب أهل الجنة، ويجعل له الرسول الأعظم - بأمر من الله - مقام الإمامة.. وهناك آخر: كافر خارج على إمامه، أو منافق ومجرم غادر، جامع لمختلف الموبقات.

فإذا صلى هذان الرجلان، فلا يعقل أن يتقبل الله من هذا المنافق المجرم، والفاسق، والغادر والكافر، ويرد صلاة سليل النبي «صلى الله عليه وآله»، والإمام، المطهر المعصوم، وسيد شباب أهل الجنة!!
ج: يقول النص المذكور في تاريخ الطبري: أن حبيب بن مظاهر قال للحسين عن الصلاة: وتقبل منك يا حمار؟! بالحاء المهملة، وتخفيف الميم.

ولكن مصادر أخرى ذكرتها بالحاء المعجمة، مع تشديد الميم: يا خمار.

والظاهر: أن هذه هي الرواية الصحيحة، بقرينة النص الذي ذكره ابن نما «رحمه الله»، فهو يقول: وتقبل منك وأنت شارب الخمر!! مما يعني: أن كلمة يا خمار صحفت فصارت يا حمار!!
موقف سعيد بن عبد الله الحنفي:

وتقدم: أن سعيد بن عبد الله الحنفي قد وقف يقى الحسين «عليه السلام» بنفسه وجسده - فما أخذ الحسين يميناً وشمالاً إلا قام بين يديه كما يقول الخوارزمي - يقيه سهام الأعداء، وضرب السيوف، وطعن الرماح، فوجد به ثلاثة عشر سهماً..

ويفهم من هذا:

١ - إنه بالرغم من أن الحسين «عليه السلام» قد طلب من الأعداء أن يكفوا عنهم حين أداء الصلاة، إلا أن ذلك لم يحصل، بل واصل ذلك العدو الغادر الحرب، ورمي السهام، وطعن الرماح، وضرب السيوف، حتى سقط سعيد بن عبد الله الحنفي شهيداً بسبب ما أصابه منها.

٢ - لعل سبب إصرارهم على مواصلة الحرب: أنهم أدركوا حجم الضرر الذي سيلحق بهم من إقامتها وسط الميدان، حيث سيقف الجيش لينظر ابن بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو يصلي، وهو ينتظره ليفرغ من صلاته فيقطعه إرباً إرباً. فقد يؤدي هذا إلى انتقاض عزيمة قسم من ذلك الجيش على قادتهم، ثم إلى رفضهم مواصلة الحرب.

٣ - إن رمي الحنفي بالسهام، وسائر الوسائل الحربية، وصبره على آلام الجراح من شأنه أن يثير الإعجاب لدى أعدائه «رحمه الله». فإن الصبر إلى هذا الحد أمر نادر الحصول، ولا يتوقعه أحد من أحد خارج دائرة الندرة.

٤ - لا ريب في أن مما يثير عجبهم وإعجابهم هو رؤيتهم لهذا الحب العارم منه «رحمه الله» لإمامه «عليه السلام»، وهذا الإخلاص، والإيمان، والصبر.

٥ - والأهم من ذلك: أنه لا يتحمل هذه الآلام المبرحة مكرهاً، ولا مضطراً، بل هو مختار لذلك كله، مدرك لعاقبته، متوقع لنتيجته.

وما ورد، من أنهم لم يجدوا ألم مس الحديد لا بد من تأويله، ولو بأن يكون المراد: أنه تعالى يخفف عنهم مقداراً من الآلام لكرامتهم عليه، ومقامهم عنده.

٦ - يلاحظ: أن ثمة تصحيحات تعرض لها الحنفي، في اسمه، بين سعيد، كما في المصادر، وبين سعد، كما في زيارة الناحية، وفي نسبته ثانياً، فهل هو الحنفي، كما في أكثر المصادر، أو الثقفي، أو الخثعمي؟! (١).

متى قتل الحنفي؟!

وظاهر بعض النصوص: أن قتل سعيد بن عبد الله الحنفي كان في صلاة العصر..

وقد قال الطبري وغيره:

عن محمد بن قيس: صلوا الظهر، صلى بهم الحسين «عليه السلام» صلاة الخوف.

ثم اقتتلوا بعد الظهر، فاشتد قتالهم، ووصل إلى الحسين «عليه السلام»، فاستقدم الحنفي أمامه، فاستهدف لهم يرمونه بالنبل، يميناً وشمالاً، قائماً بين يديه، فما زال يرمى حتى سقط (٢).

(١) راجع: تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٤٢ والأخبار الطوال ص ٢٢٩.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٤١ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٣٦ والكامل في التاريخ ج ٤ ص ٧١ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص ١٤٩ وأنساب

ومعنى هذا: أن الإمام «عليه السلام» قد صلى صلاة الخوف مرتين: صلاة الظهر مرة، وصلاة العصر أخرى. وقد فصل بين الصلاتين قتال شديد.. وأن الحنفي إنما حمى الإمام الحسين «عليه السلام» بجسده في صلاة العصر فقط.

إشكال.. وجوابه:

لعلك تقول: إذا كان سعيد قد قتل بهذه الطريقة، فما نصنع بما رواه ابن أعثم والخوارزمي، وأشار إليه ابن شهر آشوب، حيث قالوا: خرج.. سعيد بن عبد الله الحنفي، وهو يقول:

أَقْدِمُ حَسِينُ الْيَوْمَ تَلْقَى أَحْمَدًا وَشَيْخَكَ الْخَيْرَ عَلِيًّا ذَا النَّدَى
وَحَسَنًا كَالْبَدْرِ وَافِي الْأَسْعَدَا وَعَمَّكَ الْقِرْنَ الْهَجَانَ الْأَصِيدَا
وَحَمْزَةً لَيْثَ إِلَهٍ الْأَسَدَا فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ نَعْلُو صُعْدَا
فحمل وقاتل حتى قتل.

وروي: أن هذه الأبيات لسويد بن عمرو بن أبي المطاع^(١).

الأشراف ج ٣ ص ٤٠٣ و (ط دار التعارف) ج ٣ ص ١٩٥ و ١٩٦ وقال:
يقال: إنه استهدف دونه رجل من بني حنيفة غير سعيد بن عبد الله.
(١) مقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٢٠ والفتوح لابن أعثم ج ٥ ص ١٠٩
وراجع: مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ١٠٣ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣
ص ٢٥٢ وليس فيه من قوله: «وعمك القرن الخ..». وراجع: بحار الأنوار
ج ٤٥ ص ٢٦ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٢٦٩ والفتوح لابن أعثم
ج ٥ ص ١٠٩.

توضيح:

القرم: المقدم في الرأي.

الهبان: الرجل الحسيب.

الأصيد: الذي يرفع رأسه كبيراً.

ونجيب:

بأن استشهاد الحنفي في محاماته عن الإمام، وهو في صلاة الخوف لا ينافي أن يكون قد قاتل وارتجز الأبيات المذكورة، وبقي يقاتل حتى حضر وقت صلاة العصر، فحول قتاله إلى الدفاع عن شخص الإمام «عليه السلام» بهذه الطريقة حتى استشهد..

أو يقال: إنه بعد أن دافع عن الإمام حتى أثخن بالجراح حمل على الأعداء، فقاتل حتى قتل. كما قاله ابن شهر آشوب.

وهذا الاحتمال لا شاهد له، كما أنه يجعل الباحث أمام اختلاف بين النصوص تكون معالجته صعبة عليه، بدرجة صعوبة الرضا به..

هذا إن لم نأخذ بالرواية التي تنسب هذا الرجز إلى غيره، فراجع المصادر في الهامش..

وبهذا ننهي الجزء السادس عشر من كتاب: سيرة الحسين «عليه السلام» في الحديث والتاريخ.. ويليه الجزء السابع عشر.. إن شاء الله تعالى.

۸/۸/۱۵۰۲۰ م.ش.

والحمد لله، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله الطاهرين.

الفهارس

- ١ - الفهرس الإجمالي
٢ - الفهرس التفصيلي

الفهرس الإجمالي:

الفصل الرابع: إجراءات وتوجيهات	٥
القسم الخامس: الفاجعة.. وما تلاها	٤٢
الباب الأول: من أحداث يوم عاشوراء	٤٤
الفصل الأول: في المواجهة	٤٦
الفصل الثاني: إحتجاجات الأصحاب في الميدان	٨٣
الفصل الثالث: إحتجاجات ومناشدات الحسين ×	١٠٠
الفصل الرابع: خطبة الإمام الحسين × في كربلاء	١٤١
الفصل الخامس: مواقف حسينية أخرى يوم العاشر	
.....	١٩٨
الفصل السادس: توبة الحر الرياحي	٢١٥
الباب الثاني: القتال يوم العاشر	٢٤٩
الفصل الأول: حتى ظهر يوم العاشر.. هكذا بدأ القتال	
.....	٢٥١
الفصل الثاني: فشل هجمات ومبارزات الأعداء ..	
.....	٢٧٣
الفصل الثالث: الهجوم الشامل، واستشهاد حبيب والحر ..	
.....	٣١٢
الفصل الرابع: صلاة الخوف	٣٤٦

الفهارس..... ٣٦٣

الفهرس التفصلي:

- ٥ الفصل الرابع: إجراءات وتوجيهات ..
- ٧ جولة تفقدية للإمام X:
- ٩ تصحيح خطأ:
- ١٠ أهمية هذه الجولة:
- ١١ الشعور بالمسؤولية هو الدافع:
- ١٢ هي والله وعد لا خلف فيه:
- ١٣ ألا تنجو بنفسك؟!:
- ١٤ هذا هو القائد المسؤول:
- ١٥ الجبلان في كربلاء:
- ١٥ لقد بلوتهم:
- ١٧ حفر الخندق ليلة عاشوراء:
- ٢١ حفر الخندق ليلاً:
- ٢٣ خلاصة جامعة، أو تكاد:
- ٢٤ اللهم حزه (جره) إلى النار:
- ٢٦ جواب الحسين لابن حوزة:

- ٢٧ أنا من خير إلى خير:
- ٢٧ يا لها من دعوة!!:
- ٣٠ خواتيم حاسمة لليلة العاشرة:
- ٣١ الإستسقاء ليلة العاشر:
- ٣٢ لا بد من الحصول على الماء:
- ٣٥ الإطلاع بالنورة:
- ٣٧ تذكير:
- ٣٨ الإطلاع بالنورة يحتاج إلى الماء:
- ٤٢ القسم الخامس: الفاجعة.. وما تلاها..
- ٤٤ الباب الأول: من أحداث يوم عاشوراء..
- ٤٦ الفصل الأول: في المواجهة
- ٤٨ دعاء الحسين صبيحة يوم عاشوراء:
- ٤٩ نظرتان ونهجان:
- ٥٠ مرتكزات النهج الإيماني:
- ٥٤ تعبئة المعسكرين:
- ٥٧ الشمر.. ونار الخندق:
- ٥٨ الشمر تحت وقع المفاجأة:
- ٥٩ كأنه شمر بن ذي الجوشن:
- ٦٠ يا ابن راعية المعزى!!:

- ٦١ أكره أن أبدأهم بقتال:
- ٦٢ لماذا يكره X بدأهم بالقتال؟!:
- ٦٨ قصة الشمر بنحو آخر:
- ٦٩ قصة ابن حوزة بنحو آخر أيضاً:
- ٧٢ ومحمد بن الأشعث أيضاً:
- ٧٣ موت محمد بن الأشعث:
- ٧٥ تميم بن حصين أيضاً:
- ٧٧ مسروق بن وائل يتراجع:
- ٧٨ الخطة العسكرية: خلاصة جامعة:
- ٨٣ الفصل الثاني: إحتجاجات الأصحاب في الميدان... ..
- ٨٥ ماذا تريدون؟!:
- ٨٦ لماذا برير؟!:
- ٨٨ السؤال الأول: المعتدون يعترفون:
- ٨٩ السؤال الثاني: الغدر، والتناقض:
- ٩٠ ما ندري ما تقول!:
- ٩٢ موقف آخر لبرير:
- ٩٤ زهير ينصح ويحتج:
- ١٠٠ الفصل الثالث: إحتجاجات ومناشدات الحسين X.... ..
- ١٠٢ مناشدات الحسين X في اليوم العاشر:
- ١٠٥ طريقة المناشدة:

- المرحلة الأولى: مرحلة تعريف الإمام بنفسه: ١٠٦
- حشد الدلالات: ١٠٦
- ملاحظات في التعابير المختارة: ١٠٨
- المرحلة الثانية: للتدليل والإثبات: ١١٠
- سيف و عمامة الرسول ﷺ في ذلك الجمع: ١١٠
- المرحلة الثالثة: البغض لماذا؟! : ١١٢
- المرحلة الرابعة: السؤال المحرج: ١١٤
- أقدم لعل الله يصلح بك الأمة: ١١٥
- هل خدع الإمام x؟! : ١١٧
- دعاء الإمام على أهل العراق: ١١٩
- المناشدة في نصين آخرين: ١١٩
- لفت نظر: ١٢٣
- صوت الحسين يسمعه جلّ الناس: ١٢٧
- مما سبق: ١٢٨
- أعظكم بما يحق لكم: ١٢٩
- وابن وصيه: ١٢٩
- إن صدقتموني، وإن كذبتُموني: ١٣٠
- أين بنو هاشم؟! : ١٣١
- هل تطلبوني بقتيل، أو مال، أو جراحة؟! : ١٣٣

- ١٣٤إختلاف نصوص المناشدة:
- ١٣٥هل كانوا مؤمنين بالرسول؟!:
- ١٣٦المشرقان والمغربان:
- ١٣٨إعطاء الذليل، وإقرار العبيد:
- ١٣٩سكوت الحسين X وجواب حبيب:
- ١٤٠قضي القضاء وجف القلم:
- ١٤١الفصل الرابع: خطبة الإمام الحسين X في كربلاء..
- ١٤٣تباً لكم أيتها الجماعة وترحاً:
- ١٤٥إيضاحات:
- ١٤٧نصان آخران للخطبة:
- ١٤٧النص الأول:
- ١٥٠النص الثاني:
- ١٥٣اختلاف النصوص المتقدمة:
- ١٥٣غاية الخذلان والخسران:
- ١٥٤مضامين خطب الإمام X:
- ١٥٦دعوات الإمام X على أعدائه:
- ١٥٧لماذا دعا عليهم?!:
- ١٥٩استصرختمونا فأصرخناكم:
- ١٦٠ما حدث للحسين X لم يحدث لأحد:
- ١٦٢سللتم سيفاً لنا في أيماكم:

- ١٦٤ هلا تركتمونا والسيف مشيم:
- ١٦٥ هل الإمام يعمل بالظنون؟!:
- ١٦٧ إسراع طيرة الدبى، وتهافت الفراش:
- ١٦٨ أوصافهم أردتهم:
- ١٧٠ ويحكم، أهؤلاء تعضدون؟!:
- ١٧٤ الشجرة الخبيثة:
- ١٧٧ الدعي ابن الدعي:
- ١٨٠ السلة بالكسر أو بالفتح؟!:
- ١٨١ هيهات منا الذلة:
- ١٨٣ موانع قبول الذلة:
- ١٨٥ ولكم في أسوة:
- ١٨٨ قلة العدد، وخذلان الناصر:
- ١٨٨ التحذير المستند إلى الغيب:
- ١٩٠ وقفات سريعة مع النصين الآخرين:
- ١٩١ لا مبررات لانقلابهم:
- ١٩٢ الضلال وأكل الحرام:
- ١٩٤ للتوضيح والبيان:
- الفصل الخامس: مواقف حسينية أخرى يوم العاشر..
- ١٩٨

- ٢٠٠إحراج عمر بن سعد:
- ٢٠٤الحسين يرجع إلى مصافه:
- ٢٠٥أذن الله في قتلكم:
- ٢٠٦إنصرفوا فأنتم في حل:
- ٢٠٧الإذن الإلهي في القتل:
- ٢٠٨عروض الحسين X مرة أخرى:
- ٢٠٩إنصرفوا فأنتم في حل:
- ٢١٠خطبة الإمام صباح العاشر:
- ٢١١كلمات وخطب أخرى يوم العاشر:
- ٢١٢الأنبياء أحق بالبقاء:
- ٢١٣البشارة في اللحظات الأخيرة:
- ٢١٥الفصل السادس: توبة الحر الرياحي..
- ٢١٧هل من توبة؟!:
- ٢٢٤آثار استغاثة الحسين X:
- ٢٢٧أمقاتل أنت هذا الرجل؟!:
- ٢٢٩هل هو الحر، أم برير؟!:
- ٢٣٠أميرك أبا ذلك:
- ٢٣١قرة بن قيس يكذب:
- ٢٣٢أخير نفسي بين الجنة والنار:
- ٢٣٥القرار الصعب:

- ٢٤٢ جعجعت بك في هذا المكان:
- ٢٤٣ ما اسمك؟!:
- ٢٤٤ إنزل!!:
- ٢٤٥ هذا الأمير، فكلمه:
- ٢٤٦ كلمات الحر مع الظالمين:
- ٢٤٦ هل قتل الحر رجلين فقط؟!:
- ٢٤٨ الحر للحسين x: لقد كاتبناك:
- ٢٤٩ الباب الثاني: القتال يوم العاشر.....
- الفصل الأول: حتى ظهر يوم العاشر.. هكذا بدأ القتال..
- ٢٥١
- ٢٥٣ إشهدوا لي عند الأمير:
- ٢٥٦ شعار القتال يوم العاشر:
- ٢٦٠ أهداف شعار الإمام في كربلاء:
- ٢٦١ الحسين يتنحى راجعاً:
- ٢٦٢ الخروج من باب الخندق:
- ٢٦٣ اشتد غضب الله:
- ٢٦٥ الأعداد تحتاج إلى تدقيق:
- ٢٦٦ سلاح أصحاب الحسين x:
- ٢٦٦ حملة، حملة، أم حملة واحدة:

- ٢٦٧ إمتياز الرجالة على الفرسان:
- ٢٦٨ عدد المقتولين في الحملة الأولى:
- ٢٦٩ مسار القتال يوم العاشر:
- ٢٧٣ الفصل الثاني: فشل هجمات ومبارزات الأعداء..
- ٢٧٥ الكلبى القتل الثاني:
- ٢٧٩ لفت نظر:
- ٢٨٠ الإنسان المتوازن:
- ٢٨٠ النموذج الأول:
- ٢٨١ النموذج الثاني:
- ٢٨٣ الحسين بن فاطمة بنت الرسول ﷺ:
- ٢٨٤ أول من طلب المبارزة:
- ٢٨٥ منع الحسين X رجلين، وأذن لواحد:
- ٢٨٩ لا يخرج إليك أحد إلا وهو خير منك:
- ٢٩٠ طاعة أم وهب لإمامها:
- ٢٩١ نذالة الشمر:
- ٢٩١ هجوم فاشل للميمنة:
- ٢٩٥ حملة أخرى لعمر بن الحجاج:
- ٢٩٥ ابن عوسجة أول الشهداء:
- ٢٩٩ الإمام X يتلو الآية ويدعو لمسلم:
- ٣٠٠ أوصيك بهذا:

- فرح الأعداء بمقتل ابن عوسجة: ٣٠٠
- قتلة مسلم بن عوسجة: ٣٠١
- مسلم أول شهيد: ٣٠٢
- كلام الباعوني: ٣٠٢
- الميسرة تهاجم أيضاً: ٣٠٣
- هذه هي المرحلة الخامسة: ٣٠٥
- زهير.. في عشرة أشخاص: ٣٠٦
- وقاحة وبغي.. مقابل نبل وأدب: ٣٠٧
- منطق شبت أولى بالقبول عند الشمر: ٣٠٨
- رجز زهير: ٣٠٨
- من شهداء أول القتال: ٣٠٩
- المدهشات في عاشوراء: ٣١٠
- الفصل الثالث: الهجوم الشامل، واستشهاد حبيب والحر..
- ٣١٢
- عقر الخيول وإحراق البيوت: ٣١٤
- من عقر فرس الحر؟! : ٣١٩
- من بطولات الحر الرياحي: ٣٢٢
- متى استشهد الحر &؟! : ٣٢٤
- الخطبة الحكيمة: ٣٢٥

- ٣٢٦إستشهاد حبيب بن مظاهر:
- ٣٣١ متى استشهد حبيب؟!:
- ٣٣٢الذين قتلهم حبيب بن مظاهر:
- ٣٣٣ثقافة وسلوك أصحاب الأئمة:
- ٣٣٥ لكل مأموم إمام يقتدي به:
- ٣٣٧ عرض الأمان والأموال:
- ٣٣٨ أنت الحر كما سمتك أمك:
- ٣٤٢الحسين X يرثي الحر:
- ٣٤٣الذين قتلهم الحر:
- ٣٤٦الفصل الرابع: صلاة الخوف
- ٣٤٨ صلاة الخوف يوم العاشر:
- ٣٥٠ كيفية صلاة الخوف:
- ٣٥١ الصلاة بالإيماء:
- ٣٥٢ صلاة الخوف تكون قصراً:
- ٣٥٥ الهدفية في صلاة الخوف:
- ٣٥٧المقارنة والإستنتاج:
- ٣٥٨ موقف سعيد بن عبد الله الحنفي:
- ٣٦٠ متى قتل الحنفي؟!:
- ٣٦١ إشكال.. وجوابه:
- ٣٦٢ توضيح:

٣٦٣	 الفهارس
٣٦٥	 الفهرس الإجمالي:
٣٦٨	 الفهرس التفصيلي: